

الأخوان السعويين

في عقيدتين

١٢٤٩ هـ - ١٢٥٠ هـ
١٩٣٦ م - ١٩٣٧ م

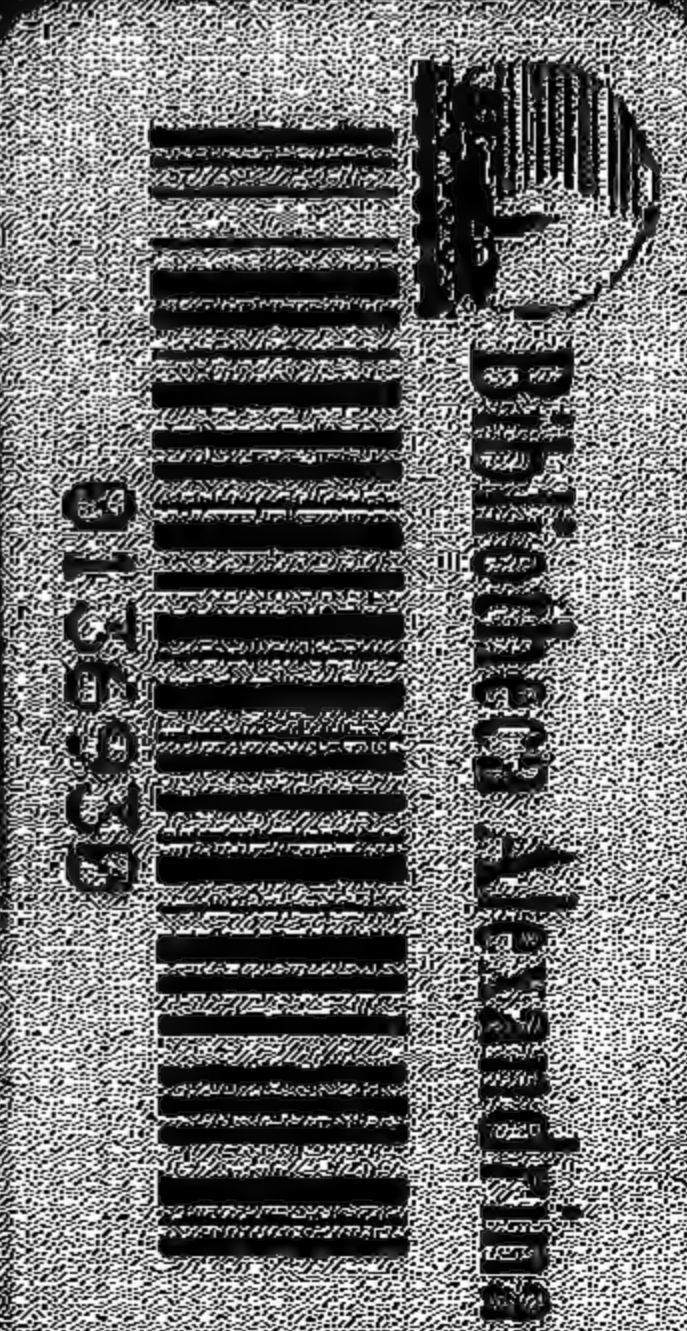
تأليف

جوان س . حبيب

راجح النص العربي
عبد الله الماجد

مختار

حسن





11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-98-99-100

11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-98-99-100

الدكتور



Bibliotheca Alexandrina



0136930

لوحة الخلاف : كتية من قوات ابن سعود
تصوير : الكابتن وليم شكسبير
مارس ١٩١١ م

الإخوان السعوديون

في عقدين

١٣٢٨هـ - ١٣٤٩هـ / ١٩١٠م - ١٩٣٠م

الإخوان السعوديون

في عقدين

١٣٢٨هـ - ١٣٤٩هـ

١٩١٠م - ١٩٣٠م

تأليف

جون س. حبيب

ترجمة

الدكتور / صبري محمد حسن

راجع النص العربي

عبد الله الماجد



ص.ب.: ١٠٧٢٠ - الرياض: ١١٤٤٣ - فاكس ٤٦٥٧٩٣٩
المملكة العربية السعودية - تليفون ٤٦٥٨٥٢٣ - ٤٦٤٧٥٣١

عنوان الكتاب فى أصله الإنجليزى

IBN SA'UD'S WARRIORS OF ISLAM

*The Ikhwan of Najd and Their Role in the Creation of
the Sa'udi Kingdom, 1910 - 1930*

- ردمك ٤ - ٤٤٧ - ٢٤ - ٩٦٦٠ -

© دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المريخ للنشر - الرياض
المملكة العربية السعودية ، ص . ب ١٠٧٢٠ - الرمز البريدي ١١٤٤٣
تلكس ٤٠٣١٢٩ - فاكس ٤٦٥٧٩٣٩ ، هاتف ٤٦٤٧٥٣١ / ٤٦٥٨٥٢٣
لايجوز استنساخ أو طباعة أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب
أو إحتزائه بأية وسيلة إلا بإذن مسبق من الناشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

١١	مقدمة المترجم
١٥	مقدمة المراجع
١٩	مقدمة المؤلف
٢٣	ملاحظة عن تدوين الكلمات العربية

القسم الأول

نشأة حركة الإخوان

٢٥	١ - مقدمة
٢٧	٢ - نجد ١٩٠٠ - ١٩١٢
٣٥	٣ - أصول حركة الإخوان
٤٥	٤ - حركة الإخوان : الأسطورة والواقع
٦١	

القسم الثاني

تطور حركة الإخوان

٩١	٥ - نشأة المجتمعات الإخوانية
٩٣	٦ - خصائص الإخوان العسكرية
١١٧	٧ - بداية المشاكل مع الإخوان
١٤٣	٨ - الخرمة : بوابة الحجاز
١٥٥	

القسم الثالث

اندحار الإخوان

١٧٧

١٧٩

٩ - الإخوان على الساحة الدولية

٢٠٢

١٠ - الإخوان في مؤتمرات الرياض

٢٢٣

١١ - تمرد الإخوان

٢٥١

١٢ - خاتمة

قائمة الجداول

٢٦٣

١ - أسماء الهجر نقلا عن مصادر أم القرى

٢٦٧

٢ - أسماء الهجر نقلا عن مصادر ابن ناصر

٢٦٩

٣ - أسماء الهجر نقلا عن مصادر فيلبي

٢٧١

٤ - أسماء الهجر نقلا عن مصادر الريحاني

٢٧٣

٥ - أسماء الهجر نقلا عن مصادر ديكسون

٢٧٧

٦ - أسماء الهجر نقلا عن مصادر أخرى

٢٧٩

٧ - الإخوان الموالين الذين حاربوا الإخوان المتمردين

٢٨٣

٨ - زعماء الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية

٢٩٥

٩ - قوة المقاتلين في الهجر

٢٥٩

الملاحق

٣٠١

• خريطة تبين مناطق القبائل الرئيسية

- خريطة تبين التوزيع التمثيلي للهجر ٣٠٣
- رسالة إلى حاكم الكويت من سعود بن عبد العزيز ٣٠٥
- الوهابية - التاريخ والإصطلاح - (عن كتاب شبه الجزيرة
في عهد الملك عبد العزيز ، للعلامة خير الدين الزكلي) ٣٠٧

قائمة الصور

- ١ - أحد الإخوان وهو يرتدي زي الإخوان الرسمي ، التقطها
المؤلف في الأرطاوية في شهر مارس من العام ١٩٦٨ . ٣١١
- ٢ - سلطان بن عبد الرحمن الدويش ، أمير الأرطاوية وهو
يمسك ببندق من بيارق الإخوان الذي مزقته طلقات الرصاص ٣١٣
- ٣ - منازل هجرها أهلها في الغطف . ٣١٥
- ٤ - يستعرض العديد من سكان الأرطاوية الأسلحة اليدوية
البدائية التي استعملها الإخوان في غزواتهم ومعاركهم
بسبب النقص في البنادق وأنواع السلاح الأخرى . ٣١٧
- ٥ - بندق قديم من بيارق الإخوان شهد كثيراً من الغزوات
والمعارك التقطها المؤلف في الأرطاوية ، البندق مزقته
طلقات الرصاص ٣١٩
- ٦ - رابيه السبكه الصغيرة التي زرع ابن سعود بيارق حربه
فيها لمواجهة الإخوان المتمردين . ٣٢١
- ٧ - ماجد ابن خثيلة ، أمير الغطف ، يجلس في خيمة تبعد
عدة كيلو مترات عن هجرة الغطف ٣٢٣

قائمة المراجع

مقدمة الترجمة

ينعكس الجهد العلمي السخي الذي يبذله المؤلف في المنتج الذي يتمخض عنه هذا الجهد ، وكتاب "الإخوان السعوديون في عقدين" مؤلف يندرج تحت أمهات الكتب التي تتناول هذا الموضوع بفضل التوثيق الممتاز واستخلاص الحقائق عن طريق تحليل المعطيات المتيسرة والإفادة من المصادر المكتوبة والمسموعة والمقابلات الشخصية التي أجراها مؤلف الكتاب مع شخصيات كثيرة تتصل بأحداث الكتاب الجسام ؛ مستهدفاً من ذلك تأصل معطياته والوصول بها إلى أكبر قدر من اليقين .

وقد لجأ مؤلف الكتاب إلى ثلاثة أنواع من المصادر منها الوثائق الحكومية العامة ، الكتب ، المقالات الصحفية والزيارات والمقابلات الشخصية غير المنشورة ، على صعيد الوثائق الحكومية العامة أفاد المؤلف من ثمانين وثيقة تنقسم إلى قسمين : قسم عربي سعودي يتمثل في مجموعة المعاهدات في الفترة من ١٩٢٢م - ١٩٣١م وقد نشرتها جريدة أم القرى في العام ١٩٣١م ، ومحفوظة لدى وزارة الخارجية السعودية ، والمصدر الثاني هو "الكتاب الأخضر النجدي" (الذي طبع بأمر سلطان نجد ، وهو من منشورات الحكومة السعودية) ، أما القسم الثاني فيتمثل في الوثائق البريطانية التي بلغ عددها ثمانية وسبعون وثيقة محفوظة في مكتب السجلات العامة في (بريطانيا العظمى) .

وعلى صعيد الكتب أحصيت لمؤلف هذا الكتاب الرائع ستة وخمسين كتاباً منها تسعة وعشرين كتاباً باللغة العربية وسبعة وعشرين كتاباً معظمها باللغة الإنجليزية ، وكتاب واحد منها باللغة الألمانية . أما المقالات الصحفية فقد وصل عددها إلى ثمانية وعشرين مقالاً منها عشر مقالات باللغة الإنجليزية انحصرت تاريخ نشرها بين ١٩٢٠م و ١٩٣٣م أي خلال العقدين اللذين حددهما المؤلف موضوعاً للكتاب ، ويعكس تاريخ نشر هذه المقالات زيادة اهتمام الدوائر البريطانية بالشأن السعودي

في العامين ١٩٢٤م و ١٩٢٩م .

وتنصب المقالات العربية التي تناولت شأن الإخوان السعوديون ، على جريدة أم القرى في الفترة من ١٩٢٧م و ١٩٣٠م أي على امتداد ثلاث سنوات اختار المؤلف خلالها ثمانية عشر عدداً من أعداد هذه الجريدة ، تناول الصحفيون فيها الشأن الإخواني من نواحي كثيرة إفادة المؤلف منها إفادة كبيرة . وفيما يتعلق بالمادة العلمية غير المنشورة يحتفظ المؤلف بنسختين من كتابين كتب أولهما مطلق بن صالح وألف ثانيهما عبد الرحمن بن ناصر وهو بعنوان "السعد والمجد" . يضاف إلى ذلك العديد من المقابلات الشخصية العديدة التي أجراها المؤلف مع كل من ماجد بن خثيلة ، محمد بن ماجد بن خثيلة ومع عبد الرحمن الدويش والشيخ محمد الصحابي . كما التقى المؤلف أيضاً الشيخ محمد بن جباع الدويش عدة مرات ، فضلاً عن مقابلاته الشخصية مع عبد الرحمن المغربي ، وصاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود . وعلى الصعيد الخارجي أجرى المؤلف مقابلة شخصية مع السير باجوت جلوب في شهر يونيو من العام ١٩٦٨م . زد على ذلك ، أن المؤلف طوال تأليف الكتاب وخلال فترة جمع المعطيات كان يفضل دوماً أن يكون قريباً من أرض الواقع وبخاصة أنه تناول موضوعاً فائق الحساسية من الناحية السياسية بل ومن الناحية الدينية قبل كل شيء . من هنا فقد زار الأرطاوية والغطف وكثيراً من الأماكن التي تتعلق بموضوع الكتاب سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . وعلى الصعيد الإحصائي استقى المؤلف أرقامه وإحصائياته من أكثر من مصدرين آثر أن يوردها في نهاية الكتاب ضمن الملاحق مستهدفاً من ذلك تمكين القارئ المدقق من الوصول أقرب ما يمكن إلى الحقائق المجردة .

وجون حبيب ، عربي المولد أمريكي الجنسية ، يعرف العربية بحكم أن والديه عربيين ويجيد الإنجليزية بحكم تربيته ونشأته في الولايات المتحدة . هذه الثنائية اللغوية مكنته من الإطلاع على المراجع العربية والإفادة منها ، وإدراكاً منه للفروق اللهجية في نطق بعض المفردات وبخاصة في المنطقة الوسطى ، فقد زود كتابه بثبت أورد فيه أسماء الأعلام وأسماء الأماكن التي وردت في الكتاب منطوقة طبقاً لخريطة صوته أوردتها عن تدوين الكلمات العربية التي وردت في المتن . وإذا كان

القارئ العربي يستطيع تمييز ذلك بسهولة فإن قارئ النص الإنجليزي للكتاب يجد منفعة وفائدة كبيرة في هذه الخريطة .

وهكذا يتجلى أن طريق المؤلف لم يكن مقروشاً بالورود ، وإنما اعترضته صعاب كثيرة استطاع بفضل إطلاعه الواسع وقدرته الفائقة على استخلاص المعلومات أن يذللها ليخرج لنا في النهاية بهذا البحث الممتاز الذي يعتبر بحق إضافة كبيرة إلى المكتبة العربية .

النص الإنجليزي يحمل في بعض المواقع شيئاً من التزيد من خلال بعض العبارات ، كما هو الحال في الجزء الخاص الذي يتناول المؤلف فيه "مؤتمر الإخوان الذي عقد في الأرطاوية وحضره مشايخ مطير ، عتيبة ، العجمان ووجهت فيه إلى ابن سعود الانتقادات التالية . أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر (التي احتلها الإنجليز النصاري والتي يسكنها مسلمون كفار) . ثالثاً : استخدام السيارات والتلغرافات والتليفونات (وكلها عبارة عن بدع نصرانية من عمل الشيطان) .

بالرجوع إلى كتاب حافظ وهبه المعنون "جزيرة العرب" ص ٢٩١ الطبعة الثالثة ، ونشرته دار النهضة المصرية بالقاهرة اتضح أن الأجزاء التي بين قوسين ضمن الاقتباس الذي حددناه بعلامات التنصيص ، ليست موجودة في النص العربي ، وهذا لا ينقص من قدر الكتاب ولا من غزارة الجهد المبذول فيه .

وأحسب أن بعض الأخطاء الهجائية التي وردت في النص الإنجليزي في الصفحات أرقام ٢٠ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٩١ ، ١٢٧ إنما ترجع إلى الطباعة ، كما أن الخطأ النحوي الذي ورد في السطر ٢٤ من الصفحة ١١٩ ربما يكون قد حدث سهواً ، ولا نجد غضاضة في القول بأن الخطأ الدلالي الذي وقع في السطرين ٢٣ ، ٢٤ من الصفحة ٤١ لا بد أن يكون سببه السهو عند كتابة المخطوطة تمهيداً لطباعتها .

بقي أن نقول أن الكتاب يقف درة فريدة في موضوعه ويضاف إلى رصيد مؤلفة ، وهو إثراء لمكتبتنا العربية .

مقدمة المراجع

هذه الدراسة الهامة الجادة ، تضع مؤلفها الدكتور "جون س حبيب" ، ضمن قائمة أولئك الرحالة الذين جلدتهم إيجاباتهم عن هذا الجزء الهام من البلاد العربية . فقد كانت الجزيرة العربية ، وبلادنا - المملكة العربية السعودية - على وجه الخصوص ، حتماً لبكارة البحث والاستكشاف ، وقطباً يجذب إليه أصحاب المغامرة ، فكما كانت هذه البلاد تختبئ تحت كُتبان رمالها ، مصادر الطاقة الرئيسية لهذا الزمن الصناعي الحديث ، فقد كانت - ولا تزال - منذ فجر تاريخها مصدراً لِكُنْه المعرفة وتوق البحث . إنه "المكان" وسرّ خصوصيته بكل ما ينطوي عليه ، ومن توالد الأحداث وإيجابياتها . وكما كان "كارستن نايبور" أول الرحالة الغربيين الذين استجابوا لها جس البحث عن بكارة المعرفة والبحث ، فلن يكون "حبيب" آخرهم . ولكنه واحد من أولئك الذين وضعوا أسماءهم ضمن قائمة أهم الأعمال التي كُتبت عن هذه المنطقة .

أمران مهمان ، دفعا بهذه الدراسة إلى سبيل النشر وترجمتها : الحياء الذي حرص عليه مؤلفها ، والتجرد العلمي . وهذه الدراسة تنتهج نهجاً حديثاً في الدراسات التاريخية ، فالأحداث التاريخية إطار لمعطيات فكرية ، وجيوستراتيجية ، اجتماعية واقتصادية وعسكرية وأدبية . إنها دراسة الحدث ومن خلاله تتفجر تلك المعطيات . ضمن منظومة أسلوبية راقية ، تصنع "النص" وتحلله . وقد تصدى لترجمتها استاذ جامعي مفكر عاشق للنصوص الصعبة ، وعاشق للنص الجديد المبدع . فكما استهوته نصوص عمالقة الفكر من أمثال "دوريدا" وغيره ، فقد استهوته هذه الدراسة ، لتلك المعطيات التي أشرت إليها ، ثم إنه أمضى جزءاً من حياته العلمية والعملية في مواقع أحداث الدراسة ، وخبر ناسها ومجتمعها

واجتمع وتناقش خلال إقامته ، مع الصفوة من أبناء المملكة . فظفرنا بترجمة راقية تتسامى مع النص الأصلي ؛ فلا تحجب ما فيه من بلاغة التعبير ، بل تتسامى لغة النص العربي وبلاغته مع حداثة النص في لغته الإنجليزية التي كُتِب بها .

وفي دراسة غربية ، عن أحداث عربية تاريخية تحفل بالنصوص والأستشهادات من مصادر عربية أصيلة ؛ تحفل بأسماء عديده لمواضع وأشخاص . يُعرضها النقل إلى لغة أخرى للتحرّيف لاختلاف النطق الصوتي - وهو ما لاحظته المؤلف - وحاول ضبطه قدر ما استطاع - وهو أمر لا يشكل أهمية لدى القارئ الغربي الأجنبي لهذه الدراسة في لغتها الأصلية ، لكنه في حالة نقلها وترجمتها إلى اللغة العربية ، يصبح أمراً مهماً لا بد من ضبطه وإعادةه إلى أصله .

وقد ساهم في صعوبته أن بعض الأسماء تتعرض للتحرّيف أثناء نقلها إلى اللغة الإنجليزية ، ومن ثم إعادةها إلى أصلها عن طريق الترجمة يعرضها للتحرّيف المزدوج . ولعل أمر النصوص والإستشهادات المرجعية ، كان أسهل تلك العقبات ، فقد أمكن الرجوع إلى المراجع العربية وإثبات الإستشهادات المرجعية ، من أصولها كما وردت في تلك المراجع .

وقد تمثلت الصعوبة في تحقيق أسماء المواضع والأعلام . وبقدر الجهد الذي بُذل في سبيل ذلك ، فلا تزال هناك أسماء أصابها التحريف ، ومَرَد ذلك إلى أن بعض أسماء الأعلام أصبح مهجوراً حتى بين أبناء البادية ، وقد زاد من صعوبة وضع بعض الأسماء في رسمها الصحيح أن المراجع التي رجع إليها المؤلف ، قد نشرت بعض تلك الأسماء محرفة ولم يجر تصحيحها - كما ورد في قائمة أمراء الهجر وأعيانها - التي نقلها المؤلف عن جريدة "أم القرى" .

ونحن نقدم هذه الدراسة الهامة ، عن فترة حيوية من تاريخ بلادنا ، فبقدر ما كانت تتصف به من الحيدة والتجرد العلمي ، فلها أحكامها ومنطقاتها الخاصة ، التي ضمننتها حرية البحث العلمي ، وبالقدر نفسه من التجرد ، والاحتكام إلى احترام النص الأصلي ، تركنا للنص حريته كما جاء في لغته الأصلية - وقد ضمننت ذلك هذه الترجمة التي تسامى علوها إلى سِمت لغتها الأصلية - وشفعنا ذلك بتعليقات حرصنا أن تكون مجردة ، من أسر التحيز وطغيان العاطفة المدفوعة بالغيرة لما

نختلف معه . وأثبتنا ما نراه اضاءة علمية مجردة لا تختصم مع الأصل في نصه ، ولكن تضيف ما يتطلبه البحث العلمي المجرد . وقد اشقنا كل اضافة بكلمة (المراجع) ايضاحاً لتعليقات المؤلف والمترجم .

وكانت خطة مراجعة النص العربي ، في عناصرها التالية :

١ - تحقيق أسماء المواضع ، بقدر ما أمكن ذلك بالرجوع إلى المصادر ، ولا تزال هناك أسماء لمواضع مُحرفة في رسمها ، ذلك أنها نُقلت إلينا من لغة وسيطة ، ثم أن التشابه في نطق ورسم بعض المواضع والأماكن قد ساهم في ذلك التحريف - وقد أشار المؤلف إلى هذه المعضلة في الكلمة التمهيدية لملاحق الكتاب -

٢ - تحقيق أسماء الاعلام ، من أمراء وأعيان الهجر ، وما يقال عن صعوبة تحقيق أسماء المواضع ، يمكن أن يقال عن أسماء الاعلام ، المتناثرة في ثنايا النص العربي المترجم عن الإنجليزية ، ومضاهاته بالمراجع والمصادر العربية التي تطرقت للموضوع نفسه . وقد اتضح مدى التحريف الوارد ، حتى في تلك المصادر ، لأنها تنقل عن بعضها ومن مصدر اصابه التحريف ولم يُصحح .

٣ - رجع المؤلف إلى مصادر عربية أصيلة ، ونقلها إلى لغته الإنجليزية التي كتب بها دراسته هذه ، ثم عادت إلينا مترجمة إلى العربية ، ففقدت جزءاً من كنهها وتركيبها اللغوي ، فكان لابد من العودة إلى مصادر المؤلف ، وإثبات نصها الأصلي الذي نقله عنها . وقد كان ذلك ميسوراً في أغلب الأحوال .

وإذا كان الفضل - دائماً - مرده إلى أصحابه ، فلا بد من الإشارة إلى الملاحظات القيمة التي تفضل بها كلاً من الأستاذ / عبد الرحمن الرويشد والدكتور عبد العزيز الميلم التي استنرت بها في مراجعتي هذه كما أنوه بالملاحظات التي أبداهما - بصفة شخصية - الأستاذ / مسفر سعد المسفر وكيل وزارة الإعلام للإعلام الداخلي . فلهم جميعاً حق الاعتراف بفضلهم .

عبد الله الماجد

الرياض

مقدمة المؤلف

هذه دراسة تاريخية لحركة الإخوان التي نشأت في نجد حوالي عام ١٩١٠ الميلادي ، ووصلت الى ذروتها في العشرينيات من القرن الحالي ، واندحرت مع مطلع الثلاثينيات ، تلك الحركة التي استطاعت أن تحول أعضاء من قبائل رعويه مترحلة ، يجهلون مبادئ الاسلام ، ولم يعتادوا سيطرة السلطة المركزية الى قوة شبه عسكرية متشددة دينيا لعبت دورا حاسما في انشاء المملكة الحالية التي تعرف باسم المملكة العربية السعودية ، وتركت اثرا لا يمحي على شخصيه هذا الشعب . وتتناول هذه الدراسة ، ببساطه شديده الاسئلة التاليه : من هم الإخوان ؟ وكيف نشأت هذه الحركة ؟ وما هي أسباب نشأتها ؟ وما هو الدور الذي لعبه الإخوان في توحيد الجزء الاكبر من شبه الجزيرة العربية تحت سيادة "عبد العزيز بن عبد الرحمن آل - سعود (ابن سعود) ، مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة .

والمشاكل التي من قبيل المضامين الدينية والاجتماعيه لحركة الإخوان ، والتمزق الإقتصادي - الاجتماعي الناتج عن استقرار أولئك البدو على الأرض ، أو تحدى معتقداتهم وممارساتهم الدينية المتزمته كلها تعد مشكلات هامشية في الدراسة التي بين ايدينا ، ولهذا فقد درستنا فقط في إطار أصول الحركة وتطورها باعتبارها أداة عسكريه - سياسيه في يدى ابن سعود . وبالمثل أيضا ، إذا كانت الدراسة الكاملة للحركة تتركز على المعارك الكثيرة التي خاضتها الحركة مع ابن سعود أو ضده ، فأنا هنا أركز على معركتين فقط ، هما معركة تربه والسبلة ، نظرا لأهميتهما الخاصة لنشأة الحركة واندحارها .

وقد هيا السكان السعوديون لى فرصة فريدة درست من خلالها الإخوان في المناطق التي نشأوا فيها ، وبخاصة نجد . وقد اشتملت تلك الفرصة على القيام بزيارات لمستقرى الإخوان فى كل من الأرطاوية والغطط ، وبعض المستقرات

الأخرى مثل الهياتم . وطوال فترة وجودى فى السعودية ، كنت حظيظا إذ التقيت عديدا من زعماء الاخوان والزعماء الوهابيين الذين شاركوا فى الدراما الاخوانية مشاركته شخصيه ، وهم تحديدا ، محمد ابن عبد العزيز الصحابى ، حاكم الطائف بعد سقوطها فى أيدي الاخوان ، وحفيدا مباشرا من أحفاد المصلح محمد بن عبد الوهاب ، كما التقيت أيضا ماجد ابن خثيلة ، حاكم الغطف الحالى ، هجره عتيبه ، والذي كان من قبل الملازم الاكبر لقريبه سلطان ابن بجاد ، الزعيم والمتمرد الإخواني البارز . كما زرت بعض الشخصيات الاخوانية الأخرى مثل عبد الرحمن الدويش ، الحاكم السابق للأرطاوية ، تلك الهجره التي كانت تتبع قبيله مطير . وكانت أمه ولهاء شقيقه لزعيم الاخوان فيصل الدويش ، وهى التي استرحمت ابن سعود ليبقى على حياة أخيها ؛ وسلطان بن عبد الرحمن الدويش ، نجل عبد الرحمن ، والحاكم الحالى للأرطاوية . وقد أعطاني كل أولئك الذين أتيت على ذكرهم ، من وقتهم الكثير كي يجيبوا على الاسئلة التي طرحتها عليهم عن الاخوان ، ويرافقوني إلى كثير من الأماكن فى الأرطاوية والغطف . وقد التقى المؤلف فى مجلس سلطان الدويش بكثير من جنود الاخوان الذين شاركوا فى معارك مختلفة ، والذين تفضلوا على بإحضار الاسلحة القديمه ، والبنادق ، السكاكين ومختلف أنواع الاحذيه التي كان الاخوان يستعملونها فى غزواتهم . وكان من بين هؤلاء الرجال مطلق أبو راس ، الذى قال : ان عمره ٨٣ عاما ، ومرزوق بن مفلح الذى قال أن عمره كان ٧٠ عاما .

وقد خصنى صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، شقيق ابن سعود ، بمقابله معه فى منزله ، أعطاني خلالها إجابات مباشرة ولا مثيل لها عن كثير من المشكلات الحساسة التي تحيط بأصل حركه الاخوان ثم اندحارها ؛ وقد ساعدنى أيضا نجله الأمير عبد الرحمن .

وقد حصلت على قدر كبير من المعلومات التي أوردتها هنا من مكتب السجلات العامة الكائن بشارع شانسرى لين ، فى لندن ، على امتداد ثلاث زيارات مستقلة قمت بها إلى انجلترا فى ربيع وصيف العام ١٩٦٨ الميلادى ، ثم فى صيف العام ١٩٦٩ . وقد أمدتنى المقابلة القصيرة الشيقه التي أجريتها فى لندن مع السير

جون باجوت جلوب ، فى صيف العام ١٩٦٨ ، بخبره طبيه استقيتها من المقابلة ومن مناقشتى حركه الأخوان مع الرجل الذى كان مسئولا ، أكثر من أية شخصيه غير عربيه أخرى ، عن تهيئه الظروف العسكريه — السياسيه التى أسفرت عن إندحار الحركه . وقد أعطانى ذلك المؤلف من خلال الرسائل التى تبادلتها معه الكثير من التبصرات القيمه عن موقف حركه الاخوان وطبيعتها .

وأنا إذ أشكر السعوديين الذين ساعدونى ، أخص بالذكر منهم السيد / فؤاد عنقاوى من وزارة الاعلام السعوديه على مساعدته الفوريه لى فى ترتيب الاتصالات الأولى عندما ظهر أن محاذير العقبات التى تعترض الدراسة التاريخيه الجادة فى السعوديه لا يمكن التغلب عليها ، وأخص بالشكر أيضا زميله السيد / غالب أبو الفرج . فقد قدّمانى إلى عبد الله ابن خميس مدير مصلحة المياه . ولما كان عبد الله ابن خميس ، باحثا بطبيعته فقد دعانى إلى منزله عدة مرات ليناقدش معى الشعر ، والتاريخ العربى والحضارة الاسلاميه . وبعد عدة زيارات بدأ يهتم بمشروع البحث ، ثم بدأت بعد ذلك أبواب البحث تفتح لى ببطء ولكن بصورة مستمرة . وقد عرض على عبد العزيز الخويطر ، نائب رئيس جامعة الرياض فى ذلك الوقت ، الاستفادة من المكتبه والاطلاع على مجموعه الاعداد القيمه من صحيفه أم القرى .

أما الشيخ ابراهيم العنقرى ، وكيل وزارة الداخليه ، فى ذلك الوقت ، فقد رتب زيارة إلى هجره الغطط على أن يستقبلنى حاكمها الشيخ ماجد ابن خثيله ؛ كما رتب لى أيضا زيارة لهجره الأرطاويه ، التى استقبلنى فيها حاكمها الذى رافقتى بشخصه إلى ميدان القتال فى السبله ، التى أنتهت على أرضها الدراما الاخوانيه . وقد وفر الشيخ إبراهيم لى سيارة جيب ، ومؤنا ، وسائقا ومرافقا ليتأكد من إتمام الرحلة بسهولة وبلا منغصات .

وأود هنا أن أشكر السيد / وليام موليجان من قسم الشؤون العربيه بشركه أرامكو ، والسيد / أنيت ماثيوز ، أمينه المكتبه فى الشركه نفسها ، فى ذلك الوقت ، وكذلك السيد / مايك أمين ، ممثل شركه أرامكو فى الرياض ، يوم أن كنت مقيما فيها ، وأشكر أيضا السيد / مالكولم كوينت من شركه أرامكو . فقد ساعدونى

جميعا فى الوصول إلى مصادر مكتبه أرامكو الفنية فى الظهران والاستفادة منها .
وأنا مدين بالشكر الخاص لثلاثة أشخاص لولا مساعدتهم لى طوال السنوات
الماضية لما بدأت فى هذا البحث وهم : وليام سكورجر ، ريتشارد ب . ميتشل ،
استاذى فى جامعة متشجن ثم أمى على تشجيعها المستمر الهادئ لى . وقد قرأ
الدكتور جورج رنتر ، من جامعة ستانفورد المخطوطة ، وأنا أشكره على ملاحظاته
واقترحاته .

فى النهاية ، لا بد أن أنوه بالمرحوم الملك فيصل ، الذى لولا تصريحه لما
أجرى هذا البحث فى المملكة العربية السعودية . وبعد أن أنهيت من المخطوطة فى
الولايات المتحدة ، أرسلت للملك نسخة مجلده منها ، وتكرم بالرد على ب خطاب
شكر .

أن أى قصور فى هذا البحث ، يكون قد حدث رغما عن المساعدات التى ذكرتها
آنفا ، هو مسئوليتى وحدى .

ثوزاند أوكس ، كاليفورنيا

مارس ١٩٧٧

ملاحظة عن تدوين الكلمات العربية صوتيا

من الصعب تحديد منظومة للترجمة تفي بمتطلبات الدقة وتسفر عن نص تسهل قراءته على شخص غير متدرب على اللغة العربية . وتزداد المشكلة صعوبة إذ علمنا أن العرب جميعهم لا يتفقون على منظومة واحدة .

ولذلك فأنا استعمل في هذا البحث منظومة مبسطة لتدوين الكلمات العربية التي ترد في المتن ، ولجأت إلى تدوين علمي للكلمات نفسها في ثبث الكتاب . وفي المواقع التي يجرى فيها الاقتباس مباشرة من مؤلفين آخرين أو من مخطوطات اعتمدت على الهجاء الوارد في النص الأصلي .

وقد أوردت الكلمات العربية واسماء الاماكن التي من قبيل مكة والمدينة بنفس التدوين الشائع لها في اللغة الإنجليزية .

المعادل الانجليزي

الحرف العربى

المتن	الثبت	
a	a	أ
b	b	ب
t	t	ت
th	th	ث
j	j	ج
h.	h	ح
kh	kh	خ
d	d	د

المعادل الانجليزي

الحرف العربي

الثبت	المتن	
dh	dh	ذ
r	r	ر
z	z	ز
s	s	س
sh	sh	ش
s.	s	ص
d.	dh	ض
t.	t	ط
z	z	ظ
,	,	ع
gh	gh	غ
f	f	ف
q	q	ق
k	k	ك
l	l	ل
m	m	م
n	n	ن
h	h	هـ
w	w	و
y	y	ي

القسم الأول
نشأة حركة الإخوان

الفصل الأول

مقدمة

عندما قرر محمد بن سعود ، أحد الأمراء المحليين وحاكم الدرعية ، أن يتزعم ، في العام ١٧٤٤ حركة الإحياء الديني التي نادى بها المصلح الديني النجدي ، محمد بن عبد الوهاب ، المعلم الديني الذي طُرِدَ من محل إقامته في قريه العينه (١) ، لم يكن كل ما نعرفه الآن باسم المملكة العربية السعودية سوى خليط متشابك من البلدان والقرى المستقلة والمراعى القبليه التي يسكنها كل من الحضر المتأخرين ورجال القبائل الهمجيين ، ويحكمها أمراء متصارعين وشيوخ القبائل الذين يشيع بينهم الحسد والغيرة .

وقد تحول الاسلام الحقيقي ، وبخاصة بين بدو نجد ، الى سلسلة هائلة من الممارسات الخرافية ، وعبادة الأشجار والأحجار ؛ وفي أغلب الأحيان ، كان القانون القبلي العرفي هو السائد بين كل من البدو والسكان المستقرين ، كل على حدة ، مما أدى إلى النيل من تأثير الإسلام وسيادة الشرع . فقد غزت القبائل بعضها بعضا ؛ وحاربت القرى بعضها البعض (٢) ؛ ونهب بعض البدو القوافل التجارية (٣) ، بينما قام بعض آخر بالسطو على المسافرين ونشر الذعر والخوف بين الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة لأداء فريضه الحج . وفي بعض الأحيان كانت هناك قطاعات كاملة

(١) تقع مدينة الدرعية على بعد حوالي عشرة أكيال متريه إلى الشمال من مدينة الرياض الحالية - بينما تقع مدينة العينه على مسافة حوالي عشرين كيلا متريا إلى الشمال الغربي من الرياض .

(٢) جريدة أم القرى ، العدد ٢٨٩ ، بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٣٠ م

(٣) حافظ وهبه ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، (القاهرة ، مكتبه النهضة المصرية

من القبائل تعتمد في معيشتها ، على هذا الشكل من العنف والسرقة (٤) .
 كان محمد بن سعود وأتباعه ، في كل أنحاء شبه الجزيرة قد تزعموا ودعموا
 دعوة محمد بن عبد الوهاب التي تقضى بالعودة إلى ممارسة الإسلام الحقيقي القائم
 على القرآن والسنة (٥) على مذهب الامام أحمد بن حنبل . وقد جاءت عودة أهل
 نجد إلى الاسلام الحقيقي عودة أصبحوا معها موالين مخلصين لـ - محمد بن عبد
 الوهاب ، الأمر الذي ذاع على أثره صيتهم في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية
 وأصبح العالم الخارجي يعرفهم بإسم الوهابيين * . ومع ذلك ، فقد كانوا ، في واقع
 الأمر ، يشيرون إلى أنفسهم بإسم الموحدين أو أهل التوحيد unitarians أو أهل
 الوحدة ، وهو مصطلح يؤكد إيمانهم بوحدانية الله (٦) .

وقد استحدثت القوة المركبة من كل من الدين والسياسة درجة شبيهة مطلقه من
 الأمن العام ومركزية السلطة وتعميم الممارسة الدينية في ذلك الجزء من شبه
 الجزيرة الذي دان لسيطرتهم . وبعد انهيار الإمبراطورية الوهابية الأولى ، سادت
 الفوضى والعنف معظم المناطق إلى أن أعاد ابن سعود الأمن إلى المناطق التي
 استولى عليها .

(٤) مقابله مع محمد بن ماجد بن خثيلة ، بن حاكم الغطاط ، مارس ١٩٦٨ . راجع أيضا فيليب ب . جرافيز
 (إعداد) . مذكرات الملك عبد الله ملك شرق الاردن (لندن : جوناثان كيب) ، ١٩٥٥ ص
 ٧١ - ٧٢ .

(٥) هذه اشارة الى مجمل التعاليم السنية كما هي محددة عند الجماع الستة في العصور الوسيطة .
 * انظر ضمن الملاحق كلمه عن " الوهابية " وأسباب هذه التسمية نقلا عن خير الدين الزكلى ، شـسـبـه
 الجزيرة ، في عهد الملك عبد العزيز ج ٤ ص ٨٣١ - ٨٣٤ ، بيروت ١٩٨٥ . (إضافة من المراجع)

(٦) ر - بايلي ويندر ، المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر (لندن : ماكميكلان
 ١٩٦٥) ، صفحة ١ (هامش)

وجاء قيام الأسرة السعودية مترامنا مع قيام الأسرة الوهابية * . وراحا يتقاسمان سويًا النصر والهزيمة ، النجاح والفشل . وبحلول العام ١٨١١ أوعزت انتصاراتهما العسكريه المتلاحقه في شبه الجزيرة ، في سوريا ، وفي العراق ، إلى السلطان العثماني بأن يصدر أوامره إلى محمد علي ؛ تابعه الألباني في مصر ، بإرسال حملة عسكريه تسحق الحركه الوهابية في مهدها . وقد تحقق هذا الهدف بتدمير الدرعيه ، عاصمة الوهابيين في العام ١٨١٩ م . وبعد إنزال الهزيمة بالوهابيين وارتهان ، وقتل أو نفى عدد من أفراد الأسرة السعودية عادت نجد من جديد لتشهد حالات التناحر القبلي وإغارة القرى بعضها على بعض بسبب الفراغ الناجم عن انهيار السلطه المركزيه . وبرغم نجاح قله قليله من أفراد الأسرة السعوديه في فرض سيطرتها على بعض المناطق الصغيره ، إلا أن ضياع نجد منها أصبح حقيقه مؤكده بإنهاء القرن التاسع عشر . ففي العام ١٩٠٠ الميلادي كان عجلان الشمري يحكم الرياض ، باسم محمد بن الرشيد ، الغريم الأول للأسرة السعوديه . وكان الأمراء الهاشميون يحكمون الحجاز لحساب السلطان العثماني ، في حين كان العثمانيون أنفسهم يسيطرون على الأحساء ، المنطقه الشرقيه .

* اعتاد كثير من المؤرخين والكتاب المستعربين وغيرهم ، على استعمال مصطلح "الوهابيه" عندما يتحدثون عن الدعوة السلفيه التي قام بها الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بل إن بعضهم يتوسع في استعمال هذا المصطلح ، حتى يشمل حكم الدولة السعوديه في ادورها المختلفه ، وهو خطأ علمي وتاريخي واضح ، إذا أن الدعوة السلفيه هي الجانب الديني ، الذي أزره الحكم السعودي في أدواره التاريخيه المعروفة وهذه الدعوة حددت أحكام الدين الاسلامي وعادت به إلى ما كان عليه السلف الصالح . ولذلك فإنه ليس من النهج العلمي استعمال صيغة المثني في قول المؤلف "انتصاراتهما العسكريه" أو استعمال كلمة الوهابيه أو الوهابيين للتكليل على الدولة .

وأبلغ ما يقال في هذا الموضوع ، قول الملك عبد العزيز ، في إحدى خطبه بمكة : "يسموننا بالوهابيين" ويسمون مذهبنا بالوهابي ، باعتبار انه مذهب خامس . وهذا خطأ فاحش ، نشأ عن الدعايات الكاذبه التي كان ييثرها أهل الأغراض . نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد . فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه السلف الصالح . (الزركلي ، خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج ٣ ، ص ٧٩١ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٥ م) . (المراجع)

وغابت نجد مرة ثانية عن انظار المسرح الدولي ، وعندما حوّلت أوروبا أنظارها الى الجزيرة العربية فإنها كانت تتطلع إلى الحجاز .

وقد يندهش المراقب العارض للمشهد في الجزيرة العربية آنئذ ، إذا ما علم أن توحيد الجزء الأكبر من الجزيرة العربية في الفترة من ١٩٠١ - ١٩٢٥ ، من حدود الأردن في الشمال إلى حدود اليمن في الجنوب ، قد تحقق على أيدي واحدة من الأسر النجدية المحليّة ، هي آل سعود ، أكثر منه على أيدي الأسرة المالكة الهاشمية في الحجاز التي اكتسبت بريقاً دولياً من خلال حكاية لورانس والثورة العربية . جده المفخره ، المرفأ البحري والمقر السياسي للحكومة الهاشمية ، مدينه متقدمه نسبياً بفعل اتصالها الطويل بالأتراك العثمانيين ، البعثات الأجنبية ، وبفعل اتصالها أيضاً بمئات الآلاف من الحجاج من كل أنحاء الدنيا بما في ذلك مكة ، التي تضم الحرم الشريف ؛ المدينه ، مدينه الرسول ، والطائف ، ذلك المنتجع الجبلى الذى تبتلعه الجبال فى الجنوب الشرقى من جده ؛ الحجاز باحتوائه على كل هذه المدن الرئيسيه من الجزيرة العربية يمكن ان يُنَجِب الرجل أو الرجال الذين يستطيعون توحيد شبه الجزيرة . ومع ذلك ، فإن مكة ، التي كان يحرسها جيش حديث نسبياً ، المدينه التى تعد جوهرة فى تاج الخليفه الاسلامى الفريد ، اثبتت أنها أضعف الحلقات فى سلسلة هذه المدن . فهى عندما استسلمت للإخوان فى النهايه فعلت ذلك دون أن تطلق طلقه واحدة . كما لم تشهد أيامها الاخيريه أى شكل من أشكال الإقتتال بالسيوف . فقد كان تهديد الإخوان بالهجوم على المدينه كافياً لاستسلامها ، فى حين استثنى الإخوان الجزء الأكبر من جده من الهجوم لوجود البعثات الأجنبية بها .

من ناحيه أخرى ، فقد ارتكزت قدرة نجد الفائقة على توحيد شبه الجزيرة ، على الأسس الدينية والسياسيه الصلبه التى أرساها هناك قبل مائتى عام كل من محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ، تلك الأسس التى اندفنت بحلول العام ١٩٠٠ الميلادى ، إذا جاز التعبير ، تحت الرمال المتقلبه ، أو إن شئت فقل نجد ، ومع ذلك فقد بقيت هذه الأسس على قيد الحياه .

وشخصيه الملك حسين ، الذي نصَّب نفسه زعيما للعرب ، والذي لم يكن قادرا على حكم ولايته ، تتناقض تناقضا واضحا مع شخصية ابن سعود ، الذي كرَّس حياته ومواهبه لاسترجاع ممتلكات أسرته (٧) ، وبدأ مهمته الشاقة في إزالة الرمال والكشف عن البنية التحتية الوهابية ، وبنى عليها مملكة وهابية جديدة . وفي ضوء ذلك ، تصبح إعادة توحيد نجد مع كل من الحجاز وعسير محسوبة ، وليست عملية عارضة ، في حساب التاريخ . وقد نصب نفسه ملكا على كل من الحجاز ونجد في غضون ثلاثة عقود من استيلائه على الرياض .

بدأت سيطرة ابن سعود على الاحداث في الجزيرة العربية اعتبارا من تاريخ استيلائه هو ورفاقه الأربعين ، على مدينة الرياض في العام ١٩٠٢ الميلادي حتى وفاته في العام ١٩٥٣ : وابن سعود ، بوصفه نجديا ، لم يتوفر له سوى المبادئ الاساسية للتعليم الديني (٨) ، وتربى على خشونة المنفى مع والده بين بدو المرء (٩) ، أشد بدو شبه الجزيرة العربية حرمانا وبدائية ، لم يذهب قط إلى الحجاز قبل العام ١٩٢٥ الميلادي عندما ذهب إلى هناك يطالب بذلك الذي استولى عليه الآخرون بإسم الله ثم بعد ذلك بإسمه هو .

وعبقريّة ابن سعود لا تتمثل في قدرته على جمع البدو تحت لوائه عن طريق الاجماع أو القهر فقد استطاع كثير من الزعماء تجميع البدو مرارا في حوايات تاريخ شبه الجزيرة - ولا حتى في غزوه الخاطف لـ - نجد أو انتصاراته التي تلت ذلك في كل من الحجاز وعسير . إذ أن هذه الغزوات كانت قد تحققت من قبل على

(٧) أمين الريحاني ، نجد وملحقاتها (بيروت : شركة دار الريحاني للنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤) ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٨) محمد مغيربي فتيح المدلي ، فرقه الإخوان الاسلاميه بنجد ، ١٩٢٣ ، بدون ناشر ، صفحـه ١٩ - ٢٠ .

(٩) هـ . ر . ديكسون ، الكويت وجيرانها (لندن : جورج آلين وأتوين ليمنتد ، ١٩٦٥) صفحة ٩٣ . يقال أن قبائل المره كانت تشرب ألبن النياق فقط نظرا لأن مياه مرعاهم كانت مالحة إلى الحد الذي لا تصلح عنده للاستهلاك الأمي .

أيدي قادة آخرين في الجزيرة العربية . والأحرى من ذلك ، أن عبقريته إنما تتمثل في انشائه حركة الإخوان ، التي تكونت عن طريق إحياء الإسلام بين البدو من ناحيه وأقناعتهم ، من ناحيه أخرى ، بالإستقرار في مجتمعات زراعية - عسكرية - شبه اقليمية أطلق عليها اسم *الهجر* (١٠) . وقد جاءت حركة الإخوان التي انشأها وعززها ابن سعود برغم الإعتراضات التي جاءت من أقرب أفراد عائلته إليه (١١) ، بمثابة حل فريد للمشكلات السياسية التي ظل البدو يضعونها طوال عدة قرون في وجه أولئك الذين كانوا يغزون شبه الجزيرة ويحكمونها ، ذلك الحل الذي غاب عن أجداده وأسلافه المشهورين . وبرغم أن حركة الإخوان خلقت الكثير من المشكلات الخطيرة لابن سعود ، طوال حياته القصيرة ، إلا أنها أثبتت صدق رؤيته لها باعتبارها أداته الرئيسة لتوحيد شبه الجزيرة .

كان القرويون النجديون بمثابة أشد المواطنين ولاءً وصدقاً غير أنهم لم يكونوا على استعداد لترك حقولهم ومحلاتهم مدداً طويلاً يقضونها في حملات عسكرية بعيداً عن ديارهم ؛ من ناحيه أخرى ، فإن البدو بحالهم الرعوييه بلغ ولاؤهم من الانتهازية والتقلب مبلغاً لا يسمح لهم بالثبات الذي يحتاج إليه أي قائد عربي في الغزوات النائية بعيدة المدى . وبرغم ذلك ، فإن حركة الإخوان ، وفرت لابن سعود قوه عسكرية اتسمت بالزهو يمكن تعبئتها وتسريحها على وجه السرعة ، وتجمع بين خفة حركة البدو ومصادقية القروى وولائه السياسى .

وبعد أن تخلص الإخوان عن تحركاتهم البدوية ليعيشوا حياة مستقرة ، تحولوا ، بعد أن كانت تسهل السيطرة عليهم في *الهجر* ، إلى مقاتلين أشداء عندما كانوا يواجهون اعداء ابن سعود . وأصبح هؤلاء الإخوان هم فاتحى كل من حائل والحجاز والجوف . ومع ذلك فإن هؤلاء الإخوان وهم في قمة نجاحهم وقوتهم ، ثار الكثيرون منهم ، بقيادة شيوخهم الأكفاء ، في وجه ابن سعود ثورة الغضب الذي

(١٠) واحدها هجره .

(١١) حافظ وهبه ، *الايام العربيه* (لندن : آرثر باركر ليمتد) ، ١٩٦٤ ، صفحة ١٣٢ - ١٣٣ .

كانوا يحتفظون به من قبل لأعدائه وغير الموالين له . ولما كان ابن سعود قد حرّم على الإخوان غزو العراق ؛ والأردن والكويت ، تلك المناطق التي كانوا قد لُقِّتوا أنها ملاجئ غير الموالين ، ومن ثم فهي أهداف مشروعة لهم ، بدأوا يشعرون بخيبة الأمل والاحباط جراء افتقارهم إلى الأهداف التي يصبون عليها جام عسكريتهم التي تولدت فيهم نتيجة حماسهم الديني الشديد . يضاف إلى ذلك ، أن الإخوان عارضوا إدخال ابن سعود للابتكارات الحديثة ، التي من قبيل التليفون ، التلغراف ، والسيارة التي كانوا ينظرون اليها باعتبارها بدعاً شيطانية . كما اعترضوا أيضاً على زيادة اتصالاته وتعاونه مع البريطانيين . وبعد أن إتهموه بخيانه نص وروح العقائد التي أنكأها ، هو نفسه ، فيما بينهم ، تحدوه أن يقودهم في مواجهه الملحدين في العراق أو يدخل بهم معركة ضد هؤلاء الملحدين . وفي شهر مارس من العام ١٩٢٩ الميلادي التقى الإخوان ابن سعود مرة ثانية في ساحة القتال ولكن بوصفهم أعداء له في تلك المرة . وجاءت هزيمة الإخوان في معركة السبلة ، بمثابة دق ناقوس وفاة هذه الحركة باعتبارها قوة عسكرية لها مغزاها من ناحيه ، وباعتبارها ، من الناحية الأخرى ، قوة حيوية موجّهة لنمو الدولة الجديدة وتطورها . وبذلك يعد تمرد الإخوان بمثابة آخر الجهود التي بذلها البدو المتمردون بقيادة مشايخ القبائل التقليديين ، من أجل استمرار نفوذهم وسيطرتهم على الدولة الجديدة الناهضة . كان الإخوان يهدفون من وراء هذا التمرد إلى درء المصير الذي استشعروا أن ابن سعود قد حدده لهم ؛ وعلى النقيض من ذلك ، لم ينجح ذلك التمرد إلا في تقديم موعد القضاء على هذه الحركة . وعوقب الإخوان على عدم ولائهم ؛ وأدخل كبار زعماء هذه الحركة السجن التي توفي بعضهم فيها . وبقي جنود الحركة العاديون في هُجرهم يحصلون على الإعانات من الحكومة المركزية ، ولكن مع انحسار تأثيرهم المباشر على شئون الدولة . ولم يعودوا الجنود العاديون بعد القوة العسكرية المهيمنة في البلاد . ومع ذلك ، فإن الوجود الزهوى لهؤلاء الجنود ، واهتمامهم البالغ بالتفاصيل الدينية ووطنيتهم الزائدة استمرت في دعم والتأثير على شخصيه الدولة التي ساعدوا في إنشائها .

الفصل الثانى

نجد ١٩٠٠ - ١٩١٢

يطلق الناس على شبه الجزيرة العربية إسم الجزيرة العربية التى يحيط بها البحر من ثلاثة جوانب ، بينما تحدها الصحراء السورية الشاسعة من ناحية الشمال . ونجد ، بمعنى من المعانى ، هى الجزيرة التى تقع داخل هذه الجزيرة . وتضم نجد كلا من عنيزة ، بريدة ، الرياض فضلا عن تشكيله أخرى من البلدان والقرى مثل المجمع والزلفى ، وتحيط بنجد من جميع النواحي ، الصحارى الرملية الحاجزه أو مخلفات صخور الحمم البركانية . وقد عاشت على هذه الصحراء ، التى تنتشر فيها القرى ووحدات النخيل ، القبائل النجدية البدوية العظيمة مثل : حرب ، قحطان ، مطير ، عتيبة ، شمر والدواسر (١) التى استطاع أفرادها من خلال هجراتهم الداخلية عبر الصحراء ، أن يصنعوا من الصحراء والمدن نسيجاً مشتركاً . واستطاعت القبائل عن طريق جعل المدن والواحات مراكز اجتماعية ، مراكز للإمداد والتموين ، ومنابع للتغذية الدينية ، استطاعت القبائل عن طريق هذه الصلات وعن طريق الأفراد الذين اختاروا البقاء فى هذه الأماكن ، أن تقوى الروابط الثقافية وروابط القرى ، وأن تمزج من جديد بين سكان الحضر ودم الصحراء ، ومن ثم استطاعت تلك القبائل تقوية الروابط المشتركة بين كل من سكان الصحراء وبعض أقاربهم الضعفاء الذين استسلموا من قبل لسجون البلدان التى كانت تحيط بها الأسوار .

وابتكر سكان الريف والحضر النجديون رأياً غريباً فى الدنيا قوامه : العزلة ، التقشف والاقتصاد . وكان منتهى فرح هؤلاء السكان يتمثل فى المطر المعتدل الذى كان يغذى محاصيلهم الهزيلة ويتسبب فى ازدهار نخيلهم . ومع ذلك ، فإن سنوات

(١) مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٣) ص ١٤١ - ١٤٢ .

الجفاف وفيضانات وسيول الغرق كانت تجلب لهم البؤس والفقر ، وتنزل بهم الكثير من الخسائر في الأرواح والممتلكات . كانت الحياة في المدن النجدية ، حياة زهد ، المباهج فيها قليلة وسريعه الزوال (٢) . وقد خلت احتفالاتهم من الموسيقى ، هذا إن قدر لنا أن نطلق على عطلاتهم الرسمية اسم احتفالات ، ولم يستعملوا غلايين التبغ أو كنوس النبيذ في التخفيف من توترات النهار * . وكانت تلاوة القرآن والحديث هي أقصى ما يدور في تلك الاحتفالات الأصولية التي كانت توحد بين هؤلاء الناس في الزواج أو تستودعهم القبور الشرعية ، unmarked . وكان المصير الذي ينتظر الحضر والبدو هو : اليوم على وشك المجاعة وغداً يصير شعبانا .

إذا كانت عقلية بدو نجد تختلف عن عقلية أهل الريف إذا ما قارنا بينهما ، فإن ذلك الاختلاف يتلشى تماماً عندما نقارن عقلية هؤلاء البدو بعقلية العرب الآخرين الذين كانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية وهم بالتحديد : سكان الحضر في الحجاز ، القبائل الشمالية ، وسكان واحات الأحساء .

وينظر أهل نجد ، البدو والمستقرين على حد سواء ، إلى سكان الحجاز على أنهم خلاسيين ويشكون في تدينهم . فقد أدى إنقضاء ما يزيد على ألف موسم من مواسم الحج إلى دخول أعراق ومعتقدات اسلامية متباينة إلى منطقة الحجاز ، وأسفر التزاوج بين تلك الأعراق عن نشوء مجتمع جديد له سلوكياته ، عاداته ومعتقداته الدينية ومواقفه الخاصة به ، ووضعهم في منزلة اجتماعية لها خصوصيتها . وقد أضفى عرب شمالي نجد ، وبخاصة عرب شمر في حائل وعرب الرولة في الجوف الخصائص المميزة لعرب الجاهلية ، على سكان هذه المنطقة .

(٢) بول . و . هاريسون ، "الرياض ، عاصمة نجد" العالم الاسلامي ، المجلد الثامن (١٩١٨) ، ص

٤١٢ - ٤١٩ (ص ٤١٨) .

* لابد أن يلاحظ القاريء العربي المسلم ، لهذه الترجمة العربية ، أن المؤلف يتوجه في خطابه إلى القاريء الغربي ، الذي ألف كتابه بلغته (المراجع)

ونظرا لسرعة هؤلاء الناس في شن الحرب وقرض الشعر ، ونظرا لتباهيهم بالموت في لحظه وامضة من لحظات الشجاعة ، فقد ارتدوا عباءة الدين فضفاضه على أكتافهم . وثمة أناس آخريّن تحولوا بأنظارهم ناحية الشمال حيث مظاهر الترف في كل من سوريا والأردن اللتين كان يرحل إليهما الكثيرون منهم مع قطعانهم كل عام ؛ كانت حياة هؤلاء الناس أسعد من تلك الحياة الصارمة الحزينه التي كان جيرانهم الوهابيون يحيونها في الجنوب . وبرغم أن هؤلاء السكان كانوا مسلمين إلا أن الاسلام بالنسبة لهم ، كان يمثل مجرد جانب من جوانب العبقرية العربية إضافة إلى الصيد ، والصقور ، القصيد الغنائي الرومانسي والغزو .

كانت الف ميل تقريبا من الصحاري تفصل بين الأحساء على الساحل الشرقي والحجاز . وهذه المسافة هي التي أدت إلى تخليد الخبرات التاريخية والدينية المختلفة لسكان هذه المنطقة . وبرغم أن الأحساء تجاور نجد من الناحية الجغرافية إلا أن فجوة سحيقة من الغطسة القبلية والدينية المتبادلة كانت تفصل تماما بين سكانها شأنها في ذلك شأن الصحراء التي كانت تغرقها بين كل من الحجاز والمنطقة الشرقية . ونظرا لأن الأحساء كانت مقر الشيعية^(٣) من المسلمين ، فإنها لم تقلق النجديين إلا لسبب واحد كان يتمثل ، من ناحية في الخطر الناجم عن تمركز حاميات تركيه كبيرة فيها وفي قبيلة العجمان القوية صعبه المراس برغم صغرها والتي اتخذت من الأحساء دياراً لها ، من الناحية الأخرى .

وعلى النقيض من تجار البلدان الكبيرة في الحجاز الذين أنتعشت أحوالهم بفعل تجارة الحج ، والذين كانوا يبتزون الحجاج ويستغلونهم ، نجد أن تجار المدن الصحراوية في نجد قد أحسنوا التعامل مع البدو . كان البدو عندما يعاودون زيارة هذه البلدان أثناء ترحالهم الموسمي ، يشترون احتياجاتهم الضرورية من الدكاكين وفي مقابل ذلك كانوا يزودون الحضر بالإبل ، الماشية ، وبمنتجات الألبان ، في سنوات الوفرة والرخاء . وبرغم اختلاف أساليب الحياة اليومية ، فإن سكان

(٣) هذه الملة واحدة من الملتين الاسلاميتين الرئيسيتين .

الحضر وسكان خيام الشعر كانوا يحيون حياة متشابهة إلى حد كبير . وسكان نجد ، سواء كانوا مستقرين أو من البدو الرحل ، كانوا أشداء أفظاظا ، كما لو كانوا مقطوعين من صخرة واحدة ، وهم الذين شكلوا فيما بينهم واحدا من أكثر المجتمعات وحدة وتجانسا وتفاعلا في شبه الجزيرة العربية .

كانت نجد في ذلك الوقت ، وبخاصة المنطقة المعروفة بإسم العارض تشكل قلب شبه الجزيرة ، وكان الولاء للتعالم الوهابية يسرى فيها مسرى الدم في الشرايين ، وكان ذلك هو سر قوتها الماضية ونهضتها المستقبلية (٤) .

ويجب أن نعلم أن الاتباع الصارم للتعالم الوهابية قد اعتراه شيء من الفتور في بعض أنحاء نجد ، إلى حد ما بين سكان الحضر ولكن بدرجة كبيرة بين البدو . وقد ارتد البدوى الذى كان يعبر الفيافى الجرداء دون أن يفيد من المعلمين الدينيين ، أو الأطباء أو المساعدات الرسمية الأخرى ، إلى الممارسات الخرافية ، التعاويذ ، والتماائم التى ظن المصلح الوهابى الأول أنها أصبحت فى طى النسيان إلى أبد الأبد . ومع ذلك ، فقد بدأ البدوى يعود إلى الوهابية ثانياه بمجرد أن توفر له التثقيف الدينى ، وأصبح مواليا ومقاتلا مثل اسلافه تماما .

وليس من الصعب علينا اكتشاف السبب الرئيسى للتدهور الدينى والسياسى الذى أصاب نجد ، بعد سقوط الدرعية . ففي العام ١٧٤٤ الميلادى ، ابتكر كل من محمد بن عبد الوهاب المصلح الدينى ومحمد بن سعود بائى الامبراطورية ، صيغه للنجاح ، دعماها بالقسم ، تقضى بأن يكون الدين مسئولية محمد بن عبد الوهاب وأن تكون السياسة مسئولية محمد بن سعود (٥) . وقد تولد عن هذا الاتحاد

(٤) أم القرى ، العدد ٢٨٧ (٦ يونيو ١٩٣٠) . راجع أيضا عثمان بن بشير ، عنوان المجد فى تاريخ

نجد (الرياض : دار البنا للطباعة والتجليد ، ١٩٥٣) ، ص ١٤ - ١٥ فى تناوله للممارسات

الخرافية التى عاد إليها البدو قبل أن يتحولوا إلى إخوان .

(٥) ابن بشير ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

الدينى - السياسى ذلك الزخم الذى انتج الإمبراطورية الوهابية الأولى * ، كما أنجبت الذرية التى نتجت عن حالات الزواج بين هاتين العائلتين ، الزعماء الذين كبحوا جماح هذه الامبراطورية واستغلوها فى السنوات التى أعقبت ذلك . وقد بلغت هذه القيادة من القوة مبلغا وبلغ شعب نجد من الولاء لهذه القيادة حداً أصبح من المستحيل معها على الحملة المصرية - العثمانية التى شنت على نجد ، والتى أطاحت بالأسرة المالكة السعودية ودمرت عاصمتهم ، أو على الصراع العائلى المأساوى الذى استنزف فى النهاية قوة العائلة وتسبب فى استيلاء عائلة الرشيد على نجد بكاملها ، أصبح من المستحيل مع كل ذلك تغييب الضمير الوهابى أو تغريبه فى نجد .

ولم يتمكن ابن الرشيد من الاستيلاء على نجد إلا من خلال تدخل القوة العسكرية المصرية الساحقة التى استنفذت موارد العائلة السعودية ، وولدت واستغلت الصراعات والخصومات بين القبائل وبين أفراد العائلة وكان الناس ، شأنهم شأن أى أناس آخرين فرض عليهم القتال لفترات طويلة ، يتطلعون الى وقف القتال مهما كان الثمن . إن تدمير بستان من بساتين النخيل عقاباً لقرية من القرى المتمردة لا يعنى عودة السلام بين عشيه أو ضحاها ؛ كما ان الآبار التى تدمر أو تتوقف عن العمل أو التى يجرى ردمها عقاباً للقبائل المتمردة لا يمكن إعادتها الى سابق عهدها أو تحديد مواقعها إلا بصعوبة بالغة ، إن لم يحدث ذلك على الإطلاق (٦) . ان ثمانيه عقود من القتال المهلك المميت هى التى اسلمت الرياض ونجد لعائلة الرشيد وهى التى هيأت للأتراك فرصة إعادة احتلال الأحساء .

وما أن تحققت الأهداف السياسية العثمانية بتدمير الدرعية ، حتى بدأ الباب العالى يشعر بالارتياح لانه ترك نجد للقبائل المتناحرة . واقتناعاً من الباب العالى بسيطرته الحازمه على سواحل شبه الجزيرة العربية : الحجاز ، اليمن ، الأحساء ،

* الصواب علمياً وتاريخياً : الدولة السعودية الأولى (المراجع)

(٦) بدأت ممارسة عملية تقطيع النخيل الذى كان يعد المصدر الرئيسى للغذاء والثراء فى أواخر القرن

العشرين ، راجع فيليب . ب . جراليز ، المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

والتي لم تقترب منها أية دولة من الدول الأجنبية ، أصبح لا يعير حكام نجد اهتماما كبيرا طالما لم يجر التعدي على سيادتها . حدث كل ذلك ، في الوقت الذي كان الباب العالي لا يرغب فيه في إحياء القوة الوهابية من خلال استعادة الأسرة المالكة السعودية ، كما أنه لم يكن يرغب أيضا في القضاء على هذه العائلة قضاء تاما كقوة عسكرية - سياسية ، خشية أن يخل بالتوازن القبلي ، ويسفر تدمير المنليث السعودي عن قوة بديله لها الخطر نفسه وتتمثل في عائلته بن الرشيد .

وأصبح آل الرشيد الأداة الوحيدة للإدارة العثمانية في نجد ولم يكن مرد ذلك إلى تحالف طبيعي بين هاتين المجموعتين ، وإنما لرفض عبد الرحمن ، والد ابن سعود ، وكبير العائلة ، أن يحكم الرياض حكما شكليا بإسم الباب العالي . وبعد أن أرسل عبد الرحمن عائلته وخدمه إلى الكويت طلبا للجوء السياسي ، التجأ إلى قبيله بني مرّه في الربع الخالي ، حيث تربى ابنه الشاب ، ابن سعود ، بين هؤلاء البدو الشجعان . ثم لحق بعد ذلك بالعائلة في الكويت . ومع غياب عبد الرحمن في المنفى الذي فرض عليه في الكويت ومع تشتت بقية أفراد العائلة السعودية أتمت سيطرة أبناء الرشيد مع أنها كانت سيطرة شكلية فقط .

وحتى بعد أن تحسن طالع العائلة السعودية بعد استيلاء ابن سعود على الرياض في العام ١٩٠٢ ، فإن العثمانيين - بناء على فشلهم في نجدة آل الرشيد - لم يفهموا أو يُقَيِّمُوا التهديد الذي بدأ يشكله استيلاء ابن سعود على الرياض ، لوضعهم في الجزيرة العربية . وفيما يتعلق بالبريطانيين ، القوة العالمية الوحيدة الأخرى التي كانت تهتم بالمنطقة ، كانوا مهتمين بألا يفعلوا شيئا يمكن أن يسيئ إلى سيطرة العثمانيين على الجزيرة العربية . وقد ظهر ذلك بشكل واضح في برقيه التأييد التي أرسلت إلى هوايت هول Whitehall في لندن ، إلى حكومة الهند ، عناية اللواء السير بيرسي زد . كوكس ، الممثل السياسي في البحرين . وقد ورد ما يلي في البرقيه المؤرخة ٩ يوليو من العام ١٩١٣ :

صدرت في اليوم العاشر من شهر يونيو تعليمات بالبرق إلى حكومة الهند تقضى بأن السياسة الحكومية لصاحب الجلالة تقضى بدعم الحكومة التركية في آسيا

الصغرى ، والابتعاد بقدر المستطاع عن التدخل المباشر أو غير المباشر فى نجد ؛ وأن تكون اتصالات الضابط السياسى باين سعود فى أضيق الحدود ؛ وأن حكومة صاحب الجلالة ترغب قبل كل شئ فى ألا يقال أو يفعل شئ فى الوقت الراهن يثير شكوك تركيا أو فى أى مكان آخر يرغبونه أو يساعد على تفكك القوة التركيه فى أسيا . وفى ضوء هذه الأوامر المتكررة والصريحة ، يرى اللورد كرىوى أن من الضرورى الإبراق بذلك مرة ثانية (٧) .

لقد بلغ الإلتزام ، بتنفيذ هذه السياسة ، حداً من الصرامة تعين معه أن يتم التنسيق مع أعلى مستويات الحكومة بخصوص زيارة النقيب شكسبير كما يتضح ذلك من البرقيه التاليه :

إلى نائب الملك لشئون الهند ، الى وزارة الخارجيه

من : نائب الملك

التاريخ : ٢٠ ديسمبر ١٩١٣

وزير الخارجيه . يطلب النقيب شكسبير ، الذى يعد الآن ضابطاً سياسياً فى الكويت ، والذى سيقوم بإجازة فى أوائل يناير ، يطلب التصريح له بالقيام برحلة عبر وسط الجزيرة العربيه إلى البحر الأحمر . وقد تلقى النقيب شكسبير دعوة من ابن سعود ، وهو صديق شخصى لشكسبير ، لزيارته فى الرياض ويقترح أن يواصل رحلته من الرياض فى اتجاه حائل . ان شكسبير يجيد العربيه ، وهو شخصياً على دراية بشئون القبائل فى نجد ، وبذلك يصبح مؤهلاً تأهيلاً خاصاً للقيام برحلة من هذا القبيل . والسلام يسود الآن بين القبائل التى تقع على خط سيره ونحن على ثقة أن الرحله يمكن أن تتم إذا ما سمح الموقف السياسى بمنحه مثل هذا التصريح . إن الاستكشاف الذى سيقوم به النقيب شكسبير سيكون مفيداً تماماً من وجهه النظر العسكريه ، السياسيه ، والجغرافيه . ومن الممكن أن يساعد التصريح الذى صدر مؤخراً والذى مفاده أن الباب العالى قد قرر الاعتراف باين سعود متصرفاً على نجد ، على اتمام الرحله دون الإساءة إلى المشاعر التركيه أو

(٧) برقيه إلى السير بيرسى زد . كوكس ، فى ٩ يوليو ١٩١٣ ، مكتب السجلات العامة ، وزارة الخارجيه ،

تركيا ، المجلد ١٨٢٠ رقم الوثيقيه ٣١٦١٠ . (أورد المؤلف ملخصاً للبرقيه) .

إثارة الشكوك . وسيكون من سوء الطالع ، ان يستبعد الانجليز دوما ، لأسباب سياسية ، من استكشاف وسط الجزيرة العربية في الوقت الذي يظل فيه المجال مفتوحا أمام غيرهم من الأجانب (٨) .

وفي النهاية تمت الموافقة على رحلة النقيب شكسبير ، غير أن حرص البريطانيين في هذا الأمر وصل إلى حد موافقة اللورد كريوى على هذا الطلب شخصيا . وحتى عندما كان الباب العالي يطالب بتجد ، وبينما كان البريطانيون يراعون ذلك الطلب ويحرصون عليه ، فإن ابن سعود كان مشغولا بالاستيلاء على نجد وسحب السيطرة من الأتراك .

وبعد الاستيلاء على الرياض في العام ١٩٠٢ الميلادي ، استثار ابن سعود اهتمام الناس وحصل على تأييدهم في البلدان والواحات الصغيرة المحيطة بالرياض ، تلك المستقرات التي كان من عاداتها تأييد عائلة آل سعود . وبعد أن قام ابن سعود بضم الخرج ، المحمل والوشم ، نجح في القضاء على منافسه على العرش ، عبد العزيز بن الرشيد في العام ١٩٠٤ * . وبعد أن احتل ابن سعود بريده في العام ١٩٠٨ أصبح تهديده للأتراك أمرا له شأن كبير . وانتهى الأتراك الذين بدأوا بإمداد ابن الرشيد بالعتاد والمؤن العسكرية ، ثم حاربوا معه جنبا إلى جنب ، إنتهوا إلى أن خاضوا معه معارك كاملة ضد مجندي ابن سعود . وضعفت بالتدريج قبضة الأتراك الذين لم يستطيعوا مسايرة ابن سعود في الحرب التي شنها عليهم وكان شعارها إضرب واهرب . وفي النهاية توصل ابن سعود إلى حل وسط مع الأتراك وسلم بسلطتهم الإسمية معطيا إياهم صيغة لانقاذ ماء الوجه انسحبوا

(٨) خطاب من نائب الملك الى وزارة الخارجية ، بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩١٣ ، مكتب السجلات العامة ، وزارة الخارجية ، تركيا ، المجلد ٥٧٨٨٣ . مرفق بالبرقية كما هي محفوظة في الملفات الرسمية ماله صحفيه توضح أن شابة روسية إسمها كونتس موليتور خططت للقيام برحلة عبر الجزيرة العربية . * الصواب أن ابن رشيد قتل في ٢٧ صفر ١٣٢٤ هـ (٢٣ / ٤ / ١٩٠٦ م) في موضع يُعرف "بروضة منها" من أرض القصيم (الزركلى ، خير الدين ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ، ح ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٢ وهوامشه ؛ بيروت ١٩٨٥ (المراجع)

بمقتضاها من الجزيرة العربية . وبعد جلاء آخر القوات التركيه عن الأحساء فى شهر إبريل من العام ١٩١٣ ، اعترف الباب العالى اعترافا رسميا بخضوع كل من نجد والأحساء لحكم ابن سعود ، الذى اعترف هو بدوره أيضا بسلطة الباب العالى الإسميه ، ولكن بدون أن يسمح بأى شكل من أشكال الوجود التركى على تلك الأراضى . ولم يفتح ابن سعود بهذه الانتصارات وأخذ يخطط لاستعادة المناطق الحدودية من شبه الجزيرة التى كان أجداده قد خسروها . وتحقيقا لهذه الغاية قرر ابن سعود إعادة قولبة البدو وتشكيلهم من جديد على نحو لم يكن له مثيل من قبل ، حتى يستعملهم رأس حربة فى حملته لتوحيد شبه الجزيرة (٩) .

(٩) المدنى ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

الفصل الثالث

أصول حركة الإخوان

معروف عن البدو أنهم متقلبون ولا يعتمد عليهم من الناحية السياسية ، وهذه هي خصائص الذاتيه الكامنه في هؤلاء الناس (١) . فهم ينسحبون من المعركة إذا حمى وطيسها ، ويكون انسحابهم على شكل أفراد أو جماعات ، وذلك إذا ما حصلوا على ما يكفيهم من الغنائم ، أو إذا ما صارت المعركة في غير صالحهم أو صالح قائدهم ، أو عندما يشدد العدو الهجوم عليهم (٢) ، أو حتى عندما يسأمون من القتال أو يملونه . وقد وصف الريحاني ، الرحالة اللبناني - الأمريكي ، وهو من أصدقاء ابن سعود ، انتهازية البدو وصفا صافيا عندما قال : "البدو سيف في يد الأمير اليوم ، وخنجر في ظهره غدا" (٣) . كان البدو يغيرون على بعضهم بعضا طلبا للمتعة والغنائم ، فقد كانت هذه هي طريقه العرب في التسليه وإعادة توزيع الثروة (٤) . وقد لخص حافظ وهبه ما يقوله البدو في هذا الصدد بقوله : "المال مال الله ، يوم لي ويوم لك ، تصبح فقراء ونمسي أغنياء ، وتصبح أغنياء ، ونمسي فقراء" (٥) .

كان الهروب من القتال أو الانسحاب منه عملا من أعمال الحصافة وليس ضربا من ضروب الجبن . لم يكن الهدف هو قاتل أو مقتول ؛ لم يكن البدو يهدفون إلى قتل الجزء الأكبر من العدو كما هو الحال في العمليات الحربية التقليدية . لقد كانت

(١) الريحاني ، المرجع السابق ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) وهبه ، الجزيرة ص ٢٩٥ .

(٣) الريحاني ، المرجع السابق ص ٢٦٠ .

(٤) أ . ج . توينبي ، "مشكله من مشاكل الدولة العربيّه" ، دورية المعهد الملكي للشئون الدوليّه ، المجلد

الثامن (١٩٢٩) ، ص ٣٦٧ - ٣٧٥ (ص ٣٦٨) .

(٥) وهبه ، المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

تقضى بالحفاظ على أهميه الأرض ، والبضائع ، والإبقاء على طرق التجارة والقوافل مفتوحة أمام إرسال واستقبال السلع . لقد حارب هؤلاء الرجال حرب الشجعان الذين ضحوا بالكثير وكانوا يتطلعون إلى الانتصار ثم العودة إلى الديار .

كانت نواة الجيش الذى استعمله ابن سعود لطرد الأتراك من نجد مكونه من السكان الحضر . ولم تشارك فرق البدو فى القتال إلا على النحو الذى كان يراه ابن سعود أو عندما يكون ذلك تلبيه لرغبات البدو أنفسهم وتحقيقا لنزواتهم . ومع تسليم الأتراك بخسارتهم للمدن الواحدة تلو الأخرى ، تعهد السكان بموالاه ابن سعود واستعدوا للدفاع عن أنفسهم ، الأمر الذى أسفر عن الاستغناء عن حاميه تقوم بالدفاع عنهم . وقد تمكن ابن سعود ، بفضل ذلك أيضا ، من العمل بقوة صغيرة تتمتع بخفة الحركة فى مساحة كبيرة مواليه له ومعادية لخصمه . ومع اتساع مسرح عمليات ابن سعود ومع ابتعاده عن الرياض ، مع كل ذلك ، أصبح من الواضح لابن سعود ان القوة العسكرية التى احتل بها نجد لم تعد تناسب الغزوات والعمليات العسكرية التى أعدها وخطط لتنفيذها فى اجزاء بعيدة من شبه الجزيرة العربية . وبرغم اخلاص السكان الحضر وولايتهم لابن سعود لم يكونوا على استعداد لترك حقولهم وواحاتهم ومحلاتهم من اجل القتال فى الحجاز أو فى أية مناطق أخرى بعيدة . كان ابن سعود بحاجة الى قوة عسكرية تتمتع بخفة حركه البدو وولاء ، وشجاعة واخلاص واستقرار وثبات سكان الحضر . ولم يستطع ابن سعود كما لم يرغب مطلقا فى تحويل السكان الحضر إلى قوة بدويه ضاربه شبه — عسكرية . كان المصدر البشرى الوحيد المتاح له هو البدو . ومع ذلك فقد كان يعرف جيدا ، أن هؤلاء البدو ، بحكم طبيعتهم التقليدية ، لا يمكن الإعتماد عليهم او الوثوق بهم فى المسيرات الطويلة بعيدا عن نجد ، إذ أنهم قد ينسحبون من القتال فجأة أو ينضمون إلى الخصم . لقد وعى ابن سعود الدرس الحزين المستفاد من الحملة المصرية على الوهابيين فى مطلع القرن التاسع عشر . فقد تخلت قبائل الحجاز ونجد ، التى كانت مواليه فى الأساس ، للعائلة السعودية ، عن الوهابيين وتحالفت مع إبراهيم باشا ، قائد الحملة ؛ وتجرات على توجيه القوات المصريه عبر الصحراء إلى أن وصلت إلى أسوار الدرعية . كما كان ابن سعود يعى أيضا أن

تقضى بالحفاظ على أهميه الأرض ، والبضائع ، والإبقاء على طرق التجارة والقوافل مفتوحة أمام إرسال واستقبال السلع . لقد حارب هؤلاء الرجال حرب الشجعان الذين ضحوا بالكثير وكانوا يتطلعون إلى الانتصار ثم العودة إلى الديار .

كانت نواة الجيش الذى استعمله ابن سعود لطرد الأتراك من نجد مكونه من السكان الحضر . ولم تشارك فرق البدو فى القتال إلا على النحو الذى كان يراه ابن سعود أو عندما يكون ذلك تلبيه لرغبات البدو أنفسهم وتحقيقا لنزواتهم . ومع تسليم الأتراك بخسارتهم للمدن الواحدة تلو الأخرى ، تعهد السكان بموالاه ابن سعود واستعدوا للدفاع عن أنفسهم ، الأمر الذى أسفر عن الاستغناء عن حاميه تقوم بالدفاع عنهم . وقد تمكن ابن سعود ، بفضل ذلك أيضا ، من العمل بقوة صغيرة تتمتع بخفة الحركة فى مساحة كبيرة مواليه له ومعادية لخصمه . ومع اتساع مسرح عمليات ابن سعود ومع ابتعاده عن الرياض ، مع كل ذلك ، أصبح من الواضح لابن سعود ان القوة العسكرية التى احتل بها نجد لم تعد تناسب الغزوات والعمليات العسكرية التى أعدها وخطط لتنفيذها فى اجزاء بعيدة من شبه الجزيرة العربية . وبرغم اخلاص السكان الحضر وولائهم لابن سعود لم يكونوا على استعداد لترك حقولهم وواحاتهم ومحلاتهم من اجل القتال فى الحجاز أو فى أية مناطق أخرى بعيدة . كان ابن سعود بحاجة الى قوة عسكرية تتمتع بخفة حركه البدو وولاء ، وشجاعة واخلاص واستقرار وثبات سكان الحضر . ولم يستطع ابن سعود كما لم يرغب مطلقا فى تحويل السكان الحضر إلى قوة بدويه ضاربه شبه - عسكرية . كان المصدر البشرى الوحيد المتاح له هو البدو . ومع ذلك فقد كان يعرف جيدا ، أن هؤلاء البدو ، بحكم طبيعتهم التقليديه ، لا يمكن الإعتماد عليهم او الوثوق بهم فى المسيرات الطويلة بعيدا عن نجد ، إذ أنهم قد ينسحبون من القتال فجأة أو ينضمون إلى الخصم . لقد وعى ابن سعود الدرس الحزين المستفاد من الحملة المصرية على الوهابيين فى مطلع القرن التاسع عشر . فقد تخلت قبائل الحجاز ونجد ، التى كانت مواليه فى الأساس ، للعائلة السعودية ، عن الوهابيين وتحالفت مع إبراهيم باشا ، قائد الحملة ؛ وتجرات على توجيه القوات المصريه عبر الصحراء إلى أن وصلت إلى أسوار الدرعية . كما كان ابن سعود يعى أيضا أن

قروى نجد الشجعان هم فقط الذين عطلوا تقدم المصريين^(٧) وهجومهم الضارى
النهائى إلى أن استسلموا لتفوق القوة العسكرية . ورفض سكان الدرعية أن
يستسلموا وراحوا يحاربون من منزل إلى منزل ضد المصريين^(٨) إلى أن استسلمت
المدينة رسميا وقد عجل بالنهاية ارتداد شيخ البدو غصاب العتيبي وانضمامه إلى
الجانب الآخر^(٩) . وحلا لهذه المصيبة ، استفاد ابن سعود من خياله وجرأته ، بأن
غير البدو تغييرا جوهريا ، خلال سنوات قلائل ليحولهم إلى قوة خفيفة الحركة
تستطيع أن تجوب شبه الجزيرة بطولها وعرضها ، كما جعل من البدو قوة مستقرة
يمكن وضعها فى مكان بعينه إذا ما أراد هو لها ذلك . فعل ابن سعود ذلك دون
جعبه أو جلبه ، إلى أن ظهرت هذه القوة على المسرح العربى لأول مرة جاهزة
ومتشوقة للقتال تحت اسم حركة الإخوان^(١٠) .

ومصطلح أخوان هو صيغة الجمع للكلمة العربية أخ التى معناها شقيق ولفظ
أخ يشيع جداً فى هذه الايام بين العرب فهم يطلقونه على الغريب الذى لا يعرفون
اسمه ولكنه عربى ، أو على الصديق الحميم . وصيغة الجمع من هذه الكلمة تطلق
أيضا على الذرية التى تنحدر من أب واحد أو على الشخص الذى يكون من القبيلة
نفسها ، أو الدين نفسه ، أو حتى المهنة نفسها^(١١) . ومعنى هذا المصطلح فى
ضوء استعمال الإخوان النجديين له ، يعنى الأخوة التى اكتشفها هؤلاء الأخوان من
خلال الدين المشترك الذى يدينون به ، وفى القرابة التى سبقت الروابط الأسرية
والقبلية ، وفى العداوات الماضية ، مثلما وردت فى القرآن :

(٧) إتش . س . ت - فيلبى ، العربية السعودية (لندن : ايرنست ين ليمتد ، ١٩٥٥) ، ص ١٤٠ .

(٨) إتش . س . ت - فيلبى ، الجزيرة العربية (نيويورك : أبناء شارلز سكرينر ، ١٩٣٠) ، ص ١٠١ .

(٩) ابن بشير ، مرجع سابق ٢٠٨ .

(١٠) إخوان نجد ظاهرة نشأت فى وسط الجزيرة العربية ويجب ألا تخط بينها وبين حركة الإخوان المسلمين
التي نشأت فى مصر .

(١١) مجمع اللغة العربية ، معجم الفاظ القرآن الكريم (القاهرة : المطابع الأميرية ، ١٩٥٣ ، ١ ، ص ٣٠ .

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا (١٢) .

وإذا أردنا تعريفا لهذه الحركة نقول : إن الإخوان النجديين هم أولئك البدو الذين يمارسون شعائر الإسلام الأصولي طبقا للمذهب الحنبلي الذي تشرّبه محمد بن عبد الوهاب ، ذلك المذهب الذي نسيه أجدادهم وأسلافهم أو حادوا عنه ؛ الإخوان النجديين هم أولئك الرجال الذين تخلّوا ، عن طريق اقناع الدعاة الدينيين لهم وبفضل المساعدة المادية التي قدمها لهم ابن سعود ، عن حياتهم البدوية ليعيشوا في الهَجْر التي أنشأها ابن سعود لهم : "الإخوان هم أولئك الذين هجروا البداوة إلى الاسلام ، وهم أيضا أولئك الذين كشفوا علانية عن قطع صلتهم بالماضي بأن لفوا عمامة حول غطّهم * بدلا من الحبل الأسود (العقال) " (١٣) . ويصف حافظ وهبه هؤلاء الناس قائلا : "هم ذلك النفر من البدو الذين تخلّوا عن حياتهم البدوية ووافقوا على أن يقاتلوا في سبيل الله واعلاء كلمته " (١٤) .

ويرتبط مفهوم الهجرة ارتباطا وثيقا بتعريف الأخوان . إذ أن مجرد التفقه في الإسلام لا يؤهل صاحبه لأن يكون واحداً من الأخوان ؛ كما يتعين على المؤمن أن يهجر حياة البداوة ، ويبيع ماشيته ثم يهاجر إلى إحدى الهجر . وتأسيا بهجرة النبي محمد من مكة إلى المدينة والتي كانت بمثابة فجر العصر الإسلامي ، جاءت هجرة البدوي رمزا إلى انفصال البدوي عن بداوته الماضيه انفصالا لا رجعه فيه . ويقول الريحاني في تعريفه للهجر : "الهَجْر هي صيغة الجمع من الهجره التي يقول

(١٢) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، السطر ١٠٣ . راجع أيضا وهبه ، الجزيرة ، ص ٣٢٩ ، وراجع أيضا ابن بشير ، مرجع سابق ص ١٠ - ١١ .

* الغطره عند النجديين هي غطاء الرأس (المترجم) .

(١٣) مقابله مع محمد الصحابي ، الحاكم السابق للطائف ، بعد سقوطها في أيدي الإخوان . ومحمد الصحابي أحد أفراد أسرة آل الشيخ ذائع الصيت ، أحفاد المصلح السابق الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ م الرياض .

(١٤) وهبه ، الجزيرة ، ص ٣٠٩ .

المعجم إنها تعنى التخلي عن العيش بين الكفرة والانتقال للعيش فى أرض الاسلام " (١٥) وفى النهاية نجد وهبه يدخل فكرة البدوى وفكرة الهجرة فى تعريفه للإخوان فيقول :

فى السنوات الأخيرة : أصبحت علماً على سكان البادية الذين تركوا السكنى فى الخيام واستقروا فى أماكن معينة ، وبنوا لسكناهم بيوتاً من الطين سُميت "هجرة" إشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوبة (١٦) .

ويمكن أن نعزو الدور المركزى الذى يحظى به مفهوم الهجرة فى استقرار البدو فى الأرض ، الى التعريف ، الذى أورده المصلح محمد بن عبد الوهاب نفسه عندما قال : "إن الهجرة هى الانتقال من أرض الكفر إلى أرض الإسلام " (١٧) . واستعمال محمد بن عبد الوهاب لمصطلح الهجرة هنا يشير بصورة رمزية إلى هجرة النبى محمد من مكة الى المدينة كما وردت فى كتابه المعنون : الأصول الثلاثة ودلالاتها . وقد استعمل الدعاة هذا الكتاب ، باعتباره مشتملاً على خلاصة للعقيدة الدينية مفرغة فى قالب السؤال والجواب ، طوال الفترة التى قاموا خلالها بإلقاء الخطب والمواعظ على البدو . ومن ثم فقد شبه الدعاة ، ومن بعدهم الأخوان ، انتقالهم من البداوة إلى حياة الاستقرار بهجرة النبى محمد (ص) إلى المدينة كما فعلوا ذلك أيضاً بالنسبة لهروبهم من أرض الكفر إلى أرض الإسلام . ومن رأى الريحانى أن أول إشارة تاريخية إلى هجرة الإخوان وردت فى رسالة من الأمير عبد الله ، نجل الملك حسين ، إلى ابن سعود يقول فيها : "إذا كنت تريد

(١٥) الريحانى ، مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

(١٦) وهبه ، الجزيرة ، ص ٢٩٣ .

(١٧) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الأصول الثلاثة ودلالاتها (القاهرة : دار الطباعة اليوسفيه ،

بدون تاريخ) ، ص ٢٠ .

خيراً للمسلمين فأعِذْ أولئك الذين أمرتهم أن يبيعوا ماشيتهم وقطعانهم وبنيت لهم منازل (الكلمتان اللتان تحتها خط من كلمات المؤلف) (١٨) .

وفى الوقت الذى بلغ فيه الإخوان جميعهم من الوهابية حداً كانوا يتعلمون عنده أصول الإسلام من كتابات ، شروح ، ومواظ المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب فإن الوهابيين لم يكونوا عن بكرة أبيهم من الإخوان . لقد كانت الغالبية العظمى من مدن وقرى نجد يسكنها الاتباع المخلصين للشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ إنهم لم يكونوا ، بل أنهم لم يزعموا أنهم من الإخوان . فقد كانوا من السكان المستقرين (حضرا) ولم يكونوا رحلاً (بدوا) . والعظيم فى الأمر ، أن ابن سعود انتقى من بين هؤلاء القرويين الوهابيين نواة الجماعة (التى قصمت ظهر تمرد الإخوان . وعلى العكس من ذلك ، فإن البدو الذين تعلموا أصول الإسلام ، مع احتفاظهم بطابع حياة الترحال ، لم يكونوا من الإخوان ، والسبب فى ذلك أنهم لم ينتقلوا الى الهجر (١٩) . ومرة أخرى ، نجد ابن سعود يختار من بين هؤلاء القبليين التعزيزات اللازمة لقوته التى شكلها من القرويين والاخوان الموالين له والتى تعاملت مع المتمردين من الإخوان .

ويستطيع الدارس أن يقف على شكل حركة الإخوان بعد العام ١٩١٢ الميلادى بعد أن استعاد ابن سعود نجد ، التى تركها له اسلافه ، يستطيع أن يفهم ذلك فى ضوء الخطط التى وضعها لمنطقة الحجاز . والحقيقة التى مفادها أن الإخوان كانوا فى واقع الأمر ، بمثابة السيف الذى استعمله ابن سعود فى غزو شبه الجزيرة ، لا يمكن التغاضى عنها باعتبارها نتيجة طبيعية أو حتى باعتبارها نتيجة عارضة لهدف آخر من أهداف انشاء حركة الإخوان سواء كانت هذه الأهداف اجتماعية أو اقتصادية . لقد كان ابن سعود نفسه ينظر إلى شبه الجزيرة (٢٠) بكاملها باعتبارها

(١٨) الريحانى ، مرجع سابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٨ .

(١٩) أم القرى ، العدد ٢٩١ (٤٠ يوليو ١٩٣٠) .

(٢٠) سنورد مصطلح شبه الجزيرة ، من الآن فصاعداً ، ليشير إلى المملكة العربية السعودية .

من الممتلكات السابقة لعائلته ، وأنه يتحتم عليه استعادة كل هذه الأملاك ، وقد أوضح ابن سعود هذا الحقيقة للريحاني عندما قال :

لا نُسلم بذرة من حقوقنا ، ولكننا لا نقول في أعدائنا ما يقولون فينا (٢١) . ولا نطلب غير ما كان لآبائنا وأجدادنا قبلنا ، ليعلم أصحابنا الإنكليز .. وليعلم ذلك الشريف وأولاده (٢٢) .

كان ابن سعود يشير في هذه المحادثه بعينها إلى طلب الملك حسين الذي مفاده أن تربه والحزمة ينبغي إعادتهما إلى الحجاز ، وأن حائل يتعين أيضا إعادتها إلى أسرة الرشيد ، ولكن ربما كان ابن سعود يفكر في اليوم الذي يستطيع أن يعيد فيه الحكم السعودي إلى كل من مكة والمدينة وجدة : ويقال أن ابن سعود كان قد أعلن أنه لن يرتاح إلا بعد أن يكرر أعمال جدّه الجريئه في مكة" (٢٣) .

وفي الوقت الذي قد يتبادر فيه للإنسان أن انشاء ابن سعود لحركة الإخوان كان الهدف الاساس منه هو تحسين الرفاه الاقتصادي والاجتماعي الديني للبدو ، نجد أن انشائه العديد من المستقرّات بعد غزوه نجد مباشرة ، وبخاصة أنه كان بحاجة ماسة إلى المال ، لم يكن ضرورة ملحة ؛ وبالمثل أيضا ، فإن ابن سعود لم يكن من طبيعته وبحكم حنكته السياسية أن يحشد مثل هذه القوة المسلحة والقوات العسكرية في كل أنحاء البلاد وبخاصة أن مثل هذه القوات كان يمكن أن تتحدى سلطته بسهولة - وهو ما حدث في النهاية - في غياب هدف أكبر يتوازن مع مثل

(٢١) هذا الاقتباس مأخوذ من رسالة أرسلها الأمير عبد الله بن الشريف إلى ابن سعود في العام ١٩١٧ ، وقد يوضح هذا الاقتباس الملاحظه التي تقول : "أنا لا أنكر أن أحداً منا كتب أى شيء عنك أو عن أى عضو آخر من أعضاء العائلة السعودية يفيد أنكم من الأجانب وأنكم لستم مسلمين حقيقيين" . الريحاني مرجع سابق ص ٢٤٨ .

(٢٢) أمين الريحاني ، ملوك العرب (بيروت : دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٦٠) ، المجلد الثاني ، ص ٥٩ .

(٢٣) حدد زعماء الإخوان ، في مؤتمر القادة الذي عقد في الرياض ، مسلمي الحجاز اهدافا شرعيه للهجوم .

هذه المخاطرة . وحقيقته الأمر ، هي أن ابن سعود أذكى الروح القتالية عن عمد في الهجر ، إضافة إلى أن التلقين الديني ركز بدوره على مهمة مقاتلة الكفار . ونظرا لأن سكان كل من نجد والحجاز كانوا جميعا من المسلمين ، وذلك باستثناء تواجد التجار اليهود في خيبر من حين لآخر ، ونظرا أيضا لولاء سكان نجد ، الذين كانوا يمارسون الوهابية بالفعل ، لابن سعود بصفته زعيما دينيا (إماما) ، وبصفته أيضا سلطانا ، فإن الكفار الذين شجع ابن سعود الإخوان على قتالهم يمكن أن يكونوا هم المسلمين غير الوهابيين في كل من الحجاز وعسير (٢٤) . لو أن ابن سعود صاغ سياسة رد اعتبار البدو لهم حبا فيهم ومساعدة لهم من الناحية الدينية والاقتصادية لتوقعنا منه أن يأخذهم بعين اعتباره أثناء محادثاته مع الأجانب ، الواقع أن ابن سعود لم يأت على ذكرهم . وهو عندما كان يتحدث إلى أمين الريحاني كان يناقش موضوعات بعيدة تماما عن موضوع الإخوان الذي يدور من حوله الجدل (٢٥) . وقد كان ابن سعود يتجنب هذا الموضوع نظرا لأن إنشاء حركة الإخوان كان يركز في الأصل على مطامحه السياسية - العسكرية في بقية شبه الجزيرة . ونظرا لصدق هذه المطامح ، فقد كان ابن سعود يود إخفاءها عن أعين الإنجليز أطول فترة ممكنة بسبب دعمهم ومساندتهم للملك حسين . وقد خدم إخفاء قيام حركة الإخوان ومقدرتها العسكرية أهداف ابن سعود خدمة جلييلة . فمع بدايات نشأة هذه الحركة ونموها لم يكن يزعم أن له أي شكل من أشكال السيطرة عليها (٢٦) ، وعندما أصبحت علاقته بالإخوان أمرا مؤكدا لا يمكن إنكاره ، أصبح يلمح بهجوم الإخوان على أنه قوة يمكن عن طريقها تحقيق هدف محدد .

(٢٤) حدد الإخوان ، في مؤتمر لاحق للزعماء عقده في الرياض ، مسلمي الحجاز على أنهم هم الهدف الشرعي الذي يستهدفونه في قتالهم .

(٢٥) الريحاني ، ملوك العرب ، المجلد الثاني ، ص ٤٣ .

(٢٦) و . ف . سمولى ، "الوهابيون وابن سعود" ، العالم الإسلامى ، المجلد ٢٢ ، العدد ٣ ، يوليو ،

ونظرا للسرية التي كانت تحيط البدايات الأولى لحركة الإخوان ، فإن جذور هذه الحركة وأصولها يكتنفها الغموض ، والارتباك والتناقض . وبرغم أن الحكومة البريطانية بدأت تتلقى تقارير ، من كل من ممثليها في المنطقة ومن حكومة الملك حسين في جده ، عن حركة الإخوان إلا أنها لم تكن لديها في البدايه معلومات كافية عن الحركة تيسر لها فهم مضامين الحركة فهما كاملاً . فقد كتب الملك حسين في ١٨ سبتمبر ١٩١٨ إلى القائم بعمل المندوب البريطاني في جده يناشده قائلاً : "ومن ثم فإن ما يقلقتني قبل أي شيء آخر . هو أن صاحب الجلالة الملك ينبغي أن يجبر الأمير (٢٧) على إلغاء وتسريح ذلك التنظيم الذي يطلق عليه اسم (الإخوان) - تلك الجمعية السياسية التي ترتدى عباءة الدين . . . " (٢٨)

وفي اليوم الرابع من شهر ديسمبر من العام ١٩١٨ تلقى الجنرال ريجنالد وينجات الممثل البريطاني في القاهرة الرسالة التالية من الكولونيل سي . ويلسون الذي عبر عن هذا القلق نفسه عندما قال : "يبدو أن الملك حسين قلق بحق إزاء النتائج الحالية التي اسفر عنها نشاط (الإخوان) ومن هنا فإن مناشدته للبريطانيين طلباً لمساعدتهم ربما يكون له ما يبرره . ان عبارته التي تقول أن (بريطانيا العظمى) قد وافقت على مساندته ودعمها له ليست حسب فهمي عبارة حقيقية . . . " (٢٩)

وكان الجنرال وينجات Wingate قد كتب عن الموضوع نفسه ، إلى آرثر جيمس بلفور ، قبل ذلك بعدة أشهر ليقول له : "سوف تلاحظ أن أرتياب الملك

(٢٧) يشير بهذا اللفظ إلى ابن سعود الذي كان يعرف في ذلك الوقت باسم أمير نجد .

(٢٨) رساله ارسلها الملك حسين إلى القائم بعمل الممثل البريطاني في جدة في اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر من العام ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، محفوظات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٣٣٩٠ ، رقم الوثيقة ١٦١٨٩٨ .

(٢٩) برقية مرسله من الكولونيل ويلسون وخطاب من الملك حسين ، في ١٥ ديسمبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، محفوظات ، وزارة الخارجية ، والمجلد ٤١٤٤ ، رقم الوثيقة ١١٨١ .

(حسين) فى حركة الإخوان أمر واضح تماما " (٣٠) . واستطرد وينجات بعد ذلك فى التعبير عن آرائه فى الاخطار المحتملة لحركة الإخوان . وقد كتب أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الملاحظه التالية على خطاب التغطية الذى أرفق برسالة وينجات : "من الصعب إعطاء الملك حسين مبررا لمطالبته بقمع حركة الإخوان فى منطقة ابن سعود ، برغم أنه يجوز له اتخاذ الإجراءات التى تكفل له إبعاد الإخوان عن منطقته هو . ولما كان هذا الشأن فى أساسه شأننا دينيا يخص العرب المستقلين ، فإن ذلك يجعل من الصعب على صاحب الجلالة الملك اتخاذ أى إجراء" (٣١) . ويتضح من ذلك أن البريطانيين ، حتى أواخر العام ١٩١٨ لم يفهموا الهدف الذى انشأ ابن سعود من أجله حركة الإخوان ؛ أما الملك حسين ، فقد كان على النقيض من ذلك ، إذ استطاع تقييم المضامين السياسية الإضافية لهذه الحركة .

هناك أيضا من يصرون على أن ابن سعود لم يشكل حركة الإخوان ، وإنما كانت هذه الحركة قائمة بالفعل وأن كل ما فعله ابن سعود لا يعدو أن يكون مجرد استغلال لهذه الحركة فى تحقيق أغراضه الخاصة . وإذا كانت وجهه النظر هذه تتطوى على بعض المحاسن ، فضلا عن عدم وجود أى دليل لا يثبت أن انتفاضة دينية ، أيا كان حجمها ، كانت قائمة يوم أن تولى ابن سعود زمام الحكم فى نجد ، فإن هذه الحجج كلها لا يمكن أن تحوّل هذه الحركة الدينية من مجموعة صغيرة من الموالين المخلصين إلى قوة عسكرية على درجة عالية من التشكيل والتنظيم . بعض آخر من المؤلفين يصرون على أن ابن سعود لم ينشئ حركة الإخوان بنية الاستفادة منها كقوة ضاربة فى غزوه لشبه الجزيرة ، وأن هذه الاستفادة من الإخوان إنما جاءت كفكرة لاحقه بعد ذلك ، وهذه الحجج لا تشكل رداً على السؤال

(٣٠) رسالة من الملك حسين ارسلت تحت غطاء رساله أخرى أرسلها وينجات Wingate الى بلفور Balfour ، فى ٣ أكتوبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، محفوظات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٣٣٩٠ ، الوثيقة رقم إي ١٧٧٥٩٦ .

(٣١) المرجع السابق . (راجع خطاب التغطية المرفق بهذه الرسالة .)

الذى يتعلق بالأسباب التى دعت ابن سعود إلى انشاء هذه الحركة فى ذلك الوقت بالذات .

ومن رأى صاحب هذا رأى أن جميع المصادر التى رجع إليها بشأن حركة الإخوان ، سواء كانت هذه المصادر أصلية أو ثانوية ، أو على شكل معلومات تلقاها ، عن طريق المشافهة ، من معاصرى ابن سعود ، تجمع على أن ابن سعود هو الذى أنشأ حركة الإخوان . والاستثناء الوحيد من كل هذه المصادر يتمثل فى ذلك التناقض الواضح بين ما كتبه هـ . ر . ب . ديكسون Dickson عندما كان ضابطاً سياسياً فى الكويت فى أوائل التسعينات ، وذلك الذى كتبه بعد ذلك بعدة عقود . فهو يورد ما يلى فى كتابه المعنون : الكويت وجيرانها :

نشأت (حركة الإخوان) على حد علمى على يدى الشيخ المتدين الموقر عبد الكريم المغربى ، الذى كان فى وقت من الأوقات كبير علماء المرحوم فالح باشا السعدون شيخ اتحاد المنتفق . ثم أصبح بعد ذلك عالماً مع مزالع باشا السعدون ، والد إبراهيم بك السعدون الحالى . وبعد أن ترك الشيخ عبد الكريم المغربى الخدمة مع مزالع * باشا رحل الى نجد ، التى أخفى نفسه فيها على شكل مصلح ومعلم دينى فى مدينة الأرتاوية الصغيرة ، التى كانت فى ذلك الوقت عشراً صغيراً من أعشاش الوهابية . وهناك قصة تقول : إن الشيخ عبد الكريم المغربى عاد ، فى العام ١٨٩٩ عن طريق نجد وأنه قد زار الأرتاوية فى طريق عودته . وبدلاً من الترحاب ، الذى كان ينتظره من صديقه القديم ، طرده عبد الكريم الذى وسمه بأنه كافر infidel ومشرك polytheist (٣٢) .

وسوف نثبت فى مرحلة لاحقة من هذا البحث عند مناقشتنا لأصول الأرتاوية أن هذه البقعة لم تشهد أى شكل من أشكال المستقرات المأهولة قبل العام ١٩١٢

* هكذا ورد الاسم فى النص ولكن الأسماء كلها لمسمى واحد . (المترجم)

(٣٢) مقتبسه من ديكسون ص ١٤٩ .

الميلادى . ومن المحتمل أن يكون ديكسون ، المراقب الدقيق للمسرح العربى فى ذلك الوقت ، قد ارتكب خطأ غير مقصود فى تواريخ القرن التاسع عشر .

وقد أبلغ حفيد عبد الكريم المغربى مؤلف هذا البحث ، فى الرياض ، فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٨ الميلادى أن جده لم يهاجر إلى الأوطان إلا بعد إنشاء هذه الهجرة . وقد أيد ماجد بن خثيلة هذه المقولة وأبدى ملاحظة مفادها أن المغربى ، ذلك المهاجر الوردى من شمال إفريقيا ، استقر فى الأوطان بسبب ذىوع سمعتها الدينية والزهدية (٣٣) .

ويحتفظ مكتب السجلات العامة البريطانى بتقرير كتبه ديكسون فى اليوم الثانى من شهر سبتمبر من العام ١٩٢٩ عندما كان مندوبا سياسيا فى الكويت . فقد كتب يقول فى ذلك الوقت :

الإخوان - تأسست من ناحية أخرى على يدى ابن سعود لتخوض له معاركه وتتصرف فيها باسم الدين . والاخوان يحكم أنهم كانوا من البدو لا يمكن الاعتماد عليهم مطلقا ، ونظرا لأنهم كانوا اخوانا وتستمر داخلهم جذوة "الدين" religion فقد أصبحوا بحق لا يقهرون . ويمكن تشبيههم "بمدرعات" كرمويل أو قوات العاصفة الألمانية (٣٤) .

أما فيما يتعلق بابلاغ ابن سعود ديكسون Dickson بأنه لا علاقه له بإنشاء حركة الإخوان (٣٥) ، فقد كتب ديكسون نفسه فى مطلع العام ١٩٢٠ ، الى المفوض المدنى فى بغداد ليقول له : إن ابن سعود كان قد قال له "أنا الإخوان" . كما كتب

(٣٣) مقابله مع ماجد بن خثيلة فى الخطوط فى الرياض ، نوفمبر ١٩٦٨ .

(٣٤) برقيه من الليفتنانت كولونيل هـ . ر . ب ديكسون ، الممثل السياسى بالكويت ، الى المقيم السياسى فى الخليج الفارسى ، يوم ٢ سبتمبر ١٩٢٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات وزارة الخارجية ، المجلد ١٣٧٤٠ ، رقم الوثيقة ٥١٥٤ .

(٣٥) مقتبسه عن ديكسون ، مرجع سابق ص ١٤٩ .

ديكسون في البرقية نفسها يقول (٣٦) :

في زيارتي الأخيرة التي قمت بها إلى الأحساء للقاء ابن سعود (من ٢٩ يناير إلى ٢٠ فبراير) بذلت جهداً عظيماً علني اكتشاف أكبر قدر ممكن من المعلومات عن حركة "الأخوان" . وقد اكتشفت أن هذه المسألة مهمة صعبة ذلك أن الشكوك كانت تحوم من حولى في جميع الأماكن التي حاولت أن أتحرى فيها هذه المسألة . وقد اتضح لى أن الناس قد أُمحّ لهم ، من قبل شخص أو آخر من أهل السلطنة ، ألا يصرحوا إلا بالنذر اليسير . وأنا لا يسعنى إلا أن أتوصل الى نتيجة مفادها أن ابن سعود نفسه كان وراء الأمر بكامله . وأنا أرى أن ابن سعود كان قد أصدر تعليمات عامة بعدم التحدث كثيراً عن الحركة الجديدة أمام الأعراب . . . فلم يكن ابن سعود يود أن يعرف الغرباء أنه هو الذى يقف وراء هذا الأمر برمته ، وأنه هو الذى يقوى الحركة ويوجهها لخدمة أغراضه الخاصة (٣٧) . (الجزء المكتوب بالخط المائل من عندياتي)

كتب العقيد سى . إى . ويلسون ، فى رسالة أرسلها إلى الرائد يونج فى العام ١٩١٩ يقول : من المحتمل أن يكون تشكيل (ابن سعود) لحركة الإخوان الهدف منه هو التوسع السياسى وليس التوسع الفعلى للأخوان المتشددىن فعلا ، وبذلك فإن الدعم الذى يلقاه سيكون فى واقع الأمر دعماً لحركة الإخوان (٣٨) .

وبصفة هـ . سينت . جون فيليبى H . St . John Philby مسئولاً بريطانيا عن المكتب السياسى فى بغداد ، فقد قام بجولة فى نجد فى الفترة من ٢٩ أكتوبر ١٩١٧ إلى الأول من نوفمبر ١٩١٨ كان الهدف منها ترؤس البعثه البريطانىة التى

(٣٦) رسالة ، من اللواء هـ . ر . ب ديكسون ، المندوب السياسى فى البحرين الى المفوض المدنى ، بغداد ، ٥ مارس ١٩٢٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات وزارة الخارجيه ، المجلد ٥٠٦٢ ، رقم الوثيقة (بدون) .

(٣٧) ديكسون ، برقية ، مرسله الى المفوض المدنى ، بغداد ، مخطوطات ، رقم المجلد ٥٠٦٢ ، ٥ مارس ١٩٢٠ .

(٣٨) برقيه من العقيد سى . إى . ويلسون إلى الميجور يونج ، ٩ نوفمبر ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، محفوظات ، وزارة الخارجيه ، رقم المجلد ٤١٤٧ ، رقم الوثيقة ١٥٢٩٩٨ .

أوفدت لتلتقى ابن سعود . وبانتهاء مهمة هذه البعثة كتب فيلبي تقريراً عما دار فى مهمة نجد

ويصف فيلبي فى هذا التقرير حركة الإخوان على أنها التوليفة التى ابتكرها ابن سعود من العنصرين اللذين يتميز العرب بهما تميزاً واضحاً وهما : الإسلام والبداءة :

عندما شرع عبد العزيز فى مهمة التوحيد ، التى واجهته ، لابد وأنه تأثر بالتمودجين اللذين سادا فى وسط جزيرة العرب . فقد كانت قوة محمد بن الرشيد تعزى إلى تلك الخصائص الغريبة التى أوصلت الشتر إلى ما هم عليه - قبيلة بدوية فى مدينه بدويه - ، فى حين وصل سلفه الأكبر سعود بن سعود بجيوشه الغازية إلى أقصى بقاع جزيرة العرب بفضل مزجه الحكيم بين الدين والسياسة ، وهو الأمر الذى حفظ عليه سلطته .

لم يتبع ابن سعود أياً من هذين النموذجين إتباعاً حرفياً - فقد شرع فى الربط بين الاثنين وترتب على ذلك أن ظهرت حركة الإخوان ، التى تمثل خصائصها الرئيسيه فيما يلى :

(١) كانت هذه الحركة مقصورة على البدو من أتباع المذهب الحنبلى الذى كان السواد الأعظم منهم يتبعونه من الناحية الإسميه فقط ، أو هؤلاء الذين أصبح يطلق عليهم فيما بعد أتباع التعاليم الوهابيه ، التى كانت موزعه ، حقيقه فى ولائهم لابن سعود ، بين هذه التعاليم نفسها وأحكام القانون العرفى غير المدون الذى كان ينظم حياتهم ؛ فأهل نجد الذين يسود بينهم رأى عام متشدد فى أمور الدين ، أقوياء ومنظمون تنظيمياً جيداً ، ومن المفروض تماماً أن يكونوا وهابيين مخلصين ، ومن ثم فهم ليسوا بحاجة إلى أى شكل من أشكال الإهتمام الخاص .

(٢) . . . أوضحت الاكتشافات ، وجود مواقع مناسبة ، تم تخصيصها لإقامة مستقرات دائمة عليها ، وبدأت تظهر ، خلال السنوات الخمس أو الست الماضيه ، بعض القرى فى تلك المواقع . . .

وخلصه القول هى أن هدف ابن سعود من تقوية وإنشاء حركة الإخوان هو زيادة قوته العسكريه باستخدام عدد اكبر من رعاياه ، حتى يمكن له تعويض الضعف الذى يكمن فى الدولة البدويه وفى الجيش البدوى والاقتصاد فى موارده عن طريق إحلال الأمل فى ثواب الآخرة محل الإعتبارات

التحليل الذى أورده فيلبى آنفا يتفق اتفاقا تاما مع المعلومات التى أمكن الحصول عليها من الشخصيات الإخوانية التى لا تزال على قيد الحياة من أمثال ماجد بن خثيلة ، من الغطط ، محمد الصحابى ، والدوشان من الأرطاوية ، اللذان ابلغا مؤلف هذا البحث أن رجلا واحدا فقط كان هو المسئول عن انشاء حركه الاخوان وعن سقوطها فى النهاية - ألا وهو ابن سعود (٤٠) .

(٣٩) تقرير عن مهام بعثته نجد ، ٢٩ نوفمبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، وزارة الخارجيه ، المجلد

٤١٤٤ ، رقم الوثيقيه ٤٣٧٠ ص ١ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

الفصل الرابع

حركة الإخوان : الاسطورة والواقع

ولّد ظهور حركة الإخوان الذى يبدو كما لو كان صادرا من تلقاء نفسه ليمثل مسرحيه دراميه موجزه على مسرح السياسة الداخليه ثم بعد ذلك على مسرح السياسة الدوليه ، ولّد هذا الظهور شيئا من التضارب والحدس حول الكيان الحقيقى لهذه الحركة . وقد تفاقم هذا التضارب ، فى معظم الأحيان ، نتيجة ندرة التقارير الحقيقيه والمعلومات المتيسره لعامة الناس عن هذه الحركة . وللأسباب ، التى أوردناها آنفا ، قلّ ابن سعود من شأن الدور الذى لعبه مع حركة الإخوان ، ومن الواضح أيضا أنه كان قد أصدر تعليمات تقضى بعدم مناقشة نشاطات الإخوان مع الأجانب . وهناك سبب آخر تمثل فى عزلة نجد جغرافيا واقتصاديا إلى المواصلات والاتصالات مع العالم الخارجى . وفى الوقت الذى بدأت تتسرب فيه الأخبار عن حركة الإخوان ، كانت هذه الأخبار قد تشوهت ، إما عن طريق المبالغة فى روايه هذه الأخبار ، أو عن طريق تحريفها عن قصد ، أو عن طريق التضليل . ونحن قد لا نعرف مدى المسئوليه التى تقع على عاتق ابن سعود ، إن كانت هناك مسئوليه ، فيما يتعلق بكون الإخوان مخاوف ينبغى تجنبها ، ولكونهم أيضا مقاتلون لا يهزمون كانوا يقتلون دوما الجزء الأعظم من أعدائهم . ومن الواضح أن هذه السمعة ، إذا ما سلّم بها الخصوم ، كانت تضعفهم وتشد من أزر ابن سعود . من ناحية أخرى ، قد لا نعرف مطلقا المدى الذى وصل اليه اعداء ابن سعود ، أنفسهم ، فى مبالغتهم فى خطورة الإخوان ، وتشدهم وذلك فى محاولة منهم — فشلت فى النهاية — لوقف التعاون السريع الذى بدأ يتزايد بين ابن سعود والبريطانيين .

وبنفس القدر أيضا يمكن أن يقال : إن موقف الإخوان أنفسهم إنما كان يشكل عقبة أمام الحصول على معلومات عنهم . ولما كان الإخوان متشددين ، قليلي الكلام ، ومنطوين فلم يكونوا ميالين الى رد تحية الاسلام ، سلام عليكم ، على

أولئك المسلمين الذين كانوا ينظرون إليهم على أنهم كفار ، ولم يكونوا ميالين أيضا إلى مناقشه أسس الصحوة الدينية الجديدة مع الأجانب . وهناك خاصية واحدة من خصائص الإخوان نجدها في جميع التقارير الخاصة بهم ، سواء كانت هذه التقارير مؤيدة أو معادية لهم ، وتتمثل في تشددهم الدينى ، والأكثر من ذلك استعدادهم للموت فى القتال فى سبيل الله والاسلام .

ويتعين علينا تجميع كل المعلومات الدقيقة الأخرى عن معتقدات الإخوان الدينية ، وممارساتهم ، وأصولهم من بعض الحقائق المشوشة التى اختلطت بالخيال والمبالغة ، وأحيانا التشويه المتعمد .

والفكره الخاطئه الرئيسيه عن الإخوان تتمثل فى أنهم شكلوا حركه سرية ذات طقوس غريبه ، وعضوية سرية ، فضلا عن عناصر أخرى خاصة بجماعة سرية مغلقة . وقد أوضح ريجنالد وينجات ، المندوب السامى البريطانى فى مصر ، هذه المسألة عندما كتب إلى آرثر جيمس ميلر ، حول هذا الموضوع فى اليوم الثالث من شهر أكتوبر من العام ١٩١٨ :

سوف تلاحظ أن تشكك الملك (حسين) فى مذهب "الإخوان" واضح تماما ؛ ومن رأى أن هذا التشكك وليس استيائه من التعامل مع زعيم عربى آخر على قدم المساواه ، هو الأساس فى اختلاف الملك حسين مع ابن سعود . وليست لدى معلومات كافيه عن قوة الإخوان وأهدافهم حتى أتمكن من تقدير مدى تخوف الملك حسين من نفوذ الإخوان حق قدره . ولكنى تعلمت من تجربتى فى السودان مدى الخطر الذى يشكله تنظيم سرى يعمل تحت عباءة الدين ^(١) بين سكان غير متحضرين . وفى وقت الشدة يلجأ مثل هذا المسلم إلى الدين مثلما يلجأ بعض أفراد الدول النصرانية إلى المشروب الروحى ، ويكون ذلك المسلم أيضا أكثر تعرضا لالتقاط الشرارة الأولى من شرر التشدد الذى يتحول إلى حريق إذا ما

(١) من المهم أن نلاحظ هنا اختيار وينجات لكلماته "تحت عباءة الدين" ، وهى الكلمات نفسها التى كان

الملك حسين قد استعملها قبل ثلاثة أسابيع فقط فى رسالته التى أرسلها إلى القائم بعمل المندوب البريطانى

فى جده . راجع ص ٢٠ من هذا المستند .

أذكاه زعيم غير حصيف أو مضلل يستحيل السيطرَة عليه ، بأى حال من الأحوال (٢) .

وفى العام نفسه دوّن أحد المسئولين غير المعروفين من وزارة الخارجية فى لندن الملاحظة التالية على خطاب التغطية الخاص بإحدى الوثائق التى تتناول الموقف فى الجزيرة العربيه :

إن تقييم الملك (حسين) لحركة الإخوان تقييما صحيحا ، وسوف تكون هذه الجمعية معادية للحضارة فى منطقة ما بين الرافدين وفى سوريا كما هى معادية لها فى المدينة Medina . ويحتمل أن تكون هذه الجمعية إحدى نتائج الرعاية التركية (٣) .

وقد استثارت تلك الملاحظة الاستفسار التالى الذى جاء من وزير الداخلية لشئون الهند ، إلى المفوض المدنى فى اليوم الأول من شهر اكتوبر من العام ١٩١٨ :

سرى . هناك اقتراح مؤداه أن حركة الإخوان بين اتباع ابن سعود فى وسط الجزيرة العربيه إنما انشأها الأتراك لخدمة أغراضهم الخاصة . فهى ترى أن وجهه النظر هذه لها ما يبررها ؟ (٤)

(٢) رسالة أرسلها ريجنالد وينجات ، المندوب السامى البريطانى إلى آرثر جيمس بالفور فى اليوم الثالث عشر من شهر أكتوبر من العام ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، المجلد ٣٣٩٠ ، الوثيقه رقم ١٧٧٥٩٦ .

(٣) ملاحظه وردت على خطاب التغطية الخاص بالوثيقه رقم ١٦١٨٩٨ فى المجلد رقم ٣٣٩٠ ، مخطوطات ، مكتب السجلات العامة ، ٢٥ سبتمبر ١٩١٨ .

(٤) برقيه من وزير الداخلية لشئون الهند إلى المفوض المدنى ، فى بغداد ، يوم ١ أكتوبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٣٣٩٩ ، رقم الوثيقه ١٦٩٨٥٤ .

وقد ردت بغداد على ذلك الاستفسار بالآتى :

رداً على برقيتكم المؤرخة ١ أكتوبر . ليس لدينا أى دليل يؤكد وجهه النظر هذه وأنا أشك فيها والسبب فى ذلك أن الوهابيين يعتبرون الاتراك كفارا . ومعروف أن وسط الجزيرة العربية هو بؤرة التشدد الإسلامى ويبدو لى أن حركة الإخوان الحالية هى تعبير محلى عن الاضطراب السياسى الذى ينتشر فى قارة الجزيرة العربية (٥) .

وفى اليوم الثانى عشر من شهر مايو من العام ١٩١٨ الميلادى ، وصف الضابط السياسى فى بغداد حركة الإخوان بأنها "حركة اشتراكية ، بمعنى أن الأغنياء يتعين عليهم أن يقتسموا بضاعتهم وسلعهم مع عامة الناس . وقد وردت فى بعض السجلات حالات عديدة لكثير من المشايخ الذين تعين عليهم أن يسلموا ما لديهم من إبل إلى اتباعهم" (٦) .

وقد قام فيصل ، نجل الملك حسين بمحاولة فيها الكثير من الإسراف والمبالغة عندما حاول ربط حركة الإخوان بالثورة البلشفية فى روسيا عندما قال : "إن هذه المسألة تنطوى على جانب فيه الكثير من التهديد" ؛ وقد أبلغ فيصل الجنرال اللبني Allenby عندما كان مندوبا ساميا خاصا فى مصر فى ذلك الوقت : "أن هذه الحركة تنطوى على كثير من التهديد إذا ما قارناها بالظروف المصاحبة لها . والخطر يتهدد بريطانيا العظمى فى الأساس ، كما يتهددنا أيضا ويجب ألا يساورنا أى شك فى أنه كذلك . إن حركات التحريض فى كل من أفغانستان ، ومصر وكذلك القلاقل والاضطرابات التى فى الدولة الهندية ، وكذلك الغليان الذى يجرى تحت

(٥) المرجع السابق .

(٦) رسالة من الضابط السياسى ، قسم المنفق ، الناصرية ، الى المفوض المدنى ، بغداد ، مايو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، المخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٤٧ ، وثيقه رقم إي ١١٨٦٩٨ .

السطح فى الدول الآسيوية الأخرى ، كل ذلك يثبت أن هناك خطه مرسومه رسماً جيداً يجرى تنفيذها".

هل هناك ما يمنع هذه الحركة من أن تكون جزءاً فعالاً من أجزاء هذه الخطة ؟ ، وهل هناك ما يمنع تخوفنا من أن تسترعى تلك الحركة اهتمام منظمتى هذه المؤامرة (الخطه) فيستعملونها عُشّاً وخليه لنشر التآمر كما يستعملونها أيضاً جسراً يعبرون عليه الى ضريح الاسلام المقدس حتى يتسنى لهم الوصول الى النهايه المحرقه التى ينشدونها . إننا نرى النار ، ولكننا لا نستطيع أن نتبين اليد الخفية التى توجّها . . . وإذا كان العالم العربى ينظر إلى البلشفية على أنها مرضاً اجتماعياً تحدى خطاره بالحضارة ، فلماذا لا ننظر إلى الحركة الوهابية فى الشرق الأدنى من المنظور نفسه ، طالما أن الجهل والتشدد هما اللذان يفرضانها (٧) .

كان السير ريجتالد وينجات يرى فى حركة الإخوان عنصراً من عناصر "البلشفية" إذ أورد ما يلى فى البرقيه التى ارسلها إلى السير جيمس بالفور :

. . . لقد دفعتنى تقارير السيد فيلبى Philby هى وبعض المؤشرات الأخرى الى رأى مفاده أن هناك اضطراباً دينياً كبيراً فى بعض أجزاء وسط الجزيرة العربيه يجرى فيه تحريض الناس على اخوانهم فى الدين أولئك الذين باعوا أنفسهم للنصارى ، وبخاصة (إن صحت معلوماتنا فى هذا الصدد) ضد الملك حسين . إن صح ذلك ، فإن الأخير (يقصد بذلك الملك حسين) * - الذى تعد معرفته بالموضوع أوسع من معرفتنا بالقطع ، برغم أن سياسته أقل اهتماماً - قد يكون لديه من الأسباب ما يجعله يدرج نجد على أنها عامل من العوامل البلشفية فى السياسه العربيه ، ولديه أيضاً من الأسباب المؤيده لاعتقاده بأن هناك دعاية سرية موجهة

(٧) رسالة من الأمير فيصل إلى اللواء للنبي ، القاهرة ، مكتب السجلات العامة البريطانى ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، رقم الوثيقه ١٠٨١٩٤ عام ١٩١٩ .

* المترجم .

ضده وضدنا (٨) .

وقد زاد الميجور جى . و . كورتنى Courteny من انتشار الفرع من "البلاشفية" بالتقرير الذى شق طريقه إلى أن وصل إلى مدير المخابرات الحربية فى وزارة الحربية . فقد وصف كورتنى مصدره بأن اسمه "السيد حسين محمد الحسينى السلافي المكي" ، وادف قائلا : إن "السيد" كان قد أبلغه أن شيخ الإسلام والمفتى وكذلك القضاء فى كل من جازان Kazan والكريميه Crimea قد اصدروا فتاوى تضع كلا من مبدأ تأمين الثروة العامة ومبدأ بيت المال الإسلامى (الخزانة العامة) فى خطين متوازيين :

عبر السيد بعد ذلك عن أفكاره الخاصة عن البلاشفية وقال إنه التقى والبلاشفة الروس فى القسطنطينية كما التقى أيضا البلاشفة الإسلاميين (أسرى الحرب السابقين فى روسيا) وأنهم جميعا حاولوا تنفيذ افتراءات صحافه الحلقاء على البلاشفية . ومن رأى السيد أن أفضل الطرق لنشر البلاشفية وذبوعها فى البلاد الإسلاميه يكون بنشر الوهابيه التى تعد شكلا مطورا من أشكال البلاشفية الإسلاميه والذى يمكن أن يكون أوسع انتشارا من البلاشفية نفسها (٩) .

وفى أواخر العام ١٩٢٤ وصفت إحدى الصحف الأوربيه حركة الإخوان بأنها "حركة الإخوان الشيوعيه تقريبا" (١٠) .

يضاف إلى ذلك إنه فى أواخر العام ١٩٢٠ الميلادى وبعد أن اشتمل التقرير الذى أعده فيلبى عن مهمة نجد ، فى بعض أجزائه على بعض المعلومات التى تتبع بشكل واضح أصول حركة الإخوان ، وأهدافها ومعتقداتها ، كان المسئولون

(٨) مكتب السجلات العامة البريطانية ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٣٣٩٠ ، رقم الوثيقه إى ١٧٧٥٩٦ .

(٩) تقرير ارسله الميجور كورتنى الى مدير المخابرات الحربية ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ،

المجلد ٤٢٣٧ ، رقم الوثيقه ١١٢٨٥ ، فى ٣ سبتمبر ١٩١٩ م .

(١٠) الدكتور وولف جانج ويزل Weisl "محطموا الأصنام المسلميين عند أبواب مكه" دى ليفنج ايج

The Living Age (بوسطون) ، المجلد ٣٢٣ ، اكتوبر - ديسمبر ١٩٢٤ ، ص ٣٢٠ .

البريطانيون فى شبه الجزيرة العربيه يرسلون إلى وزارة الخارجيه البريطانىيه تقارير تحريضيه عن هذه الحركه :

. . . خلاصة برقية الملك (حسين) هى أنه بصرف النظر تماماً عن مسألة الحج النجدى وبصرف النظر أيضاً عن الخطر الناجم عن ذلك ، فإنه كان ينوى أن يترك لدى حكومة صاحب الجلالة أقوى انطباع عن الأخطار العامة المترتبة على انتشار الوهابيه فى الجزيرة العربيه . فالإخوان شأنهم شأن البلاشفة ، وما لم يتم اعتراض طريق تقدمهم فإن ذلك يمكن أن يعنى فى النهايه ان نرى القسوات البريطانىة وهى تنزل إلى أرض الجزيرة العربيه لمكافحه حركه قد تنتهى إلى اشعال النار فى شبه الجزيرة والقضاء على كل أشكال التقدم لعدة سنوات (١١) .

وقد ذاعت الخرافات الأخرى عن حركة الإخوان . فقد كتب أحد العملاء البحرينيين البريطانيين ، عن حسن نيه ، تقريراً فى اليوم العشرين من شهر فبراير من العام ١٩٢٠ الميلادى ، أى بعد أن أصبحت حركه الإخوان قوة معترف بها كتب يقول :

إن أساليبهم وحشيه جداً ، فهم يلطخون أجسادهم ووجوههم بدم ضحاياهم إشارة إلى عملهم الذى يستحق التقدير والثناء . وهم يحلقون شفاههم العالياً . . . وجانبى اللحية ويعفونها عند المنتصف . كما يضعون على رؤسهم منديلاً أبيض بدلاً من العقال (١٢) .

إن أشد قصص الغطرسة ضراوة التى نقلها اللاجئين الى مكه من الطوائف بعد ان استولى عليها الإخوان لم تحتوى على مثل هذه الاتهامات التى لا أساس لها من

(١١) مقطوعة من تقرير أعده الرائد و. باتن Batten ، القائم بأعمال المندوب البريطانى فى جده ، مكتسب السجلات العامة ، وزارة الخارجيه ، مخطوطات ، المجلد ٥٢٤٣ ، رقم الوثيقة ١١٣٦٣ .

(١٢) تقرير من العميد البحرى ، مصر ، ٢٠ فبراير ١٩٢٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٥١٤٤ ، رقم الوثيقة ٢٢٣٦ .

الصحة والتي تتعلق بتلطيح الإخوان أجسادهم بدم أعدائهم . وعندما استفسر صاحب هذا البحث من ماجد بن خثيلة في مدينه الغطف ، حول هذا الزعم ، نفى ذلك بأن أشاح بيده ، رافضا التعليق على ذلك على العكس من استعداده للتعليق على مسأله الكيزر والخطرة .

ان تنوع الافكار الخاطئه عن الاخوان وتباينها ، وحدتها والمبالغة فيها لا يدعم سوى بساطة واقع هذه الحركة ، إذا ما قارنا جانب البساطه هذا بالجانب الأسطوري والخرافي لهذه الحركة . الاخوان لم يكونوا أعضاء في المذهب الاسلامي الجديد ولا اتباعا للمدرسة الجديدة . فقد كانوا ينظرون إلى أنفسهم - وهذا هو ما ينبغي ان يكون معروفا عنهم في ضوء معتقداتهم وممارساتهم الحقيقية - بوصفهم اتباعا للمذهب الحنبلي في ضوء تنقية محمد ابن عبد الوهاب لهذا المذهب وتفسيره له . والاخوان بوصفهم متشددین لم يدخلوا ممارسات دينية جديدة ، ولا طقوس جديدة ، كما لم يدخلوا أيضا تحريمات أو اباحات جديدة ، برغم أن المعايير المحددة للسلوك العام والخاص التي التزموا بها وفرضوها ، والتي من قبيل الفتوى الخاصة بالتدخين ، هي اصلا من عندياتهم . والفارق في التقوى بين الوهابية وحركة الإخوان يتمثل في الدرجة وحسب ، فحركة الإخوان تطالب "بمعايير دينية اكثر صرامة من التي تنادي بها الوهابية ، كما تنادي بإنكار الذات اكثر من الوهابية . . . " (١٣) .

وطبقا لما حددناه آنفا في هذا البحث ، فإن الإخوان هم أولئك البدو الذين تخلوا عن حياتهم الرعوية ، وهاجروا إلى الهجر ، وعاشوا فيها حياة التزام بتعاليم الاسلام وممارساته . والطريقتان اللتان أمكن بهما اقناع هؤلاء البدو بالتخلي عن حياتهم الرعوية هما : أولا ، أفراد بعينهم استلهموا الروح الدينية الجديدة التي أشعل جذوتها فيهم الدعاة الدينيين الوهابيين أنصار ابن سعود والذين بدأوا يعيشون حياة الجماعة ، بعد أن وعدهم ابن سعود بدعمه المادي لهم ؛ ثانيا ، أما القبائل

(١٣) ريجنالد هورغ كايرنيان ، اكتشاف الجزيرة العربية : قصه أسفار الجزيرة العربية واكتشافها ،

(لندن : جورج سي . هاريت وشركاه ، ليمتد ، ١٩٣٧) ، ص ٢٩٠ .

التي لم تكن على استعداد للتخلي عن حياتها الرعوية فقد اقنعهم ابن سعود بالطريقة التالية :

... كان يرسل الى الشيخ من المشايخ ويخبره بلغة فظه ان قبيلته لا دين لها وأنهم جميعا "جهل" (١٤) ثم يأمر الشيخ بعد ذلك بالانتظام في حضور مدرسة

"العلماء" المحليه ، (١٥) التي كانت ملحقة بالمسجد الكبير في الرياض ، وفي هذه المدرسة كان يجري تفقيه شيخ القبيلة في الدين . وفي الوقت نفسه كان يجري إيفاد ستة من العلماء ، من قبيل الدويش شيخ المطير ، في حراسه بعض الاخوان المتشددين بحق ، الى القبيلة نفسها . كان هؤلاء العلماء يعقدون جلسات يومية يفقهون الناس من خلالها في الاسلام وفي بساطته الاصلية وعندما يصبح شيخ القبيلة متفقا في الدين بما فيه الكفاية ، يدعونه الى ان يبنى له بيتا في الرياض ويبقى فيها ليدوم تواجده مع الإمام . وهذا بدوره كان أيضا جزء من خطه السيطرة . . . (١٦) .

التركيز في الحاليين كان على الجهل ، الجهله بالاسلام . وهنا ، بدأ البدو ينظرون بحق على أنهم ، خلال أيام ما قبل الإخوان ، كانوا ، في أفضل الأحوال مسلمين بالإسم ، وفي أسوأ الأحوال كفاراً . وقد أبلغ سلطان الدويش ، محافظ الأرطاويه ، مؤلف هذا البحث ، أن الإسلام الذي كان البدو يمارسونه هو "إسلام العروبه" الذي لم تكن المفاهيم الأساسية معروفة فيه ، ومن ثم لم تكن تُمارس . كما أبلغ ماجد ابن خثيلة مؤلف البحث أيضا أن كثيراً من البدو كانوا يتساهلون في أداء الصلاة (١٧) . ومن رأي ابن سعود أن عدداً كبيراً منهم كانوا يجهلون أشياء كثيرة

(١٤) هذه هي الكلمه العربيه الدالة على 'الجهل' . أما الجاهليه فهي تشير الى أيام ما قبل الاسلام التي اطلق عليها المسلمون اسم "أيام الجهل" .

(١٥) مفرد هذه الكلمه هو "عالم" ، وهي تشير هنا الى "عالم الدين" .

(١٦) ديكسون ، تقرير الى المفوض المدني ، مخطوطات ، وزاره الخارجيه ، المجلد ٥٠٦٢ .

(١٧) مقابله مع ماجد ابن خثيلة في الغطف ، مارس ١٩٦٨ .

من واجبات الدين قبل حركة الإخوان ، وأن الزواج كان يتم من عاقد أنكحة يجهل بعض شروط عقد الزواج (١٨) .

هذا المفهوم عن مسلمي الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام والذين كان يشار اليهم باسم "غير المسلمين" ليس بجديد . فقد استعمل الوهابيون الأوائل هذا المصطلح ، بل أن محمد ابن سعود ، أول من ساند المصلح الوهابي وجعل منه بطلا ، كان يعد جاهلا قبل ان يعرف اصول الاسلام الصحيح (١٩) . وفي المحادثات التي أجراها مؤلف هذا البحث مع كل من محمد الصحابي وماجد ابن خثيلة استعملتا العبارة "عندما أصبحت مسلما" . وعندما سألهما مؤلف البحث عما كانا عليه قبل أن يصبحا مسلمين ، جاءت اجابتهما "أنهما كانا يجهلان أموراً كثيرة من احكام الدين الصحيحة" على حد سواء ، وكانا يعنيان بذلك إنهما قبل أن يتفقهها في الدين على أيدي المعلمين الوهابيين الذين أوفدهم ابن سعود اليهما . من هنا ، وبدلا من أن ينظر الاخوان إلى أنفسهم من منظور أنهم اتباع ومؤيدين للمذهب الاسلامي الصحيح ، أحسوا أنهم قد فهموا الإسلام وتمسكوا به كثيرا مثلما فعل اجدادهم قبل ذلك بخمسة عشر قرنا ، فضلا عن أن خضوعهم للإسلام وتمسكهم به لم يكن أقل اكتمالا ولا حماساً عنهم .

وفيما يتعلق بالاسلام السني والاسلام الشيعي فإن مبادئ معتقدات حركة الاخوان كانت تركز على المبادئ الخمس الاساسيه وهي :

- أ (الشهادة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
- ب (الصوم : صيام رمضان .
- ج (الزكاة : اخراج الزكاة .

(١٨) ديكسون ، تقرير الى المفوض المدني ، المجلد ٥٠٦٢ .

(١٩) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، (القاهرة : مطابع مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٤٩ ، الطبعة

الأولى) ، المجلد الثاني ، ص ٣ .

د (الحج : حج البيت مره واحدة لمن استطاع اليه سبيلا .

هـ (الصلاة : خمس مرات يوميا .

لم تكن هناك أية طقوس سرية ، أو أعراف أو علامات أو أية زخارف أخرى تدل على أى شكل من أشكال الجمعيات المغلقة ؛ لقد حرّموا أكل لحم الخنزير وشرب المسكرات ، وأمر قضائية بعدم استعمالهما طبقا لما ورد فى القرآن . كما اعتبروا التدخين خطيئة خطيرة ؛ فقد كان التدخين محرما فى كل أنحاء الجزيرة العربية . كما حرّموا أيضا إرتداء الملابس الحريرية . وكان الترف الوحيد لديهم يتمثل فى استعمال العود * (٢٠) أو القهوة أو الشاي . كما أداتوا المقامرة ، وقراءة الطالع وما إلى ذلك من مظاهر الابتعاد عن الإسلام . ولم يرد الإخوان تحية الإسلام "السلام عليكم" إذا حياهم بها غير الإخوان . ويسجل المخلصون لابن سعود واصدقاؤه الآخرون أن العلماء والمطوعين الذين كان يمكن أن يكونوا أندادا اجتماعيين لهم والذين كان يمكن أن ينتقلوا معهم إلى الدوائر الإجتماعية نفسها لو لم يكونوا "كفاراً" ، كانوا يتحاشونهم ويتجنبونهم ، وأنهم لم يروا بعضهم بعضا الا مصادفة - أثناء مرورهم فى رواق أو ممر من الممرات . . . " (٢١) ومن عادة الإخوان أيضا أنهم كانوا يسترون وجوههم بدلا من أن ينظروا إلى الكافرين ** (٢٢) .

* العود : نوع من أنواع البخور ، له رائحة زكية ، يُعرف فى بلاد الجزيرة العربية والخليج ، ويُعرف فى بلاد نجد ، بأسم الطيب والعود ، يجلب من نواحي شرق آسيا والهند ومنه أنواع غالبيه الثمن (المراجع) (٢٠) كابرنان ، مرجع سابق .

(٢١) جيرالد الجورى ، مهد الجزيرة العربية (لندن : جورج ج هاراب وشركاه ليمند ، ١٩٦٤) ، ص ٩٣ .

** هذا النص عن ديكسون الممثل السياسي البريطاني فى الكويت ؛ وربما يقصد بذلك أن الإخوان يُعرضون عن يصفونهم بالكفار ، بوجوههم تحقيراً وازدراءً لهم . ولا بد من الإشارة إلى أن علماء الدعوة السلفية لا يُقرون إطلاق صفة الكفر ، إلا عن أنكر الشهادتين ، وتقاىس عمداً عن القيام بركان الإسلام الخمسة . (المراجع)

(٢٢) ديكسون ، تقرير الى المفوض المدنى ، المجلد ٥٠٦٢ .

ولما كان الإخوان بدوا في الأصل ، فقد اشتهروا بتنازلهم عن الولاء للقبيلة بل وعن الروابط العائلية في سبيل الروابط التي كانت تربط بينهم . وفي المجتمع القبلي الصحراوي الذي تعد الأسرة فيه أمانا للفرد وشخصيه له وشرعيه ، لم يكن التنازل عن كل هذه الأشياء أمرا سهلا أو هينا . وقد فهم ذلك المجتمع المدى الذي استطاع ابن سعود أن يصل إليه في إحلال اسلام الاخوان النابع من الهجره محل الحماية ، والأمن والشخصية التي تنازل الاخوان عنها عندما تركوا القبيلة .

كانت المساجد التي لا قباب لها ، الخالية من الزخارف والتي خلت من الداخل من أبسط أشكال التجميل التجريدية ترمز إلى بساطة الحياة التي كان الاخوان يحيونها . وحرّم الاخوان الحلف^(٢٣) ، والحلف بغير الله الذي اعتبروه شركا . بل إن النبي محمد (ص) ، الذي يحظى باحترام كبير ، أكد الإخوان فئائه شأنه شأن بقيه الناس^(٢٤) . وقد فسر بعض المؤلفين هذا الإجراء تفسيرا خاطئا ، عندما قالو : إن ذلك يعنى أن الإخوان شوهوا من سمعة النبي (ص) . ويزعم بعض آخر من المؤلفين أن جزء الشهادة الذي يقول : "أن محمد رسول الله" قد حذفه الاخوان منها^(٢٥) . ومع ذلك ، فإن ظهور الشهادة كلها مكتوبه على بيارق الحرب التي كان الاخوان يحملونها ، يدحض هذا الزعم ويقتده . (راجع الصورة رقم ٥) .

وقد عظم سليمان بن سمحان النجدي ، أحد العلماء ، الذي ألف كتاب الهداية السنيه ، أحد الكتب التي استعملها الدعاة في تفقيه البدو ، عظم دور النبي محمد (ص) بين المسلمين وجعله شديد الوضوح :

(٢٣) هذا يشير بصفه خاصة إلى الوفاء بالنذور من خلال الأولياء ، إذا ما انقضت حاجه الناصر .

(٢٤) هاريسون ، مرجع سابق ص ٤١٧ .

(٢٥) رسالة من الضابط السياسى ، قسم المنتفق ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، ١٢ مايو ١٩١٨ ،

المجلد ٤١٤٧ ، رقم الوثيقة إي ١١٨٦٩٨ .

. . . إن ما نؤمن به هو أن منزلة نبيينا محمد ، عليه الصلاة والسلام ، هي أعلى المنازل بين سائر المخلوقات . . . ومن حق المسلم أن يقول "عليه السلام" . وأن يزور مسجد الرسول ولكن زيارة مسجد الرسول يجب أن تكون في المقام الثاني بعد الهدف الاصلى ألا وهو الصلاة (٢٦) .

ولم يقتل الإخوان من شأن الصحابه والأولياء الذين كانوا أول من وضع الاسلام على الطريق الصحيح (٢٧) . إن ما فعله الإخوان ، حقيقه ، كان عودة إلى الاسلام النقي الخالص الذي جاء به محمد (ص) . فالعبادة لله وحده . وقد اعتبر الإخوان ممارسات الدين الشعبيه التي تقوم على توقير البشر والأولياء أو عبادتهم ، والتي يتوسل الناس فيها الأولياء ليوسطونهم بين الله وبينهم اعتبروا كل هذه الممارسات متعارضة تماما مع مبدأ عدم الوساطه ، حتى من النبي محمد (ص) نفسه ، بين العبد وربّه .

وحرم الإخوان زيارة قبور الأولياء التي كانت تنذر عندها النذور ، نظرا لأن ذلك يعد شركا (٢٨) ، أو عزوا للقوه الإلهيه الى مخلوقات فانيه . ومن قبيل التوسع ، فإن بناء القباب فوق قبور هؤلاء الأولياء يعد اعترافا ضمنيا بأن هؤلاء الأولياء كانوا أكثر من مجرد أناس فانيين عاديين . يضاف إلى ذلك أن تكريم الأولياء يعنى أن التوحيد والطاعة للذين ينفرد بهما الخالق سبحانه ، إنما يتقاسمهما معه مخلوقات فانيه ، ومن ثم يكون ذلك مناقضا للاسلام .

وإذا كان الإخوان لم يشكلوا أى شكل من أشكال الجمعيات السريّة ، فإن حركتهم كانت لها خصائص وسمات ثابته جعلت منهم جماعة متميزه ، وأهم هذه الخصائص والسمات هي :

(٢٦) المدنى ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٢٧) المرجع السابق .

(٢٨) المعنى الحرفى لهذه الكلمه هو : يتقاسم أو يتشارك ، ومن هنا جاء الشرك .

(١) الملبس (٢) التشدد (٣) الهداية القسريه و (٤) المساعدة الاقتصادية .

(١) الملبس : كان زى الاخوان عبارة عن تعديل بسيط فى الزى التقليدى الذى يرتديه البدو وسكان القرى - المدن على حد سواء . وقد كان هذا الزى يتكون من منديل يشبه الخمار أو الستار يلفه البدوى من حوله طاقية يضعها فوق رأسه . وكان ذلك الستار يتدلى على مؤخرة الرأس وفوق الكتفين . ويسمى هذا المنديل **الغطره** ، بمعنى غطاء الجمجمه أو **الطاقية** . ومع الثياب العادية كانت الغطره تربط على الرأس بواسطة حزام يشبه الحبل ، يكون أسوداً فى معظم الأحيان ، ويلبس على أعلى الرأس . ويطلق على هذا الحبل اسم **العقال** الذى كان يحافظ على الغطره ويمنعها من الإنزلاق على مؤخرة الرأس . ويغطى الجسم ثوب عبارة عن رداء مكون من قطعة واحدة ويشبه رداء النوم . ويلبس من فوق هذا الثوب عباءة يطلق عليها اسم **المشلح** . اما الحذاء فهو عبارة عن صندل ريفي يصنع (إما من جلد الجمال أو جلد الماعز . وجاء تكييف الإخوان لهذا الزى على النحو التالى :

(أ) كانت **الغطره** مصنوعة من قماش أحمر وأبيض ومقسمة على شكل مربعات صغيره ، ويلبسونها صيفا وشتاء ، برغم أن بعض البدو وبعض الحضر كانوا يرتدون الغطره المربعة فى الشتاء بينما يلبسون الغطره البيضاء فى الصيف . وقد استعمل الإخوان القماش الأحمر والأبيض لأنهما كانا الأكثر شيوعاً ، والأرخص سعراً ، كما يتحاشى هذا القماش أى شكل محتمل من أشكال الخيلاء والتباهى فضلاً عن تحاشى الانشغال أيضاً بتغيير الملبس (٢٩) .

(ب) **العقال** : استخدم الاخوان **العَمَمه** بدلا من الرباط الذى يشبه الحبل ، والسبب فى ذلك أن الاخوان كانوا ينظرون الى العقال على اعتبار أنه خطأ

(٢٩) لم يلبس الاخوان الغطره البيضاء إلا نادرا .

تاريخي من عصر ما قبل الاسلام ، وباعتبار العقال أيضا رمزا من رموز حياه الرعى . ويزعم الاخوان أن النبي محمد (ص) لبس العمه ، ومن ثم يكون من المناسب تماما أن نحذو حذوه . ومع ذلك ، فقد كان الاخوان يَلْفُون عمامتهم بطريقة خاصة بهم . فقد كانوا يلفون العمامة بشال يتراوح عرضه بين ثلثه وأربعة بوصات ، وكانوا يلفونه من حول الرأس فوق الأذنين مباشرة ، الى أن ينتهى الشال بكامله ، ثم يغرسون طرفه تحت البدايه حتى يضمنوا ثباته تماما فى مكانه . وكان ينتج عن ذلك أن يبدو تاج الرأس ، بعد تغطيته بالغطره ذات المربعات التى تجمع بين اللونين الابيض والأحمر ، كما لو كان هالة مبالغ فيها . (انظر الصورة رقم ١) .

(ج) **الثوب** : قصر الاخوان الثوب إلى ما فوق الكعب بدلا من تركه يلامس الأرض ، وكان من رأى الإخوان أن طول ثوب النبي محمد (ص) كان إلى ما فوق الكعب تماما وبذلك يكون الثوب كافيا لستر الجسم والرجلين ، إما إذا زاد طول الثوب عن ذلك فهو من قبيل الإسراف والخيلاء .

(د) **الحذاء** : كان الإخوان لا يستعملون الاحذية التقليدية المعتادة إلا نادرا ، إذ كانوا يلبسون بدلا منها صندلا له شكل أساسى معروف عندهم ، هذا إن كانوا يستعملون أى شكل من أشكال أغطيه القدم على الإطلاق . وعلى كل حال ، فإن الاخوان ، فى غزواتهم العسكرية ، كانوا يرتدون **الزربول** الذى كان عبارة عن شبشب من الجلد مخاط فيه جورب من الصوف كان يرتفع الى مسافة عدة بوصات فوق كاحل القدم .

(هـ) **العُكَّاز** : كان العكاز الخيزراتى الذى يشاهد فى كل مكان وزمان بمثابة استكمال لتجهيز الإخوان ، فقد كانوا يستعملون ذلك العكاز بطريقة تقليدية ، فى ضرب معارضيتهم الذين كانوا يستثيرون غضب الإخوان أو يعترضون طريقهم . من هنا ، يمكن القول بشكل عام : إن الإخوان استشعروا أن زيهم كان يتفق مع الزى الذى يعتقدون أن النبي (ص) نفسه قد ارتداه ، ومن ثم كان هذا الزى هو أنسب الأزياء وأكثرها طلبا .

وفيما يتعلق بعنايه الشخص بنفسه ، سمح الاخوان بإطالة شعر الرأس ، وفي بعض الأحيان كان الشعر يتدلى فوق الجباه ومن حول الكتفين ، مما كان يضيف على الاخوان مسحة من الوحشية والغلظة . كما كان الاخوان يربون شواربهم ولكنهم كانوا يقصونها إلى أن تظهر الشفة العليا ، وكانت لهم لحى فوق أذقانهم كانوا يعتنون بقصها إلى ما دون الشفة السفلى (٣٠) .

كان الإخوان يرتدون خلال الطوارئ أو التعبئة العسكرية حزام خرطوش مملوء بالطلقات ، التى كانت لها قيمة عندهم نظرا لتكلفتها العاليه ؛ وكانت تتدلى من كتف كل منهم بندقية ويعلق كل منهم سكيناً أو خنجراً فى وسطه . (انظر الصورة رقم ١) . وتتباين الأوصاف المختلفة التى وردت عن الزى الذى ارتداه الاخوان أيام قوتهم (٣١) ، وهذا الزى يتفق بدرجة كبيرة مع الزى الذى يرتديه الاخوان ، فى أيامنا هذه ، فى الهجر وفى المناطق المحيطة بالرياض ؛ ومع ذلك فقد تولى الكثير من الأخوان ، فى هذه الأيام ، عن العمه (٣٢) . واصبحوا يرتدون ، بدلا منها ، الحبل الأسود القديم (العقال) .

وفيما يتعلق بالنظافة هناك بعض المصادر التى تصف الإخوان بأنهم كانوا يضطرون على عدم النظافة . ومن أشهر المصادر التى تقول بذلك : فيلبى وشيسمان اللذان يتعاطفان مع البدو بصفه عامة . كتب ديكسون يقول : " . . . السواد الأعظم من الاخوان يمثلون مظهراً مهلهلاً (٣٣) . وكتب شيسمان يقول :

(٣٠) تقرير من العميد البحرى ، مرجع سابق .

(٣١) فيلبى ، الاخوان والوهابيون ، وزارة الخارجية ٤١٤٤ - ٣٧١ ، الوثيقة رقم ٧٦١٥ .

(٣٢) ديكسون ، تقرير الى المفوض المدنى ، المجلد ٥٠٦٢ . استطاع ديكسون فى العام ١٩٢٠ الميلادى أن

يكتب ما مفاده أن ابن سعود أصدر أمراً بأن ارتداء العمه لم يكن أمراً ضرورياً ولكن "ما يزال هذا

العرف سائداً بين الاخوان الجدد" .

(٣٣) المرجع السابق .

غسل الملابس لا يعد بنداً ضرورياً من بنود هذه الحركة ، إذ تدخل عملية غسل الملابس هذه ضمن الكبرياء والخيلاء" (٣٤) .

الواقع أن القول بأن الإخوان كانوا يتعمدون الإبقاء على القذارة وأنهم لم يكونوا يهتمون بالإغتسال يدخل في إطار التبسيط المخل ، برغم وجود هذه العادات بين بعض الزهاد والمتدينين ، في الشرق الأدنى والذين يجدون في عناية الفرد الشخصية اليومية بنفسه مهمة روتينية ليست ضرورية للتأمل الديني . ومن منظور حكمنا على الإخوان الذين نراهم اليوم نجد البعض منهم نظيف بصورة لا يرقى إليها أي شك وبعض آخر أشعث بشكل لا لزوم له . وترتبط نظافته الإخوان بكل من المركز المالي والتعليم والتدريب إلى حد كبير . يضاف إلى ذلك أيضاً ، أنه طالما كان يتم اختيار الإخوان من بين البدو تماماً الذين لم يشتهروا بالنظافة الشخصية ، فإننا نستطيع تفهم الأسباب التي تجعلنا نلصق هذه الصفة بالإخوان ، في حين أن هذه الصفة كانت من الصفات البدوية التي حملوها معهم . وفيما يتعلق بالبدو فإن القضية الرئيسة في مسألة النظافة تتصل بموضوع توفر الماء ، الذي أدت ندرته إلى أن يكونوا هم أصحاب القرار فيه . وقد أورد الريحاني ملاحظة تقول : "الرداء يلبسونه رداً من الزمن ، فيغسلونه مرة أو مرتين ، ثم يلبسونه مقلوباً . . . " ويورد الريحاني عن الإخوان تساؤلاتهم ، "كيف نتوضأ ، ونحن نبغي الماء للشرب؟" (٣٥) إن من يعرفون ندرة الماء في صحراء الجزيرة العربية يقدرّون استعمالات الماء الضرورية الأخرى حق قدرها بدلا من استعماله في الملابس والأجسام . وملاحظه الريحاني لا تشير إلى الإخوان بصفة محددة وإنما للبدو بصورة عامة . والواقع أن دخول البدو في الإسلام علمهم النظافة . ومع ذلك ، فقد انتقلت معهم العادات التي تعلموها في وطنهم الصحراوي الأصلي وجعلتهم يستعملون الماء دون إسراف تماماً .

(٣٤) ر . إي . شيسمان ، في الجزيرة العربية المجهولة (لندن : شركة ماكميلان ، ١٩٢٦) ص

٢٢ - ٢٦ .

(٣٥) الريحاني ، نجد ، ص ٢٥٩ .

ومن السهل التعرف على الإخوان من ملابسهم ، كما أن منظر العمامة كان يعد إشارة للمشاه بأن يغيروا مسارهم تقاديا للمواجهة المباشرة مع واحد من الإخوان ، والسبب في ذلك أن أقل انحراف عن المبادئ يمكن أن يستثير غضب الإخوان ، يضاف إلى ذلك أن الأخ قد فوض نفسه على تنفيذ شرع الله . وأن مثل هذا التصرف يعد إخلاصا وولاءاً من الأخ ؛ بينما كان ضحاياهم يرون ذلك على أنه تشدد .

(٢) التشدد * : تشدد الإخوان شهير وصادق . وهذا التشدد تحفظه بعض القصص التي يتداولها الناس في الحجاز : الطائف ومكة والمدينة ، كما تتردد هذه القصص أيضا بين أهل العراق والكويت ، بل إن هذه القصص تتردد بين الإخوان أنفسهم . لقد عرف الإخوان أنهم متشددون ، بمعنى أنهم لا يعرفون الحلول الوسط وأنهم حرفيون في تطبيق المبادئ الدينية ، ومع ذلك فإنهم يرون ذلك على أنه من الأعمال الجيدة الفاضلة . ومن رأى هؤلاء المتشددين ، إن التسامح في الدين مساو للامبالاه . ولا يفهم الإخوان الأسباب التي تجعل فردا بعينه أو مجموعة بعينها أو قبيلة ، إذا ما تهيأت لها فرصة الدخول في الاسلام الحقيقي ، أن ترفض انتهاز هذه الفرصة إلا إذا كانت معادية لله ، وبذلك تستحق القتل في مثل هذه الحالة . والإخوان عندما كانوا يقتلون أمثال هؤلاء الناس كانوا يشعرون بأنهم أدوا خدمة للإسلام ، وأنهم يضعون لبنه أساسية على طريقهم الخاص إلى الجنة ، حتى وإن كانت هذه اللبنات ، هي في واقع امرها ، عظام ضحاياهم . ومع أن ذلك يعد حكما قاسيا ، إلا أنه حكما صادقا ، برغم أن هناك من الظروف المخففة ما يقلل اللوم الموجه للإخوان إن لم يكن جرم الأعمال الشريرة التي كانوا يقومون بها . والسؤال

يجب أن نأخذ حديث المؤلف عن تشدد الإخوان وقسوتهم ، في ضوء عدد من المسلمات ، منها أن الروح القتالية الفطرية التي ينطوون عليها ، كانت أحد تلك الأسباب ، ثم جهل معظمهم بأحكام الدين الاسلامي الصحيح ، وحينما اتيج لهم فيما بعد هذا الفهم وألقوا الحياة العملية ، فيما بعد ، بعد توطينهم في المهجر ، مما وضعهم على أعتاب التفاعل مع المجتمع في حواضره ، أصبحوا نسيجا صحيحا من هذا المجتمع وإن احتفظوا بالملامح الحياتية التي تميزهم (المراجع) .

الذى يجب طرحه ليس "هل كان الإخوان متشددين؟" وإنما "لماذا كانوا متشددين؟" ويمكن لنا أن نفهم مواقف الإخوان فى ضوء الخلفية الأساسية لهؤلاء البدو ، الذين كانوا لا يبالون بالدين بشكل عام والاسلام بشكل خاص ، ثم انخرطوا فى مذهب دينى لم يسمح لهم لا بالحلول الوسط أو التسامح . والحقيقة الثابتة هى أن الإخوان لم يفعلوا ما فعلوه بفعل قسوة فطريه أو حقد فطرى ، وإنما كنتيجة منطقية لتدريبهم تدريباً دينياً على أيدي أناس من المفترض ومن المحتمل أن تكون معرفتهم أفضل .

لم يكن تشدد الإخوان موجهاً ضد عرق أو عقيدة أو لون بعينه . وإنما كان موجهاً ضد جميع الأشخاص سواء كانوا من أقارب الدم ، أو من أفراد القبيلة نفسها ، أو من المواطنين الآخرين ، الذين إذا ما طبقت عليهم مقاييس الإخوان ، ثبت أنهم ليسوا مسلمين حقيقيين . والأمثلة على الأسر التى انشقت على نفسها ، والقبائل التى جردت القبائل الأخرى من ممتلكاتها ، والعداء الذى نشب بين الأب والابن وفرق بينهما ، كل هذه الأمثلة لم تكن نادرة الحدوث . فإذا ما تحول أفراد شعب من قبيلة من القبائل الى حركة الإخوان فالأرجح أنهم يرغبون فى اقتسام هذه "النعمة" مع شعب آخر وأن يدعوهم للدخول فى حركة الإخوان . وإذا ما رفض ذلك الشعب الدعوة فى المرة الأولى ، وجهوها اليهم مرتين أخريين . وإذا ما رفضت هاتان الدعوتان أيضاً تألب الإخوان على أفراد القبيلة من غير الإخوان ، بكل ما لديهم من وحشية وقوة (٣٦) .

كان طلبة الدين والعلماء الذين أوفدتهم السلطات الدينية لتعليم البدو ، يعرفون حق المعرفة أنهم يعظون مجموعة من البشر البدائيين ، الذين ينتظر منهم ، إذا ما اعتنقوا فكرة من الأفكار ، أن ينفذوها تنفيذاً حرفياً (٣٧) . فقد أبلغ البدو أنهم بحالتهم التى هم عليها يعدون جُهَلَاءً وأن المسلمين يعدون ثروة الكافر وحياته أيضاً حلالاً لهم . ومن ثم فإن ثروة الجار الكافر تصبح هدفاً شرعياً صحيحاً للبدو .

(٣٦) مقابلة مع محمد بن جياح الدريش ، فى الرياض ، نوفمبر ١٩٦٨ .

(٣٧) راجع مذكره الى المفوض المذنبى ، المجلد ٥٠٦٢ للوقوف على رأى ابن مسعود فى هذا الشأن كما سجله

وتدخل الأعمال الفظيعة التي ارتكبتها الإخوان في حق الأبرياء الذين كانت "تهمتهم" الوحيدة تدخين التبغ ، ضمن رغبة الإخوان في فرض معاييرهم الأخلاقية على الجماهير برغم أن تدخين التبغ نفسه لم يحرمه أهل السنة * . هناك أيضا أمثلة أخرى كثيرة على وحشية الإخوان في إنزال العقاب السريع بأولئك المسلمين الذين لم يتبعوا قواعد الإخوان الدينية ، وقد تمثلت تلك الأمثلة في ضرب النسوة اللاتي تلبسن ثيابا مصنوعة من الحرير والاساءة بالقول والفعل إلى المواطنين الذين يصلون الى الصلاة متأخرين أو الذين لا يلتزمون التزاما دقيقا بصوم رمضان . كما كانت تصرفات الإخوان هذه ، في بعض أجزاء ، البلاد هي القاعدة وليست الاستثناء .

وأصبح من الواضح تماما لابن سعود أن الإخوان خرجوا عن السيطرة وأصبحوا متغطرسين . وإدراكا من الإخوان للمكانة التي يحتلونها ، مثلما فعلوا في حكم الرياض ، ووعيا منهم أيضا بسلطتهم ونفوذهم وتشددهم أخذوا على عاتقهم فرض الشريعة بالقوة ، بل إنهم في بعض الأحيان كانوا يغزون "الكفار" بإسم ابن سعود دون أن يأخذوا منه إذنا بذلك . ومن المؤكد أن ابن سعود شخصيا لم يوافق على جوانب التشدد التي كان الإخوان يبالغون فيها ؛ يضاف الى ذلك أن ابن سعود لم يكن باستطاعته أن يتواجد في المناطق النائية حتى يشرف على سلوك الإخوان وتصرفاتهم فيها . وأخيرا ، ومع تعاظم سلطة الإخوان بدأوا يستعملونها وسيلة للضغط على ابن سعود ، وفي التحليل الأخير ، وإذا ما تعين على ابن سعود أن يختار بين توبيخ الإخوان أو إدارة ظهره لهم بسبب اساءاتهم استعمال السلطة . ومع ذلك ، لم ينس ابن سعود ذلك قط للإخوان ، وجعلهم ، في الوقت المناسب ، يدفعون ثمنا غاليا لخطرستهم وتعاليتهم .

ولم تؤد هذه القيود الى تحجيم ابن عمه شديد البأس ، عبد الله بن جلوى ، الذي كان واحداً من أصحاب ابن سعود الأصليين الذين رافقوه في الغزوة التي

* هذه مسألة خلافية ، ولا يفهم من كلام المؤلف في هذه المسألة ، أن أهل السنة أباحوا تدخين التبغ (المراجع)

اسفرت عن الإستيلاء على الرياض . ولما كان ابن جلوى ملكاً للأحساء بكل معانى الكلمة ، فيما عدا اللقب فقط ، فقد كان اسمه يثير رعباً وقرعاً مثل اسم الإخوان تماماً^(٣٨) ، ووجد الإخوان ، فى النهاية ، صنواً لهم فى ذلك الرجل * . وقد بدأ ابن جلوى الذى ذاع صيت عدالته الحقه ، سواء كان ذلك فى انزال العقاب الشديد بإبنه جزاءً له على ظلمه لأحد الرعايا ، أو مهاجمته العنيفة لقبيلة حرون Haran ، يستأنس الإخوان على النحو الذى تراه فى الحوادث التالية التى وردت فى مذكرات سريه ، بتاريخ ٢٣ - ٢٦ ابريل من العام ١٩٢٠ الميلادى ، كتبها الممثل السياسى البريطانى فى البحرين :

(أ) فى اليوم العاشر من شهر ابريل من (العام ١٩٢٠) فى الهفوف ، كانت شقيقه زوجه ابن جلوى ، وهى فتاه من قبيله سبيع ترتدى ثوباً من الحرير زاهى الألوان اثناء زيارة اختها للمدينة . وقام احد الإخوان الذى كان عند بوابه المنزل ، بضرب الفتاه ضرباً مبرحاً ، نظراً لأن الحرير كان بغيضاً للإخوان . وقام ابن جلوى بمحاصرة جميع الاخوان الذين كانت تربطهم بذلك الرجل علاقه ، وصادر إبلهم وجلد المتهم .

(ب) شاهد الاخوان فى ١٤ ابريل فى القطيف فتاة شيعية ترتدى ملابس "خليعه" وأوسعوها ضرباً ؛ وتدخل أقارب تلك الفتاه ، وأعقب ذلك التدخل قيام مظاهرة تعبيراً عن الاحتجاج ، وقام ابن جلوى بحبس ثلاثين من الاخوان فى السجن .

(٣٨) جورج خير الله ، إحياء الجزيرة العربية (البوكرك : مطابع جامعه نيومكسيكو ، ١٩٥٢ ، ص ١٤٢ .

* المقارنة هنا بين قسوة الأخوان ، وشدة ابن جلوى ، فيها مغاربة ، وليس فيها ندية لأن شدة ابن جلوى وقسوته ، هي تنفيذ الحاكم لدواعي الأمن ، وتطبيق الجزاء العادل على العابثين بالأمن وحرمان الناس التي حددها الشرع والعرف . (المراجع)

(ج) حضر بعض الإخوان من المجمع الى مدينة الجبيل لشراء بعض الأرز . واعترضوا رجلا من البحرين له شارب طويل ولكنه لم يكن ملتحيا . وأمسكوا بالرجل ، وحلقوا شنبه . وتدخل أهل المدينة واشتبكوا مع الإخوان وقتلوا منهم اثنين (٣٩) .

وفي إحدى المناطق الأخرى ، لم يحاول الحاكم أو الناس التآلب على الإخوان مهما كان تحرشهم بهم . في الاحساء ذاع صيت ابن جلوى على أثر مقاومته للإخوان وقد تعزز ذلك الصيت بفضل فكره ذاعت في ذلك الوقت مفادها ان ابن جلوى كان قد حذر ابن سعود قبل ذلك بوقت طويل من ان الاخوان يمكن أن يخرجوا على سيطرته ويسببوا له الكثير من المتاعب .

(٣) الهداية القسريّة : كانت هداية البدو في الوهابية ، في مراحلها الاولى تتم من خلال الجهود التي كان الدعاة الوهابيون المدربون يبذلونها ، وكانوا يستخدمون لذلك كتيبات أعدت خصيصا لتناسب عقلية البدو . كانت الهداية ، عند اعلى مستويات الحركة الوهابية ، تحدث بدرجة أقل نظرا لتدخل ابن سعود شخصيا من ناحيه والشكاوى التي عززها البريطانيون لديه من ناحيه أخرى . من هنا ، يبدو أن الهداية كانت ظاهرة من ظواهر المرحلة الأولى من حركة الإخوان عندما كان عددهم وتأثيرهم يتزايدان ، ولكنهما لم يتوسعا مسرعا شبه الجزيرة . وقد وصف ديكسون الموقف على النحو التالي :

كانت الهداية القسريه الى عهد قريب جداً أداة من أدوات الإيمان بين الإخوان . ومن المؤكد أن أدواتهم هي التي أحدثت تبرما بين أهل الحجاز والبلاد المجاورة له . وقد ابلغني ابن سعود أنه لم يشهد قط هذه الاعمال منذ البداية ولكنه لم يستطع ايقافهم عند حدهم إلا في نهاية العام ١٩١٩ . وقد عدل الناس تماما ، في أيامنا هذه ، عن استعمال الهداية القسريه في نشر الدين بالسيف (٤٠) .

(٣٩) مذكره سرية من الممثل السياسي في البحرين الى المفوض المدني ، بغداد ، ٢٣ / ٢٦ ابريل ١٩٢٠ ،

مكتب السجلات العامة ، المخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٥٢٦١ ، رقم الوثيقة إي ٨٥٣٨ .

(٤٠) ديكسون ، مذكره إلى المفوض المدني ، المجلد ٥٠٦٢ .

كان الإخوان هم الذين يقومون بالجزء الأكبر من الهداية القسرية وبدون إذن أو تصريح من ابن سعود ، ولكن طالما أنه كان يستفيد استفادة كبيرة من هؤلاء المهتدين الجدد ، فلربما كان لا يعارض الهداية القسرية بأقصى ما في وسعه . ولم يبدأ ابن سعود في الضغط الحقيقي على الإخوان بالتخلي عن هذا الشكل من أشكال التشديد إلا بعد أن أصبح من الواضح له تماماً أن الهداية القسرية شوهت صورته الخاصة في الخارج . وعلى الجانب الآخر ، فقد حوّل ابن سعود ابن عمه الأمير أحمد الثنيان أن ينفي للبريطانيين قيام الإخوان بالدعوة للإسلام عن طريق الهداية القسرية (٤١) .

ونظراً إلى أن الإخوان كانوا يعتقدون أنهم وحدهم هم الذين يمتلكون سر الحقيقة الدينية ، فقد أرادوا اقتسام ذلك السر مع كل الناس ، إما عن طريق الاقتناع بالحسنى ، أو بالتهديد بالقوة ، أو باللجوء إليها إن دعت الضرورة لذلك . وطوال نشر الإخوان لهذه العقيدة ، بدأت تقارير الهداية القسرية تتوافد على مكاتب الوكالات البريطانية من كل أنحاء الجزيرة العربية . وقد كتب النقيب جارلاند يقول * :

تشبه معتقدات المذهب الذي يتبعه الإخوان معتقدات الوهابية بدرجة كبيرة جداً ، برغم أن أتباعها يعدون أكثر تشدداً بلا أننى شك . وعلى كل حال ، فإن غير المسلمين يعترضون على الأساليب الوحشية التي يلجأ إليها لتنفيذ الهداية القسرية ومعاقبة المخطئين ، أكثر من اعتراضهم على مبادئ المذهب نفسه . وليس هنالك من شك في أن البدو أنفسهم كان يتم ترويعهم بطريقه منظمة خلال عملية الهداية القسرية ، وأن ممارسة الهداية القسرية ومعاقبة المخطئين كانا يصلان إلى حد الموت . ويقال : إن الإخوان ، في الحروب ، لم يكونوا يحتفظون

(٤١) إنكار أحمد الثنيان أمام الكابتن براى ، ١٩٢٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٥٠٦٠ ، الوثيقة رقم ١١٥٤ .

* يجب أن ننظر إلى النصوص الواردة في تقارير الرسميين في مكاتب الوكالات البريطانية بالخليج ، على أنها تصدر عن موظفين أمنيين ، وأنها تنزع عن فكر وعقيدة تختلف عما يمكن أن نفكر نحن به ، حينما تستعمل بعض التعبيرات التي قد لا نوافق على بعضها (المراجع)

بأسرى الحرب ، وإنما كانوا يذبحون كل أولئك الذين كانوا يقعون فى أيديهم (٤٢).

وكتب الممثل السياسى فى الكويت يقول :

من المشاهد الآن أن أعدادا كبيرة من البدو فى الكويت بدأت تلتزم بغطاء الرأس الأبيض الذى يضعه الإخوان على رؤوسهم ، ولكن يتردد بصورة مؤكده أن تغيير غطاء الرأس إنما جاء نتيجة الخوف أكثر من أى تغيير آخر فى المعتقدات الدينية لهؤلاء الناس . ويعترف الكثير من هؤلاء البدو أنهم يلبسون غطاء الرأس لمجرد حماية أنفسهم من هجوم الإخوان كما أن تمتع هؤلاء البدو بتدخين سيجارة فى جو هادئ يعد دليلا على صدق كلامهم (٤٣) .

وتحتوى السجلات البريطانية على أمثلة للهدايه القسريه المزعومة ، كما توجد أيضا فى أقوال بعض المصادر الشفهيه فى الرياض التى تؤكد ، فى هذه الأيام ، أن "الدعوات" كانت ترسل إلى غير الإخوان كي ينضموا الى الحركة ، وإذا لم يصبحوا إخوانا ، كان يتم إعدامهم (٤٤) . كانت هذه الدعوات موجزه ومحكمه ** :

(٤٢) ملاحظه أوردها النقيب جارلند من المكتب العربى ، ١١ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٥٠٦٠ ، رقم الوثيق ١١٥٤ .

(٤٣) من القائم بأعمال المفوض المنى فى بغداد ، ٩ مايو ١٩١٩ ، السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد رقم ٤١٤٧ .

(٤٤) مقابله مع محمد بن جباع الدويش فى الرياض ، نوفمبر ١٩٦٨ .

** يبدو أن هذا الرصد ، كان لحالات معينة أثارت انتباه المراقبين السياسيين البريطانيين فى الخليج . ولكن ليس بشكل مطلق يمكن تعميمه على جميع الأخوان . (المراجع)

"رساله رقم ١"

بسم الله الرحمن الرحيم
 من ثياب الدهاسى إلى السلطان ومحمد العبود .
 السلام على من اتبع الهدى . نتعهد لك بالأمن وكل من سينضم إلينا يحظى
 برضا الله ، وتسلم أيضا عائلته وممتلكاته .
 إن من ينضمون (إلينا) سيستلمون أنفسهم لله وينعمون بحماية السلطان
 بن حميد والاخوان .

"رسالة رقم ٢"

بسم الله الرحمن الرحيم .
 من ثياب الدهاسى إلى مسفر بن سمران الدهاسى .
 قبل كل شيء نحن نضمن الأمن لكم جميعا ذكورا وإناثا .
 ان من ينضم (إلينا) يأمن على ممتلكاته وأسرته ويسلم نفسه لله ويلتزم
 السلطان بن حميد هو والاخوان بحمايته ، وأنت أيها المسفر وأيها
 الشايلى ، إذا دخلتما فى الإسلام فسوف تحصلان على إيلكما وستنعمان
 بالسلام مع الله .

"رساله رقم ٣"

من ثياب الدهاسى إلى الدهاسه .
 نحن ندعوكم للدخول فى الإسلام ومن ينضم (لنا) منكم سيكون فى حمى الله

وسيسلم نفسه له ويتمتع بحماية السلطان ابن بجاد والاخوان" (٤٥) .

وردت ملاحظة ، مكتوبة بخط اليد ، على صفحة خطاب التغطية الخاص بوزارة الخارجية الخاص بهذه الوثيقة تقول : "من الواضح أن أصول الخطابات أرسلت إلى الممثل البريطاني في جدة وليس هناك ما يدعو إلى الشك في حقيقتها . إن الدعاية ليست دينية وحسب وإنما هي دعاية سياسية أيضا ، وتتعلق بتغيير الولاء" (٤٦) .

لم تستعمل الرسائل الثلاث الواردة آنفا اسم ابن سعود . ولكن الرسالة التالية لها أهمية خاصة نظرا لأنها تزعم أنها كتبت بناءً على أمر سريع أصدره ابن سعود .

من عساف بن حسين المنصور إلى الأخ رشيد بن سمير
بسم الله الرحمن الرحيم .

تحياتي !

أنت تعلم أن سلطان العرب جميعا ، الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل قد أمرني بالبقاء في الجوف .

ومع ذلك ، فقد أصدر لي أمرا بأن أكتب لك هذه الرسالة بأنك يتعين عليك أن تبلغني عن طريق مراسل خاص إن كنت تتبع دين عبد العزيز أم لا . السلامة لأولئك الذين يفهمون .

إن الإمام هو وكل المسلمين بحق يوجهون إليك هذا السؤال . لقد حذرناك . فلا تلومنّ إلا نفسك . وهذا هو كل ما عندي .

(٤٥) رسالة ومرفقات من الريحناد وينجات إلى آرثر جيمس بالفور ، ٢٠ ديسمبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات

العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، مجلد رقم ٤١٤٤ ، وثيقه رقم ٣٠٥٩ .

(٤٦) المرجع السابق .

تحياتي إلى احبائك . ولك التحية من إخواننا .

٢٨ ذى القعدة ١٣٤٠ .

عساف بن حسين (٤٧) .

إذا كانت الرسائل الثلاث الأولى المكتوبة بإسم ابن حميد تتسم بطابع الأصالة ، نظرا لاشتهار ذلك الرجل بالمباشرة وعدم اللف والدوران ، وبافتقاره الى اللياقة والكياسة ، فإن رسالة عساف بن حسين تبدو لمن يقرأها كما لو كانت تزويرا . وقد بلغ ابن سعود من المهارة حداً يصعب معه أن يسمح لإسمه أن يوضع ضمن هذه الرسالة التي تدين صاحبها . من ذلك مثلا ، أن الخطاب الذي أرسله ابن حميد يدعو فيه إحدى القبائل للدخول في الإسلام كان بمثابة دعوة غير مباشرة من ابن سعود ، والسبب في ذلك ان ابن حميد كان شهيرا بكونه واحداً من الكبار الذين ينوبون عن ابن سعود . يضاف الى ذلك ، أن بعض دوشان الأرطاوية وبعض أفراد عائلة خثيلة في الغطط أبلغوا مؤلف هذا البحث أن ابن سعود لم يكتب الرسائل أو الملاحظات إلا نادرا ، لأنه كان يفضل البت في أعماله شفها ، وأن الأمر إذا ما استدعى خطابا مكتوبا فإنه يكون من النوع الذي لا يعرف حلا وسطا . كان ابن سعود يفضل إرسال المراسلين ، وكان من يتلقون رسائل ابن سعود الشفهي يدرسونها جيدا ، سواء كانت تهديدا بالحرب أو وعوداً بهدايا (٤٨) .

أخيرا ، وفي ضوء إنكار ابن سعود للهدايه القسريه ، أمام المسئولين البريطانيين عن طريق مساعده الأمين الأمير أحمد بن ثيان ، ليس من المحتمل أن

(٤٧) ارسال الوثائق من المشير فسكونت للنبي الى الماركيز كيرزون الكيدلستوني ، ١٧ أكتوبر ١٩٢٢ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٧٧٥١ ، الوثيقة رقم ٩١ / ٢٤٨ / ١١٨٦ .

(٤٨) كان المراسل في مثل هذه الحالات يحتجز مع الشيخ الذي ارسل مراسله الخاص الى ابن سعود ليؤكد في الحقيقه أن المراسل المحتجز هو مراسله . (مقابله مع محمد بن جياع الدويش في الرياض ، نوفمبر ١٩٦٨) .

يكون خطابا مثل ذلك الذى وقعه عساف خطابا حقيقيا بالشكل الذى يمكن استعماله دليلا على ابن سعود ، لابد أن يكون شيئا هجره ابن سعود وتخلّى عنه (٤٩) .

ليس هناك أدنى شك فى تورط الإخوان فى الهدايه القسريه ؛ وليس هناك أدنى شك أيضا فى أن ابن سعود كان يعلم بذلك ، وأنه كان يفرض عليه العقوبات بشكل واضح فى بعض الأحيان ، وفى أحيان أخرى كان ، يحس بالعجز وعدم القدرة على التصرف دون أن يستثير غضب الاخوان . وعلى أية حال ، فإن أهداف ابن سعود السياسية والحدوديه لم تكن قد تحققت تماما ، وإلى أن تتحقق تلك الأهداف لم يكن ابن سعود على استعداد لإلغاء حركة الإخوان إلا إذا دعت الضرورة الملحة إلى ذلك.

(٤) **الحياة المعاناه** : بعد أن اضطر الإخوان إلى بيع إبلهم واغنامهم وكذلك الماعز - المصدر الرئيسى لحياتهم الاقتصاديه - أصبحوا يعتمدون الى حد بعيد ، على الاعانات التى كانوا يحصلون عليها من بيت المال لحياتهم اليوميه . كانت هذه المسألة حقيقيه مع بدايه الحركه ، وبصفة خاصة عند إنشاء هجرة جديدة . وتلى ذلك ، أن الدوله كانت تقدم للإخوان بذور الموسم الزراعى الأول ؛ ومع ذلك فقد استمر تقديم الدوله للاعانات لفترة طويله بعد أن أصبحت الهجرة عاملة ومنتجه . لم تكن تلك الإعانات ضروريه للاخوان لأنهم لم يكن لهم أى مصدر آخر وإنما لأن طبيعه الحياة التى يعيشونها على شكل تنظيم شبه عسكرى كانت تتطلب منهم أن يكونوا على استعداد للتعبئه للحرب فى أى لحظة من اللحظات ، وأبعدتهم عن الانشغال بأنشطه مستديمه من قبيل الزراعة ، والحرف والتجاره . ومن ثم ، إذا كانت الإعانه الحكوميه تعد إعانه بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمه ، فإنها لم تكن أجراً

(٤٩) اللنبى هو الوحيد الذى ارسل رسالة عساف بن حسين . والواقع ان هذه الرسالة كانت ملحقاً لتقرير عن الإخوان كتبه "جيش الليفانت الفرنسى" ، وذلك نقلاً عن الشرح الوارد على أصل الوثيقه . ونظراً لأن الفرنسيين لم تكن لهم استخبارات جيده فى الجزيرة العربيه ، فإن رساله بن حسين يشك فى صحتها . راجع خطاب تغطيه الوثيقه إي ١١٧٨ / ٢٤٨ / ٩١ فى المجلد ٧٧١٥ ، مكتب السجلات العامه .

نظير البطالة ، وإنما هي أجر لتحقيق مطلب مهم من متطلبات الدولة ، وبخاصة الاستعداد العسكري والتعبئة القورية . وتعرف هذه الإعانات بإسم *العطايا* (٥٠) ، وكانت تنقسم إلى أربعة أنواع : (أ) *الشرهه* (ب) *القاعدة* (ج) *البروه* (د) *المعاونة* ، والقاعدة فقط من بين هذه الاعانات ، كانت مقصورة على الإخوان ، في حين أنهم كانوا يشاركون ، من ناحية أخرى ، في الإعانات الثلاث الأخرى .

(أ) *الشرهه* : عبارته عن مساعدة مالية لأولئك الاشخاص ، ولكنها عادة ما تعطى لرؤساء القبائل ورؤساء *الهجر* الذين يقومون بزيارات خاصة لابن سعود بصفته *إماما* . ويقضى من يحصل على الشرهه عدة أيام في زيارة ابن سعود إما في دار من دور الضيافة أو في خيمته الخاصة ، ولكنه يتناول الطعام على مائدة ابن سعود . وطوال فترة الزياره يقوم الزائر بتسجيل اسمه في سجل خاص يعرض بعد ذلك على الملك الذي يحدد كتاباً ، أمام كل اسم من الأسماء ، مقدار أو نوع الهبة التي سيعطيه الملك إياها .

(ب) *القاعدة* : عبارة عن هبة نقدية يهبها الملك كل عام لكل فرد في *الهجر* يكون قد سجل الملك المخصص لأولئك الذين يستدعون للحرب من *الهجر* . وكان يجري تحديد ذلك المبلغ بصورة مسبقه . كان أفراد الشعب يتلقون ذلك المبلغ في كل أنحاء المملكة . كانت تلك المبالغ تدفع بطريقه آليه كل عام ، بدون إذن من الملك . كان الأفراد يحصلون على هذا المبلغ من بيت المال مباشرة ، ولم يحدث أن أوقف الصرف قط إلا بناء على أمر خاص بذلك من الملك إلى بيت المال عقاباً للفرد أو إنذاراً له .

(ج) البروة : هبة على شكل أرز ، بن ، شاي وسكر أو أية سلع أو بضائع أخرى مماثله يتم توزيعها من مراكز خاصة موجودة في مناطق جغرافية محددة ، مثل الأحساء ، القطيف ، الجبيل . وتختلف البروة عن القاعدة من حيث أن البروة هبة تعطى مرة واحدة ، في حين أن القاعدة كانت سنوية . ومن حق كل إنسان أن يطلب بروة كل عام ولكن الطلب يمر من خلال مكتب الملك الخاص (الديوان) ليوافق جلالته عليه . وقد جرت العادة أن يوافق الملك على الطلب بأن يحصل الطالب على المقدار نفسه الذي حصل عليه في العام السابق .

(د) المعاونة : كانت المعاونة تعطى في الموعد الذي تعطى فيه الشربة . كان الشخص يطلب شفاهة من الملك مساعدة خاصة . وعندئذ كان يطلب إلى طالب المعاونة أن يسجل حاجته الخاصة في الديوان ، وكان الملك شخصيا هو الذي يصدر قرارا بشأن كل حالة .

من هنا ، يمكن القول بصدق ، إن الإخوان كانوا يشكلون شكلا من أشكال الطبقة المتميزة في الدولة الجديدة . فقد كانوا يعتبرون انفسهم أوصياء على أمن الدولة وعلى اخلاقها ، وقد ولدت قوتهم السياسية والعسكرية المتزايدة بين صفوفهم شكلا من أشكال الغطرسية والتفوق الطبقي الذي بدأ يتآكل لصالح الجماعات الأخرى مثل العلماء وأعيان المدن والقرى ، مما بدأ يخفف من وقع الاهاتات الحقيقية والخيالية التي أنزلها أولئك البدو الذين تحولوا الى متشددين دينيين ، بالجماعات غير الإخوانية .

القسم الثانى
تطور حركة الإخوان

الفصل الخامس

نشأة المجتمعات الإخوانية

كان استهداء البدو إلى الإسلام الصحيح بمثابة الخطوة الأولى التي خطاها ابن سعود في سبيل لجم الإخوان باعتبارهم طلائع قوته العسكرية التي سوف تعيد شمالي نجد ، الجوف وعسير فضلا عن الحجاز إلى حكمه وصولجانه . وجاء إنشاء المجتمعات الزراعية الصغيرة لاستقرار هؤلاء البدو فيها بمثابة الخطوة الثانية .

وفي الفترة ما بين غزو الرياض والعام ١٩١٢ الميلادي ، تاريخ إنشاء الهجرة الأولى ، بدأ ابن سعود مشروعه لهداية البدو واستقرارهم . وانتشر عشرات المعلمين الريفيين الشبان بين البدو وراحوا يعلمونهم كلام الله وأقوال (حديث) النبي محمد . وراحوا يصورون الخطيئة تصويرا حيا ، كما صوروا أيضا جهنم ، وغضب الله ، والعقاب ، والطاعون الدبلي ، والطواعين الأخرى التي الهبت جميعها خيال البدو . ولم تكن الجوانب السلبية أو العقابية للدروس الدينية هي التي استلهمت البدو حتى يصبحوا مسلمين ؛ وقد قيل للبدو إن القتال في سبيل الله يجعل كل ثروات الدنيا تتضاعف أمام نعم الله . وتخيل البدو جنة من نخيل ، وأنهارا جارية وحرراً عين يساعدهم على تمضية أيام السعادة السرمدية . ولم تكن حياة البدو الوضيعة البائسة تسمح لهم إلا بالقليل جداً من المباهج والملذات ؛ ولم تكن هناك غرابه في أن يسعى البدو إلى الاستشهاد في ميدان القتال وبذلك يضمنون لأنفسهم مكانا في الجنة heaven . وكان العائد عليهم من ذلك يتمثل في أنهم يسيرون في درب التراث الذي ضاع من أسلافهم بسبب افتقارهم إلى الإتصال بالحضارة الإسلامية . لقد عزلتهم حياة الرعي عن التراث وتسببت في دخولهم في "الجهل" . إن الدروس الدينية الجديدة لم تغير أي جانب من الجوانب الأساسية ، في حياة البدو ، تغييرا جذريا ؛ كما أن الغزو لم يكن حراما أو محرما عندهم . إن كل ما حدث هو أن أسلوب حياة هؤلاء البدو أعيدت قلوبته وأعيد تشكيله ليناسب

مجموعة من الظروف الجديدة . وكان من المفروض عندئذ إعادة توجيه الطاقات كلها إلى مسار واحد ، موجه ضد الكفار ؛ ولكن لكون الغزو ليس رياضة وحسب وإنما سيكون بمثابة تنفيذ لإرادة الله . وبدلاً من ترحال البدو عبر الصحراء استهدافاً لزيادة الإبل والماعز والإغنام قليلة التكاليف ، فإنهم سيعيشون في مجتمعات زراعية صغيرة يعد الطعام فيها كافياً إن لم يكن وفيراً . وفي تلك المجتمعات الصغيره ستهال عليهم نعم التفقه في الإسلام بفضل فقهاء الدين الذين سيعيشون معهم في تلك المجتمعات لحمايتهم من الوقوع في الجهل مرة ثانية .

وفي الوقت الذي كان الدعاة فيه مشغولين بهداية البدو كان القادة القبليين الأقوياء يجرى احضارهم الى مدينه الرياض ليحلوا ضيوفاً شخصيين على ابن سعود . وإذا ما رفض شيخ القبيلة القوى قبول هذا الكرم ، أو إذا ما أحس ابن سعود أن قائداً قبلياً بعينه كان يرفض طلبه رفضاً تاماً ، فإنه كان يوجه الدعوة إلى شيخ أقل منه . وفي الرياض ، وتحت إشراف العلماء الوهابيين ، كان يجرى تفقيه مشايخ القبائل في مبادئ الإسلام . وفي الرياض أيضاً ، كانت تتاح لهؤلاء المشايخ فرصة مشاهدة سلطة ابن سعود وقوته ؛ والممثلين البريطانيين الذين يحضرون مجلسه ؛ وكذلك مشايخ القبائل الأقوى والأكبر الأخرى وهم يتعهدون بالولاء لابن سعود ؛ ومئات البشر الذين يتناولون الطعام على مائدته كل يوم ؛ ومئات البشر الذين كانوا يعودون إلى قبيلتهم ومع كل منهم طقم من الملابس الجديدة ؛ أو الهدايا الذهبية ، أو وعوداً بالمساعدة . كان هؤلاء المشايخ ، يصفون ابن سعود ، عندما يعودون إلى قبائلهم ، بأنه رجل المستقبل ، ويقنعون أفراد القبيلة أن خيرهم في ربط مصيرهم بابن سعود . وإذا ما اعترف شيخ القبيلة وكبارها بزعامة ابن سعود ، من خلال يمين الولاء الذي يقسمونه ، فإن أي ارتداد عن هذا الولاء يستثير بحق غضب ابن سعود عليهم نظراً لأنهم سيكونون بمثابة متمردين على السلطه الشرعيه .

وفي ظل هذه الظروف نشأت *الهَجَرِ الأولى* . فقد اتجهت مجموعة من البدو بعد أن حفظت رسالة الدعاة عن ظهر قلب ، إلى الحزمة التي بحثوا فيها عن المزيد

فى التفقه فى الدين . وفى بلدة الخرمة وبين العرب المستقرين فيها راح هؤلاء البدو يتشاجرون مع أهل البلدة بسبب تشددهم . وغادر هؤلاء البدو ، بلدة الخرمة نتيجة لذلك ، إلى موقع اسمه الأرطاوية ، يقع فى أقصى الركن الشرقى من منطقته سدير ؛ وكان ذلك الموقع مشهورا بمياهه كما كان أيضا محطة تتوقف فيها القوافل المتجهة إلى الكويت لتأخذ قسطا من الراحة وتتزود بالماء . وبعد تأسيس هذه الهجره بوقت قصير أنشئت الهجرة الثانية فى المكان الذى يعرف الآن باسم الغطط ، الذى يقع ناحية الجنوب الشرقى من الرياض . وقد أدى ذىوع صيت هاتين الهجرتين ، اللتان كانت تسكنهما أقوى قبيلتين فى نجد : مطير وعتيبه كل على حدة ، الى استبداء سباق قامت به قبائل نجد الأخرى ليكون لكل منها هجرته ، تلك القطعه من الجنه الإسلاميه على الأرض * .

وبرغم أن ديكسون Dickson يصف الهجرة بأنها كانت موجودة فى العام ١٨٩٩ ، فإن الدليل الذى قدّمه الرحالة الذين وصلوا موقع الأرطاوية بعد العام ١٨٩٩ وقبل العام ١٩١٢ الميلادى يثبت عدم وجود أى موقع مستقر فى ذلك المكان قبل العام ١٩١٢ . يقول فيلبى :

من الواضح أن باركلى راونكير Raunkaier كان آخر الأوربيين الذين مروا بهذا المكان ، وقد كان ذلك فى العام ١٩١٢ ، حيث يبدو أن المنزل الأول لم يكن قد بنى بعد . ولم يمض سوى ست سنوات ونصف السنة حتى نمت فى تلك المنطقة بلده لايقل عدد سكانها عن ١٠٠٠٠ نسمة ، والتي كنت أنا أول أوربى ينظر إليها من بعيد (١) .

* التعبير هنا مجازي ، فى الصياغ التعبيري ، وليست الدلالة هنا حرفية نصيّة على الماهيّة الاصلية للفظ (المراجع)

(١) هـ . جون فيلبى ، الجزيرة العربيه الوهابيه ، (لندن : كونستابل وشكاه ليمتد ١٩٢٨) ، ص

ويرد في فيلبي قائلا في مؤلف آخر من مؤلفاته :

. . . زار الرحالة الهولندي ، باركلي راونكير الموقع خلال رحلة قام بها من الكويت إلى بريده قبل عدة أشهر من تأسيس المستقر ، ويبدو أنه لم يكن على علم بخطه تحويل منطقة البئر إلى معسكر ديني كبير . وبعد ذلك بشهور قلائل سافر الرحالة الإنجليزي الشهير الكابتن جى . إى . ليتشمان من بغداد إلى الرياض عن طريق بريده حيث أجرى في الرياض إتصالا سريعا بإبن سعود ؛ ثم واصل رحلته بعد ذلك شرقا إلى الأحساء ، التي كانت لا تزال تحت الاحتلال التركي ، برغم أنها كانت على وشك تغيير المحتل . كما فشل ليتشمان أيضا في استشعار جو التغيير الذي بدأ ينتشر في الصحراء على أثر حركة الإخوان الأولية . ولم يستطع الكابتن شكسبير أيضا ، عندما كان ينتقل عبر الجزيرة العربية في شتاء العام ١٩١٣ - ١٩١٤ ، تقييم احتمالات الفكره التي كانت قد بدأت بالفعل في نظم القبائل الرعوية ضمن إطار شكل لدولة قابله للتحقيق (٢) .

ويظهر أن المهاجرين البدو الأوائل قد وصلوا ، في وقت ما ، بعد زيارة الرحالة الدانمركي والرحالة البريطاني للمنطقة ، ومن المحتمل أن يكون ذلك في العام نفسه .

وموقع الأرطاوية معروف منذ زمن بعيد بوفرة مياهه ، ثم تحول الى منطقة رعى تابعة لرئيس قبيلة مطير ، فيصل الدويش . ومن رأى الريحاني (٣) أن أول إسم أطلق على أول مستقر من مستقرات الإخوان مشتق من الكلمه العربيه الدالة على مرعى ، أرطاوى ، ومن ثم جاءت كلمه الأرطاوية . ولكن جريدة جازيتير الخليج الفارسي Gazetteer of the Persian Gulf التي كان يصدرها لوريمر ، التي نشرت في العام ١٩٠٨ والتي كانت تشتمل على المعلومات المتيسرة لدى الحكومة البريطانيه عن وسط نجد بالصورة التي كان عليها في تلك الايام ، لم

(٢) هـ . جون فيلبي ، اليوبيل العربى (لندن ، روبرت هيل ليمتد ، ١٩٥٢) ، ص ٣٩ .

(٣) الريحاني ، نجد ، ص ٢٦٣ .

تتطرق إلى الأرتاوية ولم تتوه عنها ، برغم أن هذا الموقع يقع من الناحية الجغرافية على الطريق الرئيسى بين الرياض والكويت وهذا الطريق الصحراوى يلتقى عند وابره Wabrah بالطريق المؤدى الى الكويت" (٤) . ومع ذلك ، فإن دليل البحرية البريطانى ، اقتبس بعد ذلك بثمانى سنوات فقط ، عن مصدره شكسبير (١٩١٠) وباركلى راونكير (١٩١٢) وصفا للموقع على انه "آبار فى تجويف كبير تحيط بها الجبال ؛ وأن راونكير قاس عمقها فوجده عشرين قدما . والمياه القريبة متوفره دوما (٥) . ومع ذلك فإن دليل البحرية لا يتطرق إلى ذكر ذلك الموقع .

وطوال الرحلة التى قام بها المؤلف إلى الأرتاوية فى شهر مارس من العام ١٩٦٨ ، أطلعته سلطان الدويش ، حاكم البلده ، على البئر الأصلية التى حفرها الإخوان أول مرة فى ذلك الموقع ؛ ومن حول هذه البئر بنت قبيله مطير الهجره واحتلتها .

وفيما يتعلق بتأسيس الهجره فى الأرتاوية يكتب المؤرخ النجدى ابن ناصر فيقول : قام كل من سعد بن مثيب ، وأخوه راضى ، صالح بن فايز الحربى ، جلوى العسكر وأسرتة ، وفهد بن فهيد وجماعته من مطير ومعه آخرون " (٦) بتأسيس المستقر فى العام ١٩١٢ الميلادى بعد ان تركوا بلده الخرمة Harma بسبب نزاع دب بينهم وبين السكان المحليين هناك حول التشدد الدينى . وقد أبلغ كل من ماجد ابن خثيله ومحمد الصحابى المؤلف خلال عدة مقابلات أجراها معهم ، أبلغاه أن سعد بن مثيب هو الذى أسس الأرتاوية . وبينما كان سلطان الدويش يرافق المؤلف فى جوله فى الأرتاويه فى شهر مارس من العام ١٩٦٨ أبلغه أن البلده

(٤) لوريمر ، جازيتير الخليج الفارسى ، المجلد الثانى ، (١٩٠٨) ، ١٣١٣ .

(٥) دليل الجزيرة العربيه ، هيئه أركان حرب البحريه ، قسم الاستخبارات ١٩١٦ ، المجلد ١ ، ص ٩٧ .

(٦) عبد الرحمن بن ناصر ، عنوان السعد والمجد ، مخطوطه ، صوره بالبالوظه لدى المؤلف ،

ص ١١٤ . راجع أيضا فؤاد حمزه ، قلب جزيرة العرب (القاهرة : مطبعة السلفيه ،

١٩٣٣) ، ص ٣٧٩ .

أنشأها عبد المحسن بن عبد الله بن عبد الكريم التميمي الذي وصل الى الموقع لأول مرة ومعه ثلاثين فرداً قاموا بحفر البئر الأولى من البئرين الأساسيين في ذلك الموقع .

وقد حصل المؤلف على تفسير للإشارة التي أوردها ديكسون عن عبد الكريم المغربي في شهر أكتوبر من العام ١٩٦٨ الميلادي أثناء مناقشه له مع كل من سلطان الدويش وحفيد عبد الكريم المغربي الذي أشار إلى جده باسم الدويش (المتسول) . أولاً ، وافق الاثنان في البدايه على أن الأرطاوية تأسست في العام ١٩١٢ وأنه لم يكن هناك أي مستقر ، في ذلك الموقع ، قبل تأسيس الهجره ، ثانياً قالا إن ديكسون خلط بين اسمين يحملان الاسم عبد الكريم ، وأن كلاهما عاشا بالفعل في الأرطاوية ، وأن كلا منهما كان شخصية بارزه . قالا إن مؤسس الهجره هو عبد المحسن بن عبد الكريم ، وهو نجدى ، قاد المجموعة الأولى من المهاجرين الى ذلك الموقع ، وكان من بينهم سعد بن مثيب . أما عبد الكريم الذي أتى ديكسون على ذكره ، حسب قولهما ، لم يكن شهيراً باسم المغربي وإنما كان يعرف باسم الدويش ، بسبب ذبوع صيته في التشدد الديني ، والزهد ، وعزوفه عن كل السلع الدنيوية . وخلصا إلى انهما لا يعرفان غير هذين العبدین الكريمين ، ولا يعرفان ذلك العبد الكريم المغربي الذي أتى ديكسون على ذكره .

وفي ديسمبر من العام ١٩٦٨ الميلادي حقق ماجد ابن خثيله مآده تلك الرواية . فقد وافق على انه كان هناك عبدان كريمان ، ولكن في أي حال من الأحوال فإن المغربي الذي أتى ديكسون على ذكره لم يكن مؤسس الهجره . وأورد ماجد الآتيه اسماؤهم يعد على أنهم هم أول من هاجروا إلى الأرطاويه . سعد بن مثيب ، عبد المحسن بن عبد الكريم ؛ سظام الخويطري ، مانع بن فضليه ، عبد الله بن جاسر العتيبي ، عبد الله بن فائز الحري ، وأبو سيداي الخويطري . وفي رسالة بتاريخ ٥ يناير من العام ١٩٦٩ الميلادي كتب اللواء جون جلوب مايلي :

لقد راجعت الإشارة إلى الأرطاوية أو بمعنى أصح الإشارة التي وردت في كتاب ديكسون عن الكويت . إنه لم يأت سوى على ذكر أن عبد الكريم المغربي أقام نفسه عالماً دينياً في الأرطاوية . وأنا أرى أن ديكسون كان مخطئاً بالقطع عندما وصف الأرطاوية ، بأنها كانت مدينه في العام ١٨٩٩ . لقد كنت اسمع دوماً وبكل تأكيد أن الذي أسس هذا الموقع هو عبد العزيز بن سعود . كما اعتقد أيضاً أن عبد العزيز هو الذي أنشأ حركة الإخوان (٧) .

وخلال عامين من تأسيس الأرطاوية في العام ١٩١٢ ، انتقلت السيطرة عليها إلى فيصل الدويش الرئيس الأعلى لقبيله مطير الذي كان عدواً لدوداً لابن سعود في وقت من الأوقات ولكنه أصبح أخاً فيما بعد وكرس سيفه ونفوذه لتزعم قضية ابن سعود . كان أبرز زعماء المستقر عند تأسيسه هو عبد الله بن حسن آل الشيخ ، أحد أعضاء أسرة آل الشيخ البارزه (٨) . ونقلنا عن حاكم الأرطاوية الحالي فإن ذلك المستقر بقيادة فيصل الدويش تحول إلى مدينه تضم ٣٥ ألف نسمة (٩) . وعلى أية حال ، فقد ورد عند فيلبس أن البلده لم تكن تحتوى على أكثر من ١٠٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ نسمة على أكثر تقدير . وتتفق غالبية المصادر الغربيه الأخرى على الرقم الذي أورده فيلبس . من ناحية أخرى ، فقد أورد العقيد هاميلتون ، الممثل السياسى في الكويت ، والذي مر بالقرب من الأرطاوية في شهر اكتوبر من العام ١٩١٧ ، أورد الرقم ٣٥٠٠٠ على أنه سكان البلده في ذلك الوقت . والغريب في الأمر أن

(٧) رسالة شخصيه إلى المؤلف من اللواء جون جلوب ، ميفيلد ، سسكى ، أرسلها في ٥ يناير من العام ١٩٦٩ الميلادى .

(٨) اشتهر باسم الشيخ (كبير القبيله أو عالم) ، تعرف أسرة محمد بن عبد الوهاب الى يومنا هذا باسم أسرة الشيخ .

(٩) مقابله شخصيه مع سلطان الدويش في الأرطاويه في شهر مارس من العام ١٩٦٨ الميلادى .

هذا الرقم يتفق مع التقدير نفسه الذى أورده حاكم الهجرة الحالى (١٠) . ويناقش فيلبى ذلك الرقم فيقول :

سنحت الفرصة للعقيد هاميلتون ، أثناء رحلته التى قام بها إلى الرياض فى شهر أكتوبر من العام ١٩١٧ أن يمر خلال يوم كامل من رحلته بالقرب من الأوطاوية ، التى تعد واحداً من مراكز الحركة الوهابية الجديدة التى تربطها علاقته بأخوة الإخوان . وقد تأثر هاميلتون بما سمعه عن مبادئ ذلك المذهب المتشدد ، وأنه قبل بلا مناقشه ، تقديراً محلياً ، أعطى البلدة عدداً من السكان يقدر بحوالى ٣٥٠٠٠ نسمة . وأنا على يقين ، أن العقيد هاميلتون لو أعمل فكره قليلاً فى ذلك الرقم لما قبل أن يورد ذلك الذى سمعه دون أن يقوم بالمزيد من التحرى ويحتمل انه لم يتوقع أن يؤخذ ذلك التقرير مأخذ الجد . وفى المقام الأول ، لم يكن محتملاً ، منذ الوهلة الأولى ، أن تنمو الأوطاوية خلال عامين من الزمن لتصبح مدينه فى حجم أكبر المدن فى المنطقه الوسطى ؛ وفى المقام الثانى ، وهذه النقطة استنتاجيه من وجهه نظرى - فإن التقديرات الوطنيه للسكان لا يمكن الاعتماد عليها . وربما كان من الافضل اللجوء إلى خطه دوغتى التى تقضى بتخفيض مثل هذه التقديرات بنسبه ٩٠ فى المئه ، فى مثل هذه الحاله . لقد شاهدت البلده من مسافه قريبه ، فى شهرأكتوبر من العام ١٩١٨ الميلادى ، وأنا مقتنع بأن سكانها لا يمكن أن يزيدوا على ١٠٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠ نسمة (١١) .

كانت "المسافه الآمنه" التى أوردها فيلبى تقدر بحوالى أربعه أو خمسة أميال وأنه كان يستعمل نظارة الميدان (١٢) ، ومن ثم لم يكن فى وضع جيد يسمح له بتقدير حجم البلده تقديراً جيداً .

(١٠) من المهم أن نجد بعد مرور واحد وستين عاماً على مرور هاميلتون بالقرب من الأوطاوية ، ذلك الوقت الذى أعطى هاميلتون فيه الرقم ٣٥٠٠٠ على انه عدد سكان البلده ، مهم أن نجد حاكمها الحالى يعطى الرقم نفسه . أم القرى ، العدد ٢١٨ (١ مارس ١٩٢٩) حددت عدد السكان بحوالى ٣٠٠٠٠ نسمة .

(١١) فيلبى ، بعثه نجد ، مخطوطات ، مكتب السجلات العامة ، المجلد ٤١١٤ .

(١٢) فيلبى ، الجزيرة العربيه الوهابيه ، ص ٣٥٣ .

وقد حاول المؤلف الوصول إلى الرقم الصحيح لعدد سكان الأرطاوية وذلك عن طريق المقارنه بين الحجم النسبى لكل من الغطط والأرطاوية . وفى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٨ الميلادى رافق المؤلف واحد من مخططى المدن المحترفين (١٣) الى الغطط وقام بدراسة سريعة للبلده . ومن مكان فى أعلى مئذنه المسجد الرئيسى الذى يقع فى المدينة المدمره قام بعملية عد للمنازل التى وصل عددها الى ٥٠٠ منزل ومن عدد المنازل استطاع أن يستنتج أن عدد سكان الغطط كان يقدر بحوالى ٣٥٠٠ نسمة . من ناحيه أخرى ، فإن الحاكم الحالى للغطط قدر عدد سكانها بحوالى ١٠٠٠٠ نسمة . وبفرض أن تقدير مخطط المدن المحترف لسكان الغطط كان صحيحا ، وبفرض أيضا أن مساحة الأرطاويه ثلاثة أمثال مساحة الغطط ، فإن عدد سكان الأرطاوية لا بد أنه كان يتراوح بين ١٠٠٠٠ و ١٢٠٠٠ نسمة .

والأرطاويه ، على العكس من الغطط ، لم يجر تدميرها بعد تمرد الإخوان الفاشل فى العام ١٩٢٩ ، ومن ثم استطاع المؤلف أثناء زيارته للبلده أن يرى المدينة سليمة تماما ، برغم تخلى الكثير من الناس عن منازلهم وأصبحت يد الصيانة لا تمتد إليها ، وذلك بعد أن هرب فيصل الدويش من البلده فى العام ١٩٢٩ .

وقد انشئت الأرطاويه بناءً على مخطط رئيسى يشبه العجله (دولاب) يقع المسجد وميدان القرية فى منتصفها على وجه التقريب . وكان يحيط بالبلدة سور من اللبن يصل ارتفاعه الى حوالى ١٢ متر تقريبا - لم يصب الجزء الأكبر منه أى أذى إلى الآن - له مدخل ومخرج تتحكم فيها أربع بوابات من ناحية الشرق ، الغرب ، الجنوب ، والشمال . وكما هو الحال فى أى منطقة عسكرية فإن اسطبلات الخيل ومخازن العلف كانت تتحدد مواقعها بشكل واضح فى وسط البلده بالقرب من الميدان . وفى ذلك الميدان كان الإخوان يرفعون علم الحرب (بيرق) إشارة إلى أن

(١٣) هو السيد / كريستوس أ . أنتاكوبولوس Antachopoulos من مؤسسة دوكسياس أسوشيتس ، أثينا ،

نداء بالغزو قد صدر إليهم . والمنازل جميعها مكونة من طابق واحد ^(١٤) كما أنها تجاور بعضها بعضا على طول حارات ضيقه متعرجة لا تتسع إلا لمرور عربته تجرها دابته . وبيوت البلدة مبنية من اللبن ولونها يشبه لون الصدا . ولم تكن المنازل تحظى بأى شكل من أشكال الزينة أو الطلاء اللهم من بعض الدهان الأبيض من حول النوافذ والأبواب فى بعض الأحيان . وغالبية المنازل مكونة من غرفتين أو ثلاث ، إحداهما "غرفة القهوة" وتحتوى على موقد نجدى تماما . وكان لكل منزل بئره الخاصة والسبب فى ذلك أن نساء الإخوان لم يكن مسموحا لهن باستعمال الآبار العامة .

وقد تم هدم مسجد الهجره الأصلى وحل محله مسجد من الطراز النجدى ، ومع ذلك ما يزال هناك بعض المساجد الصغيره الأصيلة التى يستعملها السكان المحليون . ويوجد من تحت العديد من المساجد ، مساجد أخرى تحت مستوى سطح الأرض لكى يؤدى المصلون صلاتهم فيها فى فصل الشتاء * ، وهذه الخاصية مشتركة بين جميع المساجد النجدية . وتخلوا المساجد من أى شكل من أشكال التجميل والزينة .

والمنزل الأصلى لـ فيصل الدويش لا يزال بحالة ممتازة ، وهو على العكس من المنازل الأخرى فيه بعض اللمسات المعمارية . فالمجلس من الداخل مزين برسوم خطيه متكرره وآيات من القرآن وبأمثال عربية . والمنزل لا يسكنه أحد . وتقع الأرطاوية فى وادى يحمل الإسم نفسه . وعندما تسقط الأمطار الغزيرة على المنطقة ، يتحول الوادى إلى وادى جارٍ . وقد حاول أهل البلدة الإحتفاظ بجزء من ذلك الماء فبنوا سداً بدائيا صغيرا ولكنه مفيد يحتجز كمية كبيرة من الماء . ولا تزال الآبار الأصلية التى حفرها المهاجرون الأول تحتوى على الماء ولكنها لا تستعمل . كما تضيف الحقائق الكبيرة التى تقع إلى الغرب من البلدة ،

(١٤) أورد ديكسون أن المساجد متعددة الطبقات كانت ممنوعة - مذكوره الى المفوض المدنى ، مكتب

السجلات العامة ، مخطوطات ، المجلد ٥٠٦٢ .

* تسمى فى بعض بلدان نجد بأسم "الخلوة" (المراجع)

والتي تتكون في معظمها من النخيل ، تضيء جوا من الإخضرار على البلده التي تبدو بدون ذلك ، كما لو كانت سهلا بنى اللون يضرب الى اللون الرمادي خال من الجمال الطبيعي . وعند الأفق من ناحية الغرب تطل على البلدة هضبة أنشأ سكان البلدة عليها أربعة أبراج تكون بمثابة نقاط إنذار مبكر بأي شكل من أشكال الهجوم المعادي (١٥) .

ومع أن الأرطاوية تعد بلدا هاجعا يقع على حدود نجد ، ويكاد يكون منسيا ، ومع أن الأرطاوية لم تعد تزعم بعد أن لها الأهمية التي كانت لها من قبل ، إلا أن اسمها يستثير مسحة من الفخر وابتسامة مشرقه إذا ما ورد ذكره في حضور أحد من الإخوان . ولكن في أوج عظمة الأرطاوية كان الاسم وحده كفيلا بنشر الرعب في قلوب أهل الحجاز وإثارة الخوف في قلوب النجديين ، إن ذبوع صيتها من حيث التشدد الديني وذبوع صيتها كموطن للعسكريه ، بل إن صدى إسمها لدى بعض أهل الحجاز الذين يعرفون تاريخ الجزيرة العربية يجعلهم يرفعون حواجب أعينهم إندهاشا . وقد ذاع صيت هذه البلده إلى الحد الذي جعل العقيد هاميلتون يكتب في اليوم السابع من شهر ديسمبر من العام ١٩١٨ فيقول : "يبدو أن الجميع يعارضون ذهابنا إلى الأرطاوية ، التي يقال إنها المركز الرئيسي للتطهيرية المحمدية ، فهم لا يرحبون بالأجانب وحسب ، وإنما يضعون الغرباء عنها جميعا في الحجر مدداً قد تطول أو تقصر إلى أن يتأكدوا من مذهبهم" (١٦) . فقد أبلغ حاكم الأرطاوية المؤلف أن الزائرين الذين كانوا يفدون من الكويت بصفه خاصة ، كانوا يوضعون في الحجر قبل السماح لهم بدخول البلده ، بل إن أهل الأرطاوية الذين كانوا يسافرون إلى الكويت ، كانوا يوضعون في الحجر أيضا ألى أن يتم التأكد من أنهم لم يتلوثوا نتيجته زيارتهم لمدينه الكويت . وقد قيل لمؤلف هذا البحث أيضا إن امرأة شابه

(١٥) جميع المدن في كل من وادي حنيفة ، وادي حريملاء وكذلك الوديان الأخرى ينشئ السكان فيها أبراج المراقبة على الهضاب العاليه .

(١٦) تقرير أعده اللواء ر . آي . آي . هاميلتون ، الممثل السياسي ، الكويت ، ٧ ديسمبر ١٩١٨ ، مكتب

السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٣٣٩٠ ، الوثيقة رقم ٢٠١١٩ .

أحضرت معها في الشهر نفسه الذي زار فيه هو الهجره ، بعضا من البن من الكويت ، وأنها قامت بمراجعته الشيخ المحلي للتأكد إن كان ذلك البن يمكن استعماله شرعا (حلالا) . وإلى يومنا هذا لا يسمح للنساء في السوق بالتسوق (١٧) . وبدلا من ذلك تتجمع النساء أمام درج (سلم) المسجد الكبير ، وهو المكان الذي يحضر التجار بضائعهم إليه ثم يبيعونها للنساء . كان التجار يقومون بتوصيل البضاعة إلى منازل الزبائن . وإلى يومنا هذا لا يسمح للمرأة بأن يسمع الناس صوتها في الشوارع ، وإذا ما أرادت إمرأه أن تتأدى على إمرأه أخرى وسط الناس فإنها تصفق بيديها (١٨) . والتدخين في الأماكن العامة محرم .

بل إن فيلبى لم يخاطر بزيارة البلده ، وقد وصف ملاحظاته على البلده من خلال نظارة الميدان معترفا إنه ومن معه قرروا أن "يتحاشوا الأرطاوية تحاشيهم للطاعون إذ لم أرغب مطلقا في المخاطرة بجلدى في الأرطاوية" . واستطرد قائلا : "البلده . . . كانت علامة ببرزه في التاريخ ، وكان الجميع يخشونها بطول الجزيرة العربية وعرضها ، كما كان المسلمون الذين يعتنقون مبادئ الوهابية بشكل عام يتحاشون تلك البلده أيضا (١٩)

ولا تزال الأرطاوية ، إلى يومنا هذا ، بلدا إخوانيا تقليديا برغم ما قدمته من إساءات وما اعتراها من انتكاسات . ومع ذلك فإن وصف فيلبى لهذه البلده وسكانها ، وهو وصف صادق ودقيق ، يفشل في رسم الجانِب البشري من الصورة . وترتبط على ذلك ، فإن المؤلف لم يصطحب معه من زيارته لتلك المستقرات سوى الحصيله النهائيه لموقف ديكسون من الإخوان :

(١٧) مقابله مع حاكم الأرطاوية في تلك البلده ، مارس ١٩٦٨ .

(١٨) أبلغ حاكم الأرطاوية المؤلف في شهر مارس ١٩٦٨ أن واحدة من بنات الملك سعود قد منعت بالقوه من دخول سوق البلده ، وأن جمهور الحاضرين قاموا بتحطيم السيارة التي كانت تركبها إلى الحد الذي جعلها تتراجع ؛ وأن الملك سعود دعم فرار الجمهور وأنب ابنته على محاولتها الخروج على التقاليد .

(١٩) فيلبى ، الجزيرة العربية الوهابية ، ص ٣٥٢ .

برغم كثرة ما كتب عن قسوة الاخوان ورعبهم ، لا بد أن أسجل الرأي الذى يقول : إن كل ذلك كانت تجرى المبالغة فيه بحذق وعناية خدمة لأهداف سياسية فى ذلك الوقت . كنت أكن للاخوان دوما إعجابا حاقدا ، ويحتمل أن يكون السبب فى ذلك هو أن هناك سحراً عجيباً يحيط بهؤلاء الرجال الصادقين ، المؤمنين بالله حقاً ، الذين يخرجون ، على هدى أنوارهم لتنظيف الدين من المفساد . وأنا أعترف هنا ، بأننى ما أن تعرفت على أحد هؤلاء الإخوان ، حتى اكتشفت أن الفرق بينهم وبين الانواع الطيبة الأخرى من العرب البدو فى الأماكن الأخرى يسير جداً وإذا ما أردنا أن ندرس هؤلاء الناس دراسة حقيقية نجد أن الإخوان كانوا (مغرمين) متيمين بنسائهم ، أطفالهم ، إبلهم ، خيولهم مثل العرب البدو الآخرين ، فى حين أن سيداتهم الجميلات كانت لهن نفس السمات التى تسر الخاطر والتى تشيع بين شقيقاتهن فى كل أنحاء الجزيرة العربية (٢٠) .

وعلى العكس من تأسيس الأرطاوية ، فإن تأسيس الهجره الثانيه ، هجره الغطط الخاصة بقبيلة عتيبه ، لا يثور من حوله جدل تاريخى حول التاريخ الذى انشئت فيه تلك الهجره . إذ تتفق جميع المصادر التى حصل عليها الباحث ، سواء كانت شفاهيه أو مكتوبه ، على أن البلده قد أنشئت فى العام ١٩١٢ ، كما أن ماجد ابن خثيله ، أحد المؤسسين الأصليين لهذه البلده كان مصدراً سخياً من مصادر المعلومات . فقد أبلغ ماجد ابن خثيله المؤلف ، خلال المقابلات التى جمعتها فى الفترة من شهر مارس من العام ١٩٦٨ وشهر يناير من العام ١٩٧٠ ، أن بلده الغطط تأسست فى العام ١٩١٢ وأن الهجره الأصلية الى تلك البلده كانت تتكون من حوالى مائه شخص شكلوا مجتمعاً يشتمل على خمسين خيمه تقريباً . كان كل هؤلاء الناس من قبيلة عتيبه اللهم باستثناء عشرة منهم كانوا من قبيله قحطان . ونقلنا عن ماجد ابن خثيله فإن المهاجرين الأصليين كانوا تحت قيادة كل من دغيب ابن كمحان ، فايت الحبره ، مقحم ابن رميزان ، حسين ابن جوشام . وانضم إليهم بعد ثمانية أشهر كل من ماجد ابن خثيله وعلوش ابن حميد . وبعد ذلك بعام وصل

سلطان ابن بجاد ابن حميد وتولى قيادة الهجرة والسيطرة عليها . ونقلنا عن ماجد ابن خثيلة ، فإن الهجره نمت ، بعد أن تولى سلطان ابن بجاد قيادتها ، إلى أن أصبح عدد سكانها يتراوح بين ١٠٠٠٠ و ١٢٠٠٠ نسمة . وعلى كل حال ، وطبقا لما أوردناه آنفا في هذا البحث ، فإن الحكم على البلده من واقع الحطام الحال في الغطط ربما ينزل بعدد السكان الى اقل من الرقم الذي أوردناه بكثير وذلك تأسيسا على تقدير مفاده أن البلده بكاملها لم تكن تحتوى إلا على خمسمائه منزل فقط أقيمت في منطقة تصل مساحتها الى حوالى تسعين فدانا تقريبا (٢١) .

تقع الغطط على مسافة خمسين ميلا ناحيه الجنوب الغربى من الرياض تقريبا وهى تبعد حوالى ميلين تقريبا عن واحه المزاحميه المستقرة . وتشكل هضبه جبل طويق ذات اللون البنى الذى يضرب الى الاحمرار خلفيه مثيره لتلك البلده من أحد أجنابها ، فى حين تشكل رمال الدهناء الذهبية تناقضا بارزا على الجانب الآخر . وعلى العكس من الأرطاوية ، فإن الموقع الجغرافى للغطط ، إن لم يكن جميلا ، فهو منظرى تماما .

وبلدة الغطط محطمة تماما ، بعد أن دمرت عمداً فى العام ١٩٢٩ بعد تمرد الإخوان القاشل الذى اخمده بن سعود فى معركة السبيله ؛ وبرغم ذلك فالبلده بها كثير من المنازل التى لم يمسه سوء إلى حد ما وتعطى الزائر فكرة عن الحياة القويه التى عاشها سكانها . وباستثناء منزل أو اثنين ، وبالتحديد منزلى سلطان ابن بجاد وماجد ابن خثيلة ، فإن بقية المنازل كان كل منها مكون من غرفتين أو ثلاثه مثل منازل الأرطاويه . وجميع المنازل مكونه من طابق واحد . ولكل منزل بئر

(٢١) تقدير السيد / كريستو أ . أنتاكوبولس ، ديسمبر ١٩٦٨ .

خاصة به (٢٢) ، ولا يزال الجزء الأكبر من هذه الآبار موجوداً في البلدة القديمة ، وقد جفت كل هذه الآبار منذ ذلك الحين . ومخطط البلدة القديمة شبيه بمخطط الأرطاوية : إذ يحتل وسط المدينة جامع كبير ، في حين يحتوى الميدان الرئيسى على المحلات ، الإسطبلات ، ومخازن العلف .

وفى ميدان البلدة كان يتم رفع *البيرق* (٢٣) إيذاناً باستدعاء الإخوان للحرب . ولا يوجد أثر لآى سور كان مضروباً حول البلدة ، ولكن الإحتمال الأكثر أن مثل هذا السور كان موجوداً نظراً لأن ذلك كان تقليداً أساسياً فى بلدان نجد .

وإذا ما حكمنا على البلدة من حيث درجه تدميرها يمكن لنا أن نقول ظناً : إن البلدة قصفت إما بالمدفعية أو عن طريق غمرها بالنيران . ومع ذلك فقد أبلغ ماجد ابن خثيلة الباحث أن ابن سعود عندما أمر بتدمير البلدة ، دعى أهل المزارحمية المجاورة لها إلى السطو عليها ، وقد نفذوا ذلك فعلاً . فقد جردوا المنازل من أخشابها الثمينه . ونظروا لأن المنازل كانت مبنية من اللبن والقش ، ونظروا أيضاً لأن أسقف المنازل كانت محمولة على دعائم من الخشب فقد انهارت المنازل عندما سلب أهل المزارحمية الدعائم الخشبية من أسقفها . كانت الدعائم الخشبية ترتكز على أعمدة بدائية ، مكونه من مجموعة متسلسلة من القطع الحجرية المستديرة نصف قطر الواحد منها حوالى عشرين بوصة ويتراوح ارتفاعها بين خمسة وثمانى بوصات . وبعد وضع هذه القطع واحدة فوق الأخرى ، كما لو كانت عموداً فقرياً لمارد عملاق ، كان يجرى لصقها إلى بعضها بالأسمنت ويجرى

(٢٢) لا يرحب أهل النخط بالزوار الذين لا توجه إليهم دعوة الزيارة . ومع ذلك يتعين على الزائر أن يكون حريصاً جداً فى الأماكن التى يسير فيها ، إذ توجد شبكه من الآبار غير المغطاه على شكل شرك فى البلدة القديمة . وقد نضبت تلك الآبار ، كما أن الكثير من هذه الآبار يصل عمقه إلى أكثر من أربعين قدماً ؛ وهذه الآبار غير محدده أو معلومه وتظهر على شكل تقوب كبيرة فى الأرض ولها أخطارها .

(٢٣) علم من أعلام الحرب .

تشطبيها فى النهاية باستعمال الجص . وبعد ان استلب الناس الدعامات الخشبية إنهارت الأعمدة . إن هيك كل منزل من المنازل فيه عمود منها على أقل تقدير . من هنا فإن الغطاء إلى يومنا هذا عبارة عن مجموعة من المنازل التى لا سقف لها ، ولا يزال الكثير من جدران هذه المنازل على حالتها الأولى لم يصبها أى سوء . ومع ذلك ، فإن أجزاء كثيرة من الحطام عانت الكثير من شدة الريح ، والمطر والتآكل الطبيعى .

وصدرت أوامر ابن سعود بأن تظل البلدة خالية ، ولكن حاكم البلدة الحالى ماجد ابن خثيلة ، سمح له فى العام ١٩٥٦ بالعودة مع مجموعته من سكان المدينة السابقين . وحصلوا على تصريح بالبناء على الحدود الخارجيه للبلده ، ولكن ليس داخل البلدة القديمة نفسها . ودمر المسجد الرئيسى الموجود فى وسط البلده تدميراً تاماً ، وبُنِى مكانه مسجد جديد على المساحة نفسها . والمسجد هو المبنى الوحيد من بين مباني البلدة القديمة المسموح باستعماله .

وقد ذاع صيت كل من الأرطاوية والغطط باعتبارهما مركزين من أكثر مراكز الإخوان تشدداً وعسكرةً . فقد بدأت من هذين المركزين أول عملية اختبار قام بها الإخوان داخل الأراضى المملوكة للملك حسين . وكان سلطان ابن بجاد ، حاكم المدينة ، هو شخصياً الذى قاد عملية غزو الطائف التى اسفرت عن هزيمتها وبدأ رعب الإخوان يلوح لكل من جدة ، مكة ، والمدينة . وفى النهاية ، بدأ سلطان ابن بجاد يخطط لمعارضته ابن سعود التى اسفرت فى النهاية عن تمرد الإخوان ، ثم تدمير الهجرة بعد ذلك جراء الدور الذى لعبته فى ذلك التمرد .

ومع تأسيس الأرطاوية على المنطقة الهدابية ناحيه الشمال الشرقى لوسط نجد ، ومع تأسيس الغطط ناحيه الجنوب الشرقى من الرياض ، بدأت عناصر مهمة من أكبر قبيلتين فى نجد ، مطير وعتيبه ، تلتزم التزاماً تاماً بالمعايير التى وضعها ابن سعود . ولكن الجماعات التى حافظت على طابعها الرعوى الترحالى ، من بين هاتين القبيلتين ، بلغت من الضالة حداً لا تستطيع معه أن تغير ، هى وحدها ، المسار الذى سارت فيه القبيلتين نحو الارتباط بحركة الإخوان . ومن وجهة النظر السياسية - العسكرية فإن ذلك الالتزام من قبل فيصل الدويش ، العدو التقليدى

لعائله الرشيد ، قلل من أهميه قدرات ابن الرشيد في مواجهه ابن سعود ، والسبب في ذلك أن قبيله مطير بدأت تضع كل ثقلها في مواجهه عاصمة ابن الرشيد في حائل . وبنفس الطريقه ، فإن قبيله عتيبه تحت قيادة سلطان ابن بجاد في الغطف راحت تحمي الجناح الغربى من الهجمات التى يحتمل أن تأتى من الحجاز . هذان المركزان ، بحكم موقعهما الاستراتيجى ، كانا بمثابة منارتين تصدر عنهما إشارات الصحوة الإسلاميه ، مصحوبة بكل حماس الحركه العسكريه الفتيه الناجحه . وتدافعت القبائل الواحدة تلو الأخرى إلى لواء ابن سعود وراحت ترسل مشايخها إلى الرياض (٢٤) بحثا عن مساعدته لها في إنشاء هجرها الخاصة . ولم يضع الموقع الممتاز لكل من الأرطاوية والغطف على هاتين القبيلتين : فقد كان فيه الماء الوفير ، البذور - الأسلحة ، وكذلك حق الاتصال المباشر بأقوى رجل في شبه الجزيرة العربيه : ألا وهو ابن سعود في الرياض .

وخلال عقد ونصف من تأسيس أول هجرتين ، تم إنشاء ما يزيد على مائتى هجره . وبرغم أن السواد الأعظم من هذه الهجر كانت تقع في منطقة نجد ، إلا أن بعضا منها تأسس في المنطقة الهدابيه من الحجاز ، وبعض آخر أنشئ في شمالى البلاد في المنطقة التى تسكنها قبيلتى الرؤكه وشمر بالقرب من الحدود السوريه - الأردنيه ، كما لا يزال بعض هذه الهجر موجوداً على حافه الربع الخالى . كما أنشئت هجرتان عند الطرف الغربى لشبه الجزيرة القطريه ، وتحديدًا في كل من السكك Sikak وأمباك Ambaq (٢٥) .

وقد تمكن المؤلف من التعرف على ٢٢٢ هجره . وبرغم أن هذا الرقم قد لا يكون قاطعا ، إلا أنه يمثل الجزء الأكبر من تلك الهجر التى وجدت على امتداد

(٢٤) ابن ناصر ، مرجع سابق . ص ١١٥ .

(٢٥) جى . ب . كيلي ، الحدود الشرقيه للجزيرة العربيه ، (لندن : فابر أندفاير ، ١٩٦٤) ،

ص ١٢٥ راجع أيضا جون فيلبى ، الربع الخالى (نيويورك : هنرى هولت وشركاه ،

١٩٢٣) ، ص ٥٠ .

فترات زمنية معقولة ، نظرا لأن بعض الهجر تولى عنها سكانها بعد تأسيسها بفترة قصيرة وكان السبب في ذلك هو افتقار تلك الهجر للماء فضلا عن مشكلات أخرى خطيرة . واستنادا إلى أسماء الهجر التي جمعت من المصادر الشهيرة ، التي اشتملت على وثائق أمكن الحصول عليها من مكتب السجلات العامة البريطانية ، المخطوطات العربية ، مراجع التاريخ العربي ، والمؤلفين الغربيين الذين عاشوا في الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، يمكن تصنيف تلك الهجر طبقا للإسم والقبيلة على النحو التالي :

عدد الهجر	إسم القبيلة
١	يام
٢٧	مطير
٢٥	عتيبة
٣٨	حرب
٢٣	شمر
٧	عنزه
٦	هتيم
١١	قحطان
٤	الدواسر
١٩	العجمان
٤	العوازم
٥	منطقة الخرج (مختلطة)
٥	بنوهاجر

لم نورد بعض الهجر ضمن هذه القائمة نظرا لأننا لم نستطع تحديد هويته القبيلة .

وبفضل التوزيع الجغرافي لمستقرات الإخوان تحقق لقوة ابن سعود الضاربة قدرا من المرونة جعل أى جزء من أجزاء شبه الجزيرة العربية لا يبعد أكثر من مسيرة يوم واحد عن الإخوان . كما أدى التوزيع القبلى الى توفير نقاط اتصال مع جميع القبائل الرئيسية فى نجد . ومن ثم ، أصبحت لدى ابن سعود شبكة من المعسكرات العسكرية التى كانت بمثابة مواقع مواليه متقدمة ونقاط لتجميع الاستخبارات أيام السلم فى المناطق البعيدة عن الرياض ؛ وفى زمن الحرب ، كانت تلك المعسكرات تتحول إلى مراكز للتعبئة ونقاط ينطلق منها الهجوم على أهداف محددة . وكانت قوات الإخوان المنطلقة من أقاصى نجد تجد أخوة لها فى السلاح فى هجر كل من الحجاز والجوف ، وبين هاتين النقطتين ، كانت قوات الإخوان تجد فى الهجر من يقدم لها المؤن ، الماء ، الاستخبارات ، والمستلزمات الأخرى . وبذلك نجد أن الهجر كانت بمثابة قواعد عسكرية ، قواعد إمداد ، ومواقع دينية متقدمة (٢٦) ، ولما كان الكثير من هذه الهجر يقع بالقرب من مناطق الاستقرار التقليديه - كما هو الحال بالنسبة لموقع الغطف قياسا إلى المزارحية - فقد كان لها تأثير تنظيمى فى تلك البلدان ، الأمر الذى أدى إلى الحفاظ بطريقه سليمة على هذه البلدان داخل نطاق الجماعة الوهابية .

ومع مطلع زمن الهجر ، وما أن استكن البدو فى بلدانهم الجديدة ، حتى كرسوا أنفسهم تماما للأعمال الدينية ، وتخلوا عن العمل ، وتوقفوا عن الزراعة ، والتجارة ، وراحوا ينعمون بالسعادة الغامرة التى مؤداها أن شكلا محددا من أشكال الخلاص ينتظرهم بعد أن أصبحوا إخوانا وتابوا من الأيام البائدة . ويرجع هذا الموقف ، فى بعض أجزائه ، إلى الكسل ، ويرجع الجزء الباقي إلى افتقار أولئك

(٢٦) فواد حمزه ، قلب الجزيرة ، ص ٣٧٨ .

البدو إلى المهارات الأساسية . ولكن السبب الرئيسى لذلك كان يتمثل فى اقتناعهم بحق أن البحث عن الثروة يتعارض مع إخلاصهم الكامل لأوامر الله . وتحرك ابن سعود تحركاً سريعاً لتصحيح ذلك الموقف فراح يوفد من جديد مدرسى الدين ليستشهدوا بالقرآن والحديث على أن جمع الثروة ليس أمراً مطلوباً وحسب وإنما هو من أعمال الفضيلة أيضاً ، وأن الأثرياء من المسلمين هم أفضل بكثير من المسلمين الفقراء عند الله . عندئذ فقط أستاذت الهجر الإيقاع والنشاط الذى يعد من السمات الأساسية فى أى شكل من أشكال الاستقرار المنظم . أصبح هناك تجار ، زرايع ، رعاة ، مدرسون دينيون ، يشارك كل منهم فى رفاه المجتمع . وباتت الدكاكين ، التى كانت متقشفة بأى معيار من المعايير ، توفر الاحتياجات الأساسية للبدو غير المتحضرين : المواعين ، الأوانى ، البن ، التمر ، الأرز ، السكر ، والملح . وكانت شخصيه ابن سعود الأبويه تتبوأ بشكل بارز المستقر بكامله ، إذ كان يدعم إخوانه ويقويهم ، ومستعداً لتقديم المساعدات المادية التى يطلبونها مهما كان نوعها .

كانت الحياة اليومية فى الهجر شبيهة بذلك النوع من الحياة التى تحياها أية جمعية من الجمعيات الدينية المتشددة . وكانت هذه الحياة تقوم على الصلاة والتأمل عندما لا تكون قائمه الغزو ؛ حياة لم تكن تنقطع إلا بالإنفعال والإضطراب اللذان كانا ينتجان عن وصول مراسل يحمل أنباءً من الرياض ، أو عندما كان علم الحرب يرفع فى ميدان البلدة ، بين الحين والآخر ، على سبيل الإشارة إلى تعبئه المقاتلين استعداداً للحرب . وقد خلت تلك الحياة من الموسيقى ، الرقص ، والرياضة ، بل إن ألعاب الأطفال لم يكن مسموحاً بها . وكانت الزوجه بمثابة المتعة الوحيدة فى حياة كل واحد من هؤلاء الإخوان . فقد كان الإخوان يتزوجون فى سن مبكرة ، ويعددون الزواج .

كان غياب أنواع اللهو الأخرى يثير القلق والاضطراب فى تشدد الناس الدينى . فقد كان الدين شغلهم الشاغل ، فبقدر تركيز إهتمامهم على الإسلام ، وبقدر فهمهم له ، كانوا ينظرون إلى الدنيا وسكانها من منظور واحد فقط هو الأبيض أو الأسود :

وكل من يعارضهم فى ذلك يكون مخطئا تماما ومن ثم يستحق أن يصبوا عليه جام غضبهم . أما هؤلاء الذين كانوا يتعبدون مثلما يتعبدون هم فقد كانوا إخوانا لهم . وقد تولدت تلك البساطة التى تشبه بساطه الأطفال نتيجة خبرتهم المحدودة وتعليمهم المحدود أيضا . وإذا ما حكمنا على الإخوان من منظور عزلتهم فى الهجر ، وانعزالهم عن تيار التطور فى العالم الأوربي ، بل وحتى من منظور انعزالهم عن العالم الإسلامى الأكبر الذين كانوا جزءاً منه ، نجد أن من الصعب علينا أن ننتظر منهم أن يتصرفوا على نحو غير الذى كانوا يتصرفون عليه . وخلاصة القول ، هى أن الإخوان كانوا ضحايا العزلة الجغرافية ، إذ كانوا يعيشون نفس الحياة التى كانوا يحيونها فى شبه الجزيرة العربية ، والأدهى من ذلك ، أنهم عندما كانوا داخل شبه الجزيرة العربية ، كانوا يعيشون فى مستقرات جرداء نائية . أما فيما يتعلق بالمناطق الأخرى التى كان ابن سعود يحكمها - فقد كان على رأس كل هجره أمير وقاضي ، وكان الأول مسئولا عن نشر وتطبيق وتنفيذ الأحكام التى تصدر عن مجلس الشورى ويعتمدها ابن سعود (٢٧) . وكان القاضي مسئولا عن تطبيق الشريعة . كان الأمير على اتصال مباشر بابن سعود وكان يشارك فى إختيار مجلس الشورى ، كما كان يشارك أيضا فى مبايعة الحاكم المركزى الجديد (الإمام) (٢٨) ، الذى كان هو ابن سعود بطبيعته الحال ، أما القاضي فقد كان يرتبط بطريق غير مباشر ، برئيس القضاة . ومع ذلك ، فقد كان كل من الأمير والقاضي ، من حيث الممارسة الفعلية ، مسئولين مسئولية مباشرة أمام ابن سعود نظرا لأنه لم يكن هناك فرق جوهري بين السلطه الدينيه والسلطه الدنيويه . ومع ذلك ، فقد كانت سلطة الأمير محدودة فعلا بأحكام الشريعة

(٢٧) المدنى ، فرقات ، ص ٤٢ .

(٢٨) يدل هذا اللقب على سيادة ابن سعود بوصفه زعيما دينيا ودنيويا .

الإسلامية في ضوء شرح علماء العصور الوسيطة لهذه الأحكام وتحديدهم لها وتوثيقهم إياها ، كما كانت هذه السلطة محدودة أيضا بمذاهب السنة الأربعة .

ونقلا عن ديكسون ، كان ابن سعود يعين حاكمين تتمثل واجباتهما في "المحافظة على النظام وجمع الزكاة التي كانت تجمع طبقا لنظام ثابت وعلى شكل نسبة مئوية محددة في العقار والماشية الخ . وعلى الجانب الآخر ، كان الأمير مسئولا عن المحافظة على النظام وتطبيق الشريعة (٢٩) وكان يساعده في ذلك **مأمور بيت المال** وحوالي عشرة أفراد يقومون على أمر البريد والنشاطات الشرطية (٣٠) . كانت الزكاة التي تدفع للإمام يتم تحصيلها مرتين في العام * ، وكان يجري توزيعها طبقا لنصوص الشريعة الإسلامية . وكانت البقية تذهب إلى **بيت المال** .

أما القوه والسلطة الدينيان فقد كانتا تتركزان إلى حد كبير في أيدي أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب . كان هرم التسلسل الديني متمركزا في الرياض ، وقد عهد إلى هيئة من **العلماء** القيام على أمر التعليم العام والإدارة الدينية في المناطق الخاضعة لحكم ابن سعود . ونقلا عن فيلبس (٣١) الذي كان يكتب في العام ١٩٢٢ الميلادي كان هناك ستة من **العلماء** في الرياض ، وثلاثة في القصيم ، وثلاثة في الأحساء . وكانت قرارات **العلماء** ملزمة للأمراء (٣٢) الذين كانوا "يوقعون" الأمر

(٢٩) تقرير إلى المفوض المدني ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، المجلد ٥٠٦٢ (٥ مارس ١٩٢٠) .

(٣٠) المدني ، فرقعات ، ص ٤٢ .

* يتم جمع الزكاة مرة واحدة في العام ، وربما اختلط الأمر على المؤلف (المراجع)

(٣١) جون فيلبس ، قلب الجزيرة العربية (لندن : كونستابل أند كومباني ، ١٩٢٢ المجلد الثاني) ص ٢٧٩ .

(٣٢) جمع أمير .

"وينفذونه فقط". كما كان العلماء أيضا يقومون بتدريب *المطوعين* وتوجيههم ، وبخاصة إن أولئك *المطوعين* لم تكن لهم مهمة إدارية أو تشريعية خاصة ، وإنما قد عهد إليهم بتفقيه البدو في الدين ، ويجبرونهم على حضور الصلاة ، ويشرفون على إغلاق الدكاكين أثناء الصلاة ، كما كانوا يفرضون الإلتزام بالأداب العامة . وكانت النسبة بين عدد المطوعين والبدو واحدا لكل خمسين ؛ ويلى *المطوع* *التلميذ* (٣٣) ، وهو طالب يتطلع إلى شغل مركز *مطوع* .

تنظيم الإخوان المنظم هو الذى جعلهم مؤسسة تكاد تكون فريدة فى شبه الجزيرة العربية ، وقد تميزت تلك المؤسسة بولع البدو العرب بالعمل المستقل ، وميلهم إلى التنظيم المفكك . وقد أدى كل من الإنتشار السريع لحركة الإخوان ، وزيادة عدد *الهجر* إلى مواجهه ابن سعود بمشكلة سرعان ما بدأت تتضح أكثر وأكثر : فلما كان اقتناع الإخوان الدينى مفروضا عليهم ، ولما كانوا دوما واقعين تحت تأثير الحفز المستمر تقريبا من العلماء والمطوعين ، ولما كان الدين شغلهم الشاغل فى غياب المصالح الأخرى أو اللهو ، فقد بدأوا يشكلون تهديدا لا لسلطة ابن سعود وقوته فحسب وإنما للمجتمع الإسلامى بالمعنى الأوسع لذلك المصطلح . ومع بدايات التقارير الأولى التى كان الممثلون السياسيون البريطانيون يكتبونها تحول موضوع الإنذار الذى مفاده أن ابن سعود بدأ يفقد أو فقد فعلا السيطرة على حركه الإخوان إلى موضوع دورى فى تلك التقارير (٣٤) ، كما تزايد عدد تلك الإنذارات بالقياس إلى قوة الإخوان العسكرية .

(٣٣) جون فيلبى ، قلب الجزيرة العربية ، ص ٢٩٧ .

(٣٤) من الكابتن براى إلى مكتب الهند ، ٢٨ يوليو ١٩١٩ ، مخطوطات ، مكتب السجلات العامة ، وزارة

الخارجية ، ٤١٤٧ - ٣٧١ ، رقم الوثيقة ١٢٩٦٧٨ . راجع أيضا ، تقرير عن الإخوان ، ١٣ مايو

١٩١٩ ، مخطوطات ، مكتب السجلات العامة ، المجلد ٤١٤٦ - ٣٧١ ، رقم الوثيقة إى ٩٤٣٩٠ .

الفصل السادس

خصائص الإخوان العسكرية

انتشرت مستقرات الإخوان في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية بعد تأسيس الأرطاوية في العام ١٩١٢ الميلادي . وزادت في القبائل أعداد المهتدين ؛ ولم تخلو أية مدينة من بعض أتباع الإخوان . ومع استمرار انتشار وعاظ ابن سعود في كل أنحاء البلاد لإلقاء مواعظهم على مختلف القبائل ، زاد عدد المهتدين والتائبين بين البدو إلى حد جعل قبائل بأكملها تنقسم في ولائها ، إذ راح بعضها يتبع القيادة القبليّة التقليديّة ، في حين راح البعض الآخر يتطلع إلى ابن سعود بوصفه إماماً دينياً وحاكماً مؤقتاً . وعندما قرر ابن سعود القيام بهجوم أخير على أبناء الرشيد ، كان الجزء الأكبر من قبيله شمر قد تحول إلى حركة الإخوان (١) . ففي الخرمة ، احتضن الأمير خالد بن لوئى Luwai ، وكان نفسه من الأشراف ، حركة الإخوان وتعهد بالولاء لابن سعود . كانت هذه الأقليات الإخوانية تؤدي ، بشكل من الأشكال ، أعمال الجواسيس ، إذ كانت تزود قوات ابن سعود بالمعلومات اللازمة عن أعداد القوات ، أسلحتها ، حالة استعدادها ، وروحها المعنوية ، ولم يكن الحكام المحليون يجرؤون على معارضة الأقليات الإخوانية خوفاً من أن يصبّ ابن سعود هو والإخوان جام غضبهم على هؤلاء الحكام ، ويتخذون من ذلك ذريعة للهجوم عليهم .

وجاء ظهور فرق الإخوان في معركة جراب في العام ١٩١٤ (٢) بمثابة أول مشاركته لهم كقوة مقاتلة مترابطة ، الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى تغيير ميزان القوى في شبه الجزيرة بأكملها . ففي الحجاز كان الملك حسين يعتمد من الناحية

(١) أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

العسكرية ، على جيش نظامى كان قد تلقى شيئاً من التدريب التركى والبريطانى ؛ كان ضباط ذلك الجيش من السوريين ، ثم أعيد تدعيم ذلك الجيش بمجندين من قبائل الحجاز . ومن الجهة الشماليه ، كان حكم أبناء الرشيد مسنوداً بقوات من بدو شمر الذين زودهم أبناء الرشيد بالأسلحة التركيه والذهب . وفى نجد نفسها ، كان ابن سعود يعتمد على قوة عسكريه مشتركه مكونه من (أ) أهل العارض ، (ب) الحضر ، (ج) الإخوان المتمركزين فى الهجر ، (د) وأخيراً البدو (٣) :

(أ) أهل العارض : كان ابن سعود ينظر إلى هؤلاء الناس على أنهم أشد المؤيدين ولاءً لأسرة آل سعود ، وكان يعتبرهم أقوى الدعائم المساندة لأمن الدولة وسلامتها . كان أهل العارض يتباهون بذيوع صيت شجاعتهم وأنهم قلما كانوا ينسحبون من القتال ، فقد اشتهروا باستعمال السيوف بعدما كانوا يستنفدون كل ما معهم من ذخيرة فى بنادقهم . كان أهل العارض يشتملون على سكان الرياض ذاتها ، وسكان البلدان المحيطة بها ، وكذلك البدو شبه الرعاة الذين يعيشون فى المناطق القريه من الرياض . وكان البدو فى معظمهم من قبيله سهول سبيع Subay' . ونظراً لقرب هؤلاء البدو الرُّحل من الرياض فإنهم لم يتطلعوا إلى أن يكون لهم أمير وإنما ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالملك وأعضاء أخرى من الأسرة المالكة باعتبارهم جزءاً من "هيئه الموظفين" Staff .

(ب) الحضر : هم سكان قرى نجد المختلفة . فقد كان كل مستقر يقدم عدداً محدداً من الجنود يخدمون مدة أربعة أشهر كل عام ، على أن تقوم المستقرات بتوفير الطعام اللازم لهذا العدد من الجنود ، والبنادق ، والركائب فضلاً عن العلف اللازم لهذه الركائب طوال تلك الفترة أيضاً . وتحديد الوقت هنا كان مطلباً ضرورياً نظراً لأن الحضر كانوا مضطرين إلى رعاية أعمالهم اليوميه التى من قبيل الزراعة ،

(٣) أم القرى ، العدد ٢٨٧ (٦ يونيو ١٩٣٠) .

التجارة وكذلك الحرف التي لم يكن بوسعهم تركها فترات طويلة من الزمن إلا إذا دعت الضرورة القصوى لذلك . وعندما كانت الغزوة أو التعبئة تستمر مدة أطول من المدة المحددة ، فإن بيت المال كان يقوم بدفع أجر لهؤلاء الجنود نظير الطعام . وإذا لم تكن هناك حرب فإن أهل القرى كانوا هم الذين يدفعون إلى بيت المال ذلك المبلغ الذي يتكلفه استدعاء هؤلاء الجنود مدة أربعة أشهر .

(ج) الإخوان : كان هؤلاء المقاتلون مستعدين دوماً للقتال والحرب ، إضافة إلى أن التعبئة الكاملة للرجال في الهجر لم تؤد إلى الاخلال بأي شكل من أشكال الزراعة العشوائية ، أو التجارة أو الحرف التي كان الإخوان يمارسونها . وكان الأخوان ، وذلك على العكس من الحضر ، الذين كانوا يخدمون طبقاً لنظام إلزامي ، "يلزمون فيه أنفسهم" بالخدمة العسكرية . فعندما كان المنادى ينادي للحرب ، كان كل من يحملون السلاح يلبون ذلك النداء ، ولم يتخلف أحد منهم إلا إذا كان ملزماً فراش المرض أو لآية أسباب شرعية أخرى تجيز الإعفاء . كانت النسوة يلعن أولئك الذين يرفضون ذلك النداء ، وكن يقتلنهم أو يعاقبنهم حتى يكونوا عبرة للآخرين ^(٤) . كان الذكور ينضمون إلى صفوف المقاتلين في سن الخامسة عشر ^(٥) . ورغم أن هناك بعض الحالات لشباب يبلغ من العمر ثمانية أو تسع سنوات شاركوا بالفعل في بعض الغزوات . كما أن الذكور في سن السبعين كان ينتظر منهم الإشتراك في القتال ^(٦) .

(د) البلدى : انقسمت القبائل ، عقدياً ، إلى أولئك الذين قبلوا أن يستقروا في الهجر ويصبحوا إخواناً وأولئك الذين آثروا البقاء رعاة رحلاً مع اعتناقهم للمبادئ

(٤) أم القرى ، العدد ٢٩١ (٤ يوليو ١٩٣٠) .

(٥) مقابلة مع حاكم الأرطاوية في هجرة الأرطاوية ، مارس ١٩٦٨ .

(٦) أم القرى ، العدد ٢٨٧ (٦ يونيو ١٩٣٠) .

الوهابية (٧) . وكان طابع هذين القسمين واحداً تماماً نظراً لأنهم جميعاً كانوا من البدو . كان البدو محاربين أشداء في الدفاع عن ممتلكاتهم ، نسائهم ، والأمور الأخرى التي لها قيمة لديهم ، ومع ذلك كان البدو ميالين إلى نهب أولئك الذين كانوا يحاربون معهم إذا ما بدى لهم أن حلفاءهم بدأوا يخسرون المعركة ، وكان سندهم الأخلاق في ذلك هو أن من الأفضل لك أن تستولي على ممتلكات صديقك ومتعلقاته بدلاً من أن تتركها لعدوه يستولي عليها . وظهرت قيمه هؤلاء البدو في شكل تعزيزات لجيش منظم يمكن الإعتماد عليه أكثر من ذي قبل .

وبينما كان ابن سعود يستفيد من كل سلاح من الأسلحة التي أوردناها آنفاً ، في الوقت المناسب ، فقد كان يعتمد على الإخوان بصفه أساسيه . فقد كانت حركه الإخوان تلعب ، بشكل أو بآخر ، دور قوة حديثه من قوات العصابات ، إذ كانت تشن حرباً غير تقليدية على الجيش النظامي الذي يقوده الملك حسين . أما فيما يتعلق بأبناء الرشيد وشمر فقد كانوا مستعدين للدخول في القتال على طريقه المعركة البدويه - العربية التقليدية غير أن الإخوان كانوا قد اخترقوا صفوفهم فعلاً عن طريق الهداية الدينية لجزء من رعايا قبيله شمر - بأن أحلوا الولاء الديني والعقدى محل الروابط القبلية والأسرية .

وإذا ما نحينا ، على العكس من ذلك ، جيش الملك حسين (٨) الحديث ، وكذلك الولاءات القومية والقبلية الشمرية ، نجد أن أشرف الحجاز وأهل الرشيد لم يستطيعوا أن يدفعوا إلى ميدان القتال شيئاً يشبه ، ولو من بعيد ، تلك الآلة العسكرية التي كان الإخوان يمثلونها . فقد زود الإخوان ابن سعود بقوة ضاربة يمكن تعبئتها خلال ساعات أو أيام ، في ضوء حجم عملية الغزو ، قوة تستطيع الانتقال لمسافات بعيدة على شكل مسيرات متواصلة ، وتحمل القتال متزودة بأقل

(٧) سمولى Smalley ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

(٨) حصل جيش الشريف حسين على بعض قطع المدفعية والمدافع ، ثم بعد ذلك على العديد من الطائرات التي قادها المرتزقه .

القليل من الطعام ، وتندفع إلى القتال طلباً للموت والجنه . لم يستطع أى حاكم آخر مجاراة هذه القوة !

وقد خاض البدو معاركهم العسكرية فى ذلك الوقت بالطريقة نفسها التى سارت هذه المعارك عليها منذ قرون طويلة . وأدخل الإخوان تعديلات طفيفة على هذه الطريقة وبخاصة فى الغزوات التى أسموها **الصباح** ، **الغارة** ، **الرَّباح** ، **والهجاج** (٩) ، تلك الأسماء التى ارتبطت بساعات النهار التى كانت تحدث فيها مثل هذه الغزوات .

(أ) **الصباح** : تعرف هذه الغزوة أيضاً باسم **التصبيح** . وموعد هذه الغزوة يكون عند الفجر الأول . والمهاجمون لا يعرفون إن كان الخصم ما يزال نائماً ، ويتقدمون إلى هدفهم تحت ستر الليل حتى يصلوا إلى الهدف المحدد عند طلوع الفجر .

(ب) **الغارة** : وهى تعرف باسم **اللقوة** عندما تحدث فى وقت الضحى . وهذه الطريقة لا يلجأ إليها إلا القوات الضخمة القوية التى لا تخشى العدو ولا تحسن اكتشاف أمرها .

(ج) **الرَّباح** : وتعرف أيضاً باسم **التراييح** ، وهى تحدث بعد الظهر ، وتحتاج إلى القوة الضاربة ونفس الدرجة من القوة العسكرية اللتان تكون قوة **الصباح** عليهما .

(د) **الهجاج** : وتعرف أيضاً باسم **المهجاج** ، ويحدث هذا النوع من الغزو فى الفترة ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر من صباح اليوم التالى . وهذا هو أصعب أنواع الغزوات لأنه يحدث فى الظلام عندما يكون من الصعب تمييز العدو من الصديق ، ويمكن أن يتسبب فى كثير من الإرباك إلا إذا كانت الغارة بقيادة واحد من القادة القلائل . وقد كان ابن سعود بارعاً فى هذا النوع من الغزوات والسبب فى

(٩) أم القرى ، العدد ٣٠٢ (١٩ سبتمبر ١٩٣٠) .

ذلك أن قواته ، فى مطلع أيامها ، بلغت من الصغر حداً جعلها تعتمد على المفاجأة . وأهم المعارك التى خاضها ابن سعود بطريقه الهجاء هى معركة الروضة * (بين الزلفى وبريده) ؛ وكانت المعركة التى خاضها الإخوان فى تربة Turaba مثالا آخرًا على ذلك النوع من الغزوات الجسورة .

هذه المعارك ، خاضها المقاتلون باستعمال البنادق ، غير أن كثيرا من الإخوان كانوا مسلحين بالرماح والسكاكين فقط . صحيح أن البنادق (١٠) ربما تكون أعطت مدى أطول ، لكنها لم تغير كثيرا من ذلك السيناريو الذى عرفه الناس منذ مئات السنين قبل ذلك . لم تكن هناك طرق بعد ، ولا اتصالات تليفونية - تلغرافية ، ولا خطوط إمداد لوجستية ، أو حتى تنظيمات أو تشكيلات إدارية تساعد القوى المقاتلة وتعاونها . كانت المعارك من النوع القصير الحاسم وكانت أفضل المعارك فى القتال تلك التى تخوضها القوات وهى أقرب ما يكون إلى أماكن تركزها . وعند حساب زمن ومكان القتال كانت الحرارة ، ومعدل سقوط الأمطار ، وكذلك معدل سقوط المطر فى العام السابق تؤخذ بعين الاعتبار وكانت وفرة أو ندرة الغطاء النباتى تشكل عاملا هاما أيضا عند التخطيط للقتال ؛ فقد كانت الإبل والخيول بحاجة إلى الماء والغذاء ، فى حين كان المقاتلون قادرين على حمل مؤنهم الهزيلة الخاصة بهم (١١) . كانت هناك بعض الاعتبارات الدينية التى تحكم هذه العملية ، مثل شهر رمضان (شهر الصوم) وموسم الحج اللذان كان يقفان حائلا فى وجه الحروب .

* المراد هنا هو "روضة مهنا" . ومهنا الذى تُنسب إليه الروضة هو "منها الصالح آل حسين أبا الخيل ، ولاء الامام فيصل بن تركى إمارة بريده سنة ١٢٨٠ هـ وقتل سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) (الزركلى ، شبه الجزيرة ص ١٧٠) هامش () (المرجع)

(١٠) نقلا عن ديكسون فإن الجنود النظاميين (العسكر) كانوا يستعملون بنادق من النوع صغير العيار (معظمها من طراز الموزر) ، فى حين كان البدو يستعملون كل أنواع البنادق ، وكانت أغلبية البنادق من النوع صغير العيار ، وبخاصة البندقية ٣٠٣ ، الموزر والبنادق الموليشر . تقرير إلى المفوض المدنى ، وزارة الخارجية ، ٥٠٦٢ - ٣٧١ .

(١١) جون باجوت جلوب ، رسالة شخصيه إلى المؤلف ، ٥ يناير ١٩٦٩ .

ومع ثبات المشهد على ما هو عليه ، لم يتغير طاقم الشخصيات إلا قليلا . ومع ذلك فقد ابتكر الإخوان تكتيكات جديدة :

- (أ) التقدم الطويل للقيام بغزو على طريقه إضرب واهرب .
- (ب) الرغبة في الاستشهاد في ميدان القتال .
- (ج) قتل جميع الذكور في معسكرات العدو ، بما في ذلك الأطفال والإناث في بعض الأحيان .

وقد غطت هذه التكتيكات الجديدة على مفهوم العمليات الحربية كله في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية . ويتحدث بعض الإخوان المعاصرين عن مسيرات تقدم عسكرية قاموا بها بلا توقف من وسط نجد إلى شرق الأردن ، ومن الأرطاوية إلى أن توغلوا داخل العراق . وفي تلك المسيرات الطويلة ، كان الإخوان يواصلون المسير طوال الليل حتى يصلوا إلى معسكر العدو مع حلول ليل اليوم التالي ثم يطبقون على العدو المظمن قبل طلوع فجر اليوم نفسه .

وقد تمكن الإخوان بفضل تقدمهم أثناء الليل من الاقتراب من معسكر العدو دون أن يكتشف ذلك . كان الإخوان يطلبون الشهادة ، أثناء القتال ؛ وقد ارتفعت نسبة الخسائر ، في بعض الأحيان ، جراء اندفاعهم الأعمى غير المسئول إلى منطقة القتل ؛ فقد اشتهروا بأنهم هم الذين كانوا يَعمِرون Charge المدافع التي كان يجري إطلاقها (١٢) . ولكن الشيء الفظيع وراء ذبوع صيت وحشية الإخوان يكمن في قتل كل أفراد العدو دون تمييز . وقد حاول ابن سعود مرارا لفت انتباههم إلى مثل هذا

(١٢) أبلغ ماجد ابن خثبله المؤلف أن كثيرا من الإخوان ، أثناء معركة الطائف ، كانوا يعمرون Charged المدفعية بصورة مباشرة ، برغم أنهم كانوا مسلحين بالسيوف لا غير ، وأن منظر هؤلاء الإخوان المتشددين هو الذي كان يثير الخوف والفرع في قلوب رجال المدفعية ويجعلهم يهربون . راجع أيضا أمين الريحاني ، ابن سعود القادم من الجزيرة العربية ، (لندن : كونستابل وشركاه ، ليمنتد ، ١٩٢٨) ، ص ١٥٨ .

التصرف وذلك السلوك ، كما أن معارضة ابن سعود لمثل هذا التصرف كانت من بين أسباب الشرخ الذي حدث بين ابن سعود والإخوان .

كان الإخوان يقومون بالغزو على شكل جماعات متباينة الأحجام ، بعضها كان يصل عدد الواحدة منه إلى خمسين مقاتل ، والبعض الآخر يصل عدد الواحدة منه إلى ألفى مقاتل ، ونقلنا عن بعض التقارير فقد بلغ عدد أفراد واحدة من هذه القوات إلى عشرين ألفا . ولم يستعمل الإخوان سوى القليل من الخيول ، إذ كانت إبل الركوب (الذلول) بمثابة أكثر وسائل النقل شيوعاً ، برغم أن الجزء الأكبر من القوات كان يذهب إلى الغزوات الكبيرة سيرا على الأقدام . وقد جرى العرف أن يتقاسم ركوب الجمل رجلان بالتناوب (١٣) ؛ وفي بعض الغزوات التي من قبيل غزوة الحزمة والطائف وصل عدد من يتناوبون ركوب الجمل الواحد إلى خمسة رجال (١٤) . وكان كل واحد من الإخوان يحضر معه مؤنه الخاصة التي كان في معظمها عبارة عن حفنه أو اثنين من التمر ؛ وكيس صغير من الطحين (الدقيق) ، وجرة من الماء (١٥) . كما كان كل أخ من الإخوان ينهض بأعباء أسلحته الخاصة وذخيرته ، وفي بعض الأحيان كان يدخل المعركة وهو مسلح بسكين أو سيف لا غير ، كما أن هناك أمثلة على اشتراك الإخوان في بعض الغزوات ، دون أن يكون معهم أي سلاح ، على أمل وحيد هو أنه إذا ما اشتد وطيس القتال قد يتمكنون من الإستيلاء على أسلحة لهم من العدو (١٦) . (راجع الصورة رقم ٤) .

وقد أبلغ كل من مطلق بن راس ، الذي قال عن نفسه إنه يبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاماً ، ومرزوق بن مفلح ، الذي قال أيضاً إنه يبلغ من العمر سبعين عاماً أبلغا المؤلف في الأرطاوية ، في شهر مارس من العام ١٩٦٨ الميلادي ، أنهما شاركا في الغارة التي توغل الإخوان فيها داخل العراق . قالوا إن المسيرة العسكرية

(١٣) مقابلة مع سلطان الدويش في الرياض ، ديسمبر ١٩٦٨ .

(١٤) مقابلة مع محمد بن جباع الدويش في الرياض ، يناير ١٩٦٩ م .

(١٥) أم القرى ، العدد ٢٩١ (٤ يوليو ١٩٣٠) .

(١٦) مقابلة مع محمد بن ماجد ابن خثيلة في الرياض ، يناير ١٩٦٩ .

إلى العراق استغرقت عشرة أيام ، وأنها فيما بينهما قتلا حوالي ألف شخص . كان القتال يجرى اثناء النهار ، وانهما لم يناما سوى ثلاث ساعات فقط . وقالوا أيضا إن طعامهما كان عبارة عن التمر ، الخبز ، والقهوة . وأضافا أيضا أن حفنة من التمر كانت تكفى الواحد منهما شهرين . وقد تبدو العبارة الأخيرة عرضه للمبالغة ، ولكن قد يكون من المفيد ، فى هذا الصدد ، أن نلاحظ أن ابن سعود قال ذات مساء للريحاني عندما كانا يناقشان موضوع الإخوان :

كان الأخوان يجيئوننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال . ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئا . في أيام الحرب يتمنطق الواحد منهم ببيت الخرطوش ، ويبادر إلى البندقية ، ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شئ من المال والتمر ... القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا ... كنا نمشي ثلاثة أيام بدون طعام . يأخذ الواحد منا تمر من حين إلى حين يرطب بها فمه ... (الخط المائل من عندياتي) . نعم كانت الحاضرة أثبت قدماً وأشد بأساً من البادية . أما الآن فالبادية المتحضرون أهل الهجر هم في القتال أثبت من الحاضرة واسبق إلى الاستشهاد (١٧) .

كانت تكتيكات القتال بصورة عامة عبارة عن مفاجأة ثم ضربة مركزة دونما نظر إلى الاستسلام أو الإنسحاب . وإذا كان الهجوم مفاجئا فإن الإخوان كانوا يطبقون على الهدف على شكل خليط همجى من الرجال والخيول ، والإبل والمشاه منزلين الدمار بمعسكر العدو ويقتلون ما فيه من الجنود والبشر بلا تعاطف أو رحمة . ولم يأخذ الإخوان بعين إعتبارهم عدد قوات العدو أو الأسلحة التى يستخدمها معتمدين فى ذلك على حماسهم وإخلاصهم . وقد وصف ابن سعود معركة تربه Turaba (١٨) لـ سعود ابن عبد العزيز الرشيد فقال :

(١٧) الريحاني ، نجد ، ص ٢٦٤ .

(١٨) كانت تلك المعركة من نوع الهجاء .

كان لدى الشريف حسين عشرة آلاف جندي تركي متمركزين في المدينة وسبعة آلاف جندي من الحجاز ، إضافة إلى عشرين مدفعا ، وأربعين رشاشاً ومـؤن وذخيرة يحملها عشرة آلاف جمل ، بينما وصل عدد الإخوان إلى حوالي ٢٠٠٠ كان من بينهم ٥٠٠ أخ بدون سلاح اللهم إلا من السيوف والخنـاجـر . كان الشريف حسين قد حفر خنادق يكفى عمق الواحد منها لتغطية قامة رجل من الرجال ، وأقام تحصينات ، كما قام أيضا بوضع المدافع والرشاشات في كل موقع من المواقع . وقد بدأ الإخوان تقدمهم عند منتصف الليل ، وبعد أن أدوا صلاة الفجر ، استعانوا بـ "لا إله إلا الله" على مدافع الشريف حسين ، وبدأوا الهجوم عليه في الصباح واستمرت المعركة طوال النهار بكامله والليله التاليه إلى أن أنزلوا الهزيمة بالشريف ورجاله وهربوا إلى أن وصلوا إلى البـيـداء El.baida ، بالقرب من الطائف ومعهم ٢٠٠ جمل وخيـال . وقتل "الإخوان" البقية الباقية واستولوا على معدات (العدو) وأرسلوا إلى هذا النبأ الطيب بعد مغادرتي القنصليه * مباشرة (١٩) .

وإذا كانت المعركة على شكل مباراة بين قوتين مختلفين تجمعتا في ميدان القتال ، وتنتظر إحداهما أن تبدأ الأخرى بالقتال ، فإن الإخوان كانوا يلجأون إلى التشكيل التالي : حامل الراية (البـيرق) التي هي عبارة عن علم كبير من الأخضر والأبيض (الصورة رقم ٥) ، الذي كان يقف على بعد عدة خطوات من الشيخ القائد . وعلى جانبي الشيخ القائد يوجد الإخوان راكبي الخيول ، الذين يقومون إلى حد ما بدور المدرعات الحديثه ، ليندفعوا بين صفوف العدو على شكل رأس حربه . ومن خلف الخياله يأتي الاخوان راكبي الجمال ، المستعدين للإندفاع بقوة فور بدء القتال ؛ وكان سلاح المشاه يأتي الإخوان من بعد سلاح الإبل ، وهم يلوحون بالرماح أو البنادق وهم في طريقهم إلى الهجوم على العدو .

* القنصليه : ماء قرب الخرمة في الطريق إلى تربه . (المراجع)

(١٩) رسالة من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى سعود بن عبد العزيز الرشيد ، مكتب السجلات

العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، رقم ٤١٤٦ - ٣٧١ ، رقم الوثيقة ١١٧٤٨٧ ، ٢ أغسطس

وخلال المعارك كان الإخوان يستخدمون صيحات متباينة أشهرها :

"هَبَّتْ هُبُوبُ الْجَنَّةِ

وَيَنْ أَنْتَ يَا بَاغِيهَا (٢٠) ."

أو :

أَنَا خِيَالُ التَّوْحِيدِ

أَخُو مَنْ طَاعَ اللَّهَ

بَيْنَ رَأْسِكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ (٢١) .

أو :

أَهْلُ التَّوْحِيدِ ! أَهْلُ التَّوْحِيدِ !

أَهْلُ الْعَوْجَا ! أَهْلُ الْعَوْجَا (٢٢) ..

وعند الهجوم كان الإخوان يصيحون : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٢٣) ! وقد حلت صيحات الحرب هذه محل شعارات الحرب القبلية القديمة التي استعملتها القبائل على مر العصور .

كما استعمل الإخوان أيضا تكتيكات أخرى مثل الهجوم على الأجانب وعلى المؤخرة إضافة إلى هجماتهم المتكررة التي كانوا يشنونها قبل الفجر ومسيرات التقدم العسكريه التي كانت تتم أثناء الليل . وبعد أن ينزل الإخوان عن خيولهم وإبلهم كانوا يتقدمون بعد أن يضع كل منهم كتفه إلى كتف أخيه على طريقة هجوم المشاة (٢٤) . قد تكون قوة الإخوان قوة قتال بدائية ، ومع ذلك فقد كان لها هدف محدد ، وخطه بسيطة ، وعمل هجومى ، وتتمتع بسرعة الحركة والمفاجأة

(٢٠) وهبه ، الجزيرة ، ص ٢٩٥ .

(٢١) الريحاني ، مالوك ، المجلد ٢ ، ص ٨٢ .

(٢٢) الريحاني ، نجد ، ص ٢٢٢ (عوجا اسم آخر من أسماء الرياض) .

(٢٣) السطر الرابع من السورة رقم ١ فى القرآن .

(٢٤) ديكسون ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، رقم ١٣٧٤٠ - ٣٧١ ، الوثيقة رقم

التكتيكية (٢٥) . من هنا فقد كانت تلك القوة بحاجة إلى معلومات استخباراتية كانوا يحصلون عليها عن طريق إرسال جماعات الاستطلاع القوية ، التي كانت كل منها تتكون من ثلاثين أو أربعين من الجمالين Camelmen ، الذين كانوا ينسلون تحت ستر الظلام ويحصون نيران المعسكر (٢٦) . كان الإخوان أجراً من ذلك وهم يجمعون المعلومات الاستخباراتية :

ومن أقيم ابتكارات الإخوان في التقدم أنهم كانوا يرسلون جاسوساً ليقوم في المعسكرات التي كانوا يريدون الهجوم عليها . وكان هذا الجاسوس ينتحل عذراً مناسباً ، يحاول أن يبقى على أثره على الجانب العراقي بصفته ضيفاً إلى ما قبل اليوم المحدد للهجوم . ويحاول الرجل عندئذ الهروب ، تحت ستر الظلام ويلتقي الغزاه المتقدمين في مقابلة يكون قد سبق الترتيب لها من قبل ، وذلك قبل عدة ساعات قليلة من الموعد المحدد للهجوم ، ليبلغ الغزاه بتحركات الساعة الحادية عشرة داخل معسكرات العدو (٢٧) .

وبرغم تأثير حركة الإخوان العظيم لم تكن تحت قيادة عسكريه هرمية أو تديرها هيئة رئاسة مركزية أو عامة . والذي كان يحكم الإخوان شخصيات ، وأهم هذه الشخصيات هو ابن سعود بطبيعته الحال . كان ابن سعود القائد الأعلى بمعنى أن الإخوان جميعاً - إلى أن حدث تمردهم الفاشل - كانوا يتطلعون إلى ابن سعود بوصفه القائد والمرشد المطلق . ومع ذلك ، لم يحكم ابن سعود الإخوان بوصفهم جيشاً حديثاً . فقد كان الإخوان ، يرتكزون ، بدلاً من ذلك ، على كل من هجرتى الأرطاوية والغطط . كان فيصل الدويش قائداً للإخوان بعد ابن سعود ، وتبعه سلطان ابن بجاد . وكان محسن الفرم من بين قادة الإخوان أيضاً وكذلك أيضاً ضيدان بن حيثلين من قبيلة العجمان ، وقد لعب الإثنان دورين مهمين ، ولكن

(٢٥) جون باجوت جلوب ، الحرب في الصحراء . (لندن : هولدر واستيتون ١٩٦٠) ، ص ٢٣١.

(٢٦) المرجع السابق .

(٢٧) المرجع السابق .

دوريهما كانا ثانويين بالقياس الى الدور الذى لعبه كل من فيصل الدويش وابن بجاد . فقد كان الاثنان الأخيران يُعْمِلَان العبقريه والخيال فى الغزوات التى كانا يقومان بها ، فقد كانا ينتقيان أهدافهما ، ويفعلان الاستدعاء للحرب بالحماس . كما كان كل منهما يتمتع بنفوذ وسلطة كبيرين بين أفراد قبيلته جعلاهما ، فى بعض الأحيان ، يتصرفان فى بعض الأمور دون الرجوع إلى ابن سعود ، مثلما فعل ابن بجاد فى الطائف ومثله فعل فيصل الدويش فى العراق .

وعندما كان قادة الإخوان يريدون القيام بغزوة من الغزوات ، كانوا يصدرون أمرا برفع بريق الإخوان فى ساحة القرية . عندئذ يتجمع المتطوعون ، ويحضرون معهم مؤنهم وأسلحتهم ، كما يحضر كل منهم حصانا أو جملا إن كان لديه واحداً منها . ولم تكن هناك أعداد محددة مطلوبة من كل قبيلة أو هجره ، إذ كانت هناك فرضيه مسلم بها مفادها أن الجميع يعدون من المقاتلين وبالتالي لن يكون هناك حد لطلب المجندين . ومع ذلك فقد كانت الأعراف القبلية سائدة بين القبائل الكبيرة التى كانت تعيش فى الهجر ، وفى بعض الأحيان كان المتطوعون يدرجون أنفسهم تحت لواء بريق فخذ من أفخاذ قبيلة كبيرة . فعلى سبيل المثال ، لو أن قبيلة عتيبه فى الغطط قررت القيام بالغزو فإن المتطوعين كانوا يخرجون وهم يحملون بيارق عديدة . معنى ذلك أن المتطوعين الذين يحملون بريقاً من البيارق يجب أن يكونوا من فخذ واحد من أفخاذ قبيلة عتيبه ، أى أن يكونوا ، على سبيل المثال ، من الدعاجين ، الدغالبة ، الأشا ، الشيايين ، القمازة ، الحوين ، أو أى فخذ آخر من الخمسة عشر أو العشرين فخذاً التى تشتمل عليها تلك القبيلة (٢٨) . وفى الأوطاوية كان بإمكان كل جماعة من كل حارة ، أو حتى فى البلدة أن تشكل بريقاً (٢٩) . وهذا هو المدى الذى وصل إليه التنظيم أو التشكيل العسكرى فى نظام التعبئة عند الإخوان . وعلى أية حال ، فهذه هى الطريقة التى كان الإخوان يسيرون عليها فى

(٢٨) مقابلة مع محمد بن ماجد ابن خثيلة فى الرياض ، فى شهر يناير ١٩٦٩ .

(٢٩) مقابلة مع سلطان ابن عبد الرحمن الدويش فى الأوطاوية ، مارس ١٩٦٨ .

الواقع . ويسجل الريحاني نظاما عاما للتعبئة ، ربما كان موجوداً أيام ابن سعود ، ولكن من رأى المؤلف أن الإخوان لم يستعملوا ذلك النظام قط . من الناحية النظرية كانت هناك ثلاثه مراحل من التعبئة : **الجهاد** ، وعند إعلانه كان الذى يخرج إلى القتال هم أولئك الجنود المحترفين الذين كانوا دائماً فى وضع الاستعداد داخل **الهجر** . وفى حالات التعبئة الأكثر خطراً كان يتم استدعاء **الرديف** (الإحتياط) . وهذه الفئة كانت تضم أولئك الإخوان الذين يقومون على أمر النشاط الدينى ، أو التجارى أو التعليمى داخل **الهجرة** ، وأخير ، **النفير** الإنذار العام الذى كان ينادى به فى حالة الطوارئ الوطنية ، وفى مثل هذه الظروف كان كل من يستطيعون القتال من الرجال والصبيان ينفرون إلى راية الحرب (٣٠) . ونقلاً عن الريحاني فإن **العلماء** فقط هم الذين كانوا يدعون **النفير** ، ولكن طالما أن الإمام كان هو الزعيم الدينى الرئيسى ، فإن **العلماء** كانوا يتبعون ما يوصى به . ولم يستطع المؤلف العثور على حالة واحدة من حالات **النفير** أو أى مكان لها أو حتى معلومات عنها فى أى مصدر من المصادر الشفهية التى رجع إليها . ولم يحدث أيضاً أثناء تمرد الإخوان أو غزو الحجاز أن أعلنت التعبئة الثانوية للقوات .

ويسجل المدنى تنظيماً أكثر طموحاً لقوات الإخوان ويقسمها إلى خمس مجموعات :

(أ) **القطاع الشمالى الشرقى** : ويوجد على طول المنطقة الهدابية من الحدود مع العراق . وكان مركز رئاسته فى لينا وأم رضمه ويرأسه كل من ابن جبريل وابن ثنيان كل على حده . وكانت مسئولياتهما تتمثل فى إدخال قبائل ابن هذال التالیه ، الداخلة فى اتحاد عنيزه ، إلى حركة الإخوان : الصقور ، العمارات ، وآل - سديد التى توجد على طول الحدود العراقیه ، إضافة إلى آل - جاربأ وآل -

(٣٠) الريحاني ، نجد ، ص ٢٦٤ . راجع أيضاً أم القرى ، العدد ٢٩١ ، (٤ يوليو ١٩٣٩) .

حارى . وكان من واجبهما أيضا إدخال قبائل شمرّ التّاليه الى الخط نفسه وبخاصّة تلك القبائل التي لم تكن ميالة في البدايه إلى الإنضمام الى حركة الإخوان : آل - جزيره ، والطقيير ، ابن سويط .

(ب) **القطاع الشمالى الغربى** : على الحدود السوريه . وكان مركز قيادته فى الجوبه ، ويرأسه ابن عقيل وابن دغمى . وكانت مسئوليات هذا القطاع العامة تختص بالبدو السوريين حتى حدود معان ، وضم قبيله الرّواله من الشعلان والشرارات وكذلك الأشخاص من أمثال ابن جندل ، ابن ملحم ، وسلطان الطيار ، ابن سمير ، ابن ماجد فضلا عن أشخاص أخرى من السباع والفدعان الذين هاجروا إلى ما وراء حلب ، إلى حركة الإخوان . كما كان من مسئولياتهما أيضا ضم بنو صخر ، وبنو عطيه وأخيرا الحويطات إلى حركة الإخوان أيضا .

(ج) **شمال الحجاز** : بطول خط المدينه . ويقع مركز رئاسته فى الدهناء وتيماء ، ورئيسه هو ابن نحيث . وتتمثل مسئولية ذلك القطاع فى ضم قبائل فرحان العبيدة ، ورئيس آل - فقير ، وآخرين من قبيله عنزه حول مكه وخيبر ، مثل أولاد على ، والغداورة ، وكذلك الحطيم ، وبنى سليم ، وأولاد محمد وكذلك عناصر مسروح من قبيله حرب إلى حركة الإخوان .

(د) **جنوب الحجاز** : على طول خط مكه . وكان مركز رئاستها يقع فى الخرمة ، ويقوده خالد بن لؤى . وكان من مسئوليه هذا القطاع أن يضم إلى حركة الإخوان كل من عناصر الخرمان ، بنى سالم ، زبيد ، ومسروح وكلها من قبيله حرب ، كما يضم الى حركة الإخوان أيضا جزءاً من بنى سالم والتّجمعات التي ترتبط معهم بعلاقات وتعيش على طول الحدود الشرقيه التي تربط مكه بالمدينه .

(هـ) **فرع الإحتياط** : ومكانه الأرطاويه ، ويقوده فيصل الدويش . وكانت مسئولياته تمتد من المناطق الشماليه إلى جنوب الحجاز ، وكان ذلك الفرع يهب لمساعدة أولئك الذين كانوا بحاجة إلى المساعدة (٣١) .

(٣١) المدنى ، فرقات ، من ص ٤٣ - ٤٥ .

ولا يورد المدنى أية إشارة أو دليل على المصادر التى حصل منها على هذه المعلومات الخاصة بمراكز الرئاسة تلك ، وقد عجز المؤلف عن العثور على أية وثيقة أو مصدر شفهي يدعم أو يؤيد تفويض مثل هذه السلطات أو المسئوليات العسكرية . بل إن المصادر الشفهية ، بين الدوشان وعائلات ابن خثيله ، تتحدى ، على العكس من ذلك ، هذا الذى أورده الميدانى فى روايته ، كما استبعدت تلك المصادر الميدانى بوصفه غريباً ، لا يمكن أن يعرف مثل هذه المعلومات ، أو أن يكون له حتى حق الإطلاع عليها . وهم يقولون ببساطة إن الإخوان كانوا عبارة عن جماعة من المقاتلين المنظمين تنظيمًا فضفاضاً ، ينضوون فيه تحت التوجيه المباشر لقادتهم ، وإن الاتجاه العام للإخوان حدده كل من مطير الأرطاوية وعتيبة الغطط . وهناك حذف كبير ، يلقي بظلال الشك على التقرير الذى أوردها المدنى ، ويتمثل فى عدم إتيان المدنى على ذكر الغطط التى لعبت دور القيادة فى غزو الحجاز عن طريق الإختراق الذى قامت به فى تربه ، والحزمة ، والطائف . وإذا كانت التقسيمات التى أوردها المدنى تصلح لأن تكون توزيعاً عاماً للقوات ، يجب ألا نفسرها على أنها تعنى أن هذه القطاعات الخمسة كانت توجه وتدير وتنظم نشاطات الإخوان باعتبارها شبكته على درجة عالية من التنسيق من شبكات مركز الرئاسة . ونظراً لندرة السجلات فنحن لا نملك سوى أن نقدر العضوية الفعلية للإخوان وبعد ذلك يمكننا أن نفاضل بين إجمالى عدد البشر الذين يعيشون فى الهجر ، بما فى ذلك النساء والبنات وبين عدد الذكور الفعلى الذين كانوا من الإخوان أو أولئك الذين سيصلون إلى هذه المرحلة . "يقدم العطار فى كتابه ، صقر الجزيرة التقديرات التالية عن سكان الهجر : مطير ٤٠٠٠٠ ، الدواسر ٧٠٠٠ ، عتيبة (الروقه ١٤٠٠٠ ؛ عتيبة (البرقا) ٨٠٠٠ ؛ الغطط ١٥٠٠٠ ؛ العجمان ١٥٠٠٠ ، حرب ٣٠٠٠٠ ؛ عوازم ١٥٠٠٠ ؛ المره ١٠٠٠٠ ؛ شمر ١٥٠٠٠ ليصل العدد الإجمالى إلى ١٦٩٠٠٠ (٣٢) .

(٣٢) أحمد العطار ، صقر الجزيرة من ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

وقد صرح ماجد ابن خثيلة بأن القوة الإجمالية للإخوان عندما كانت في ذروتها وصلت إلى حوالي ١٥٠٠٠٠ منها ٧٥٠٠٠ كانوا مسلحين بالبنادق من نوع أو آخر ، في حين كانت البقية مسلحة بالرماح ، والسيوف وأسلحة أخرى (٣٣) . كان ماجد ابن خثيلة يتحدث عن المقاتلين الذكور أصحاب الأجسام القادرة على القتال . وقد ترك لنا كل من فيلبس ، ودكسون والريحاني بعض التقديرات ولكنها لا تتعدى العام ١٩٢٦ ؛ وهذه التقديرات غير كافية نظرا لأن الهجر كان لا يزال إنشاؤها جاريا للمستقرين الجدد من الإخوان بعد ذلك التاريخ . وفي العام ١٩١٩ قدر فيلبس عدد الإخوان الإجمالي بحوالي ٣٠٠٠٠ أخ بعد أن توصل إلى ذلك الرقم عن طريق تقدير نسبة الإخوان بعشرة في المائة فقط (١٠ ٪) من إجمالي التقديرات التي أوردتها المصادر البدوية عن إجمالي عدد الإخوان الذي قدرته بحوالي ٣٠٠٠٠٠ (٣٤) . وقد ورد في إحدى التقارير التي كتبها ديكسون في العام ١٩٢٠ أن ابن سعود قدر عدد الإخوان الإجمالي بحوالي ٣٠٠٠٠٠ (٣٥) ، وهذا الرقم كان يمثل إجمالي أولئك الذين كانوا يعيشون في الهجر ، وأنه كان بوسعه أن يحشد كل هذا العدد في الحرب الشاملة . وفي ضوء عدم وجود سجلات دقيقة ، قد يصبح من المستحيل علينا تقدير القوة العسكرية للإخوان تقديرا دقيقا أيام أن كانت تلك الحركة في ذروة قوتها . وعلى أية حال ، فإن نسبة مئوية صغيرة فقط هي التي كانت تستعمل في معركة بعينها أو في مجموعة من المعارك . ويشير بعض المراسلين السياسيين البريطانيين إلى جماعات غزو يقدر عدد الواحدة منها بحوالي ٢٠٠٠٠ ، ولكن هؤلاء المراسلين لا يقدمون من الأدلة ما يدعم هذه المزاعم ويؤيدها . ويقدر فيلبس أكبر قوه يمكن الإبقاء عليها في ميدان القتال ، في ظل

(٣٣) مقابلة مع ماجد ابن خثيلة في يوم ١٩ أبريل ١٩٦٩ في الرياض .

(٣٤) أطلق فيلبس على هذه الطريقة اسم "قاعدة دوغتي" ، كان دوغتي ميالاً إلى حساب عشرة في المئة فقط من أي رقم يورده أي مصدر من المصادر العربية .

(٣٥) ديكسون ، مذكره إلى المفوض المدني ، وزارة الخارجية ، ١٩٢٠ ، مخطوطات ، المجلد رقم ٥٠٦٢ -

الصعوبات الغربية التي تنجم عن طبيعته الأرض في الجزيرة العربية ، بحوالى ٥٠٠٠ رجل (٣٦) فقط . وفي العام ١٩٢٨ أورد فيلبي التقديرات التالية لسبع فرق من الإخوان إضافة إلى حرس بن سعود الخاص ، وذلك عندما جرى حشد أولى لتلك القوات في الطرفية Tarafiya :

عدد الخيول	عدد الرجال (راكبي جمال أو مشاه)	الهجرة
١٠٠	١٠٠٠	الأرطاوية
١٠٠	٨٠٠	الغطط
٨٠	٧٠٠	الدهناء
٧٥	٧٠٠	فريشان
٦٥	٥٠٠	ساجر
٥٨	٥٠٠	مبياض
٥٠	٣٠٠	الضبيعة
٣٠٠	٣٠٠	حرس ابن سعود الخاص
٨٢٨	٤٨٠٠	الإجمالي

(٣٦) فيلبي ، الجزيرة العربية الوهابية ، ص ٢٩٦ . وإذا ما استبعدنا حرس بن سعود الخاص ، الذي كان جميعه راكبا ، فإن الأرقام التي أوردتها فيلبي تكشف عن نسبة مقدارها ١ : ١٠ في الخيول ولراكبي الجمال والمشاه . وقد كتب فيلبي تقريراً عن عملية حائل أورد فيه قوة تقدر بحوالى ٦٠٠٠ مقاتل كان منهم ٥٠٠٠ من الإخوان . راجع عمليات ضد حائل ، ١٠ أكتوبر ١٩١٨ ، مخطوطات ، مكتب السجلات العامة ، وزارة الخارجية ٣٣٩٠ - ٣٧١ ، رقم الوثيقة إي ١٧٢٤٤ .

ونحن عندما نقارن هذه الأرقام بتلك الأرقام التي أوردها كل من ديكسون والريحاني على الصفحات التالية يتضح لنا أنها تتفق مع بعضها بشكل عام من حيث أنها تتناول الهجر نفسها .

وقد أبلغ ماجد ابن خثيلة المؤلف بأن أكبر قوة من قوات الغزو من الإخوان لم يزد عدد أفرادها على ٤٠٠٠ رجل (٣٧) ، وهذا الرقم لا يبعد كثيراً عن التفريضة التي أوردها قبلي أعلاه .

ونحن نورد فيما يلي موجزا لنشاطات قوات الإخوان الغازية في الفترة من ١٥ ديسمبر ١٩٢٨ إلى ٣ مارس ١٩٢٩ والمحفوظة في مكتب السجلات العامة البريطاني ، في لندن (٣٨) :

١ - كانت الجماعات الغازية من مطير في منطقه الجميمه على النحو التالي :

القائد	القوة
المرايخيك	٣٠ فرد على ١٦ جملاً
جاتلي ابن الرشيد	٢٠ فرد على ١٥ جملاً
ابن غنيم	٨ أفراد جماله
ابن رشدان	حوالي ١٥ فرداً
مناحي بن عشوان	١٥٠ جملاً
لافي بن مغلث	حوالي ٣٠ جملاً

(٣٧) مقابله في الرياض .

(٣٨) ملخصا لقوات الإخوان الغازية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ،

١٣٧١٤ - ٣٧١ ، رقم الوثيقة إي ١٧٨١ (١٩٢٩) .

٢ - جماعات الغزو التابعة لـ - العجمان ومطير في الكويت :

٢٠٠ - ٣٠٠ فرد

ضيدان بن حثلين

ابن حثلين (عجمان)

ابن شقير (مطير)

١٠٠٠ فرد

ابن الفغم (مطير)

٢٠٠ فرد

ابن شقير (مطير)

ابن الفغم (مطير)

ابن شقير

٦٠٠ فرد

ابن الفغم

٣ - جماعات الغزو التابعة لـ - عتيبه في منطقه الحازول

٨٠٠ فرد

محمد بن جبرين

١٠٠٠ فرد

محسن

١٢٠٠ فرد

السلطان بن حميد

وإذا كان الدليل الذي أوردناه ليس استنتاجاً ويوضح مدى صغر حجم جماعات الإخوان التي كانت تقوم بالغزو ، ومع أن القادة الذين أوردنا اسماءهم آنفاً يمثلون أكبر قادة الإخوان وأكثرهم شهرة ونشاطاً ، إلا أن هذه القوات - رغم - صغرها كان لها وزنها .

ويقدر الريحاني عدد قوات الإخوان التي كانت تستعمل في الغزو بحوالي ٧٥٠٠٠ مقاتل . بل إننا إذا ما ضاعفنا هذا الرقم حتى ينسجم مع عدد الهجر التي أنشئت بعد أن أورد الريحاني هذا الرقم ، فإن العدد ١٥٠٠٠٠ مقاتل لا يعد رقماً كبيراً جداً قياساً على الغزوات التي قامت بها تلك القوات . وإذا ما سلمنا تماماً بالفكرة التي مفادها أن غزو الجزيرة العربية لم يكن حكراً على الإخوان وحدهم ، نجد أن أغلى ما قدمته تلك القوات لممتلكات ابن سعود هو غزوها للحجاز . يقول

المدنى فى هذا الصدد : "إن الانتصارات التى حققها الإخوان فى تلك الفترة القصيرة جداً لا تسلم نفسها لأى شكل من أشكال التفسير السهل على الإطلاق ، ومع ذلك ، يكفى لنا أن نقول هنا : إن توسيع الحدود ومدّها من منطقة عسير إلى حدود العراق ومن قطر والكويت إلى الحدود السورية ، كانت ثمار النصر التى جنتها تلك القوات خلال السنوات الثلاث الماضية ؛ بمعنى السنوات التى أعقبت معركة تربة" (٣٩) .

والجندى الإخوانى لم تسجل عنه أوصاف كثيرة ، برغم أن الكثيرين يعرفون الكثير عن تشدده وولائه . ولهذا السبب فإن الوصف الذى تركه لنا النقيب سى . سى . لويس هو أهم كل هذه الأوصاف ، وبرغم أنه يتكلم من منطلق الإدراك المؤخر ، إلا أن وصفه هذا ليس دقيقاً تماماً :

الإخوان هم العامل الثالث المهم فى السياسة فى الجزيرة العربية . فالسيد فيلبس يقدر عدد الإخوان بنحو ٥٠٠٠٠ ألف رجل ، ولكن أمين الريحانى يقدر عددهم بحوالى ٧٣٠٠٠ . وقد ظل الإخوان ، لعدة سنوات ، فى كل أنحاء البلاد الناطقة بالعربية مصدراً لا يخيف الأطفال وحدهم وإنما يخيف الكبار أيضاً ، ولكن فى رأى الشخصى أنهم لا يعدوا أن يكونوا مجرد خرافة . إن بنيتهم الجسمانية ضعيفة . صحيح أنهم متشددون تماماً وصحيح أيضاً أنهم مقاتلون غير نظاميين ، ولكنهم متشددون من منطلق المفهوم الدينى الوهابى المريح الذى مفاده أن الإنسان إذا ما قتل فى الحرب فإنه سوف يتمتع بعدد كبير من الحور العين فى الجنة . أما إذا بقى الإنسان على قيد الحياة فإنه سوف يشارك فى الغنائم ؛ وكان الإخوان متوحشين من منظور ، أنهم قتلوا جميع الرجال ، وجميع النساء والأطفال فى المنطقة ما بين المويلة Muwaila وشرق الأردن ومع ذلك ، فإن التقييم الدقيق للإخوان لا بد أن يقودنا إلى نتيجة مفادها أن المقاتلين غير المدربين ، مهما بلغوا من الشجاعة ، لا يمكن أن تنهيا لهم فرصة الانتصار على القوات المدربة . وأنا أشك بشدة فيما إذا كانت قوات الإخوان أفضل من قوات شابان فى العراق . لو تهيأت لى الفرصة لوضعت سريه واحدة من سرايا الشـبابان

Shabana في مواجهه ضعف عددها من الإخوان (٤٠) .

وقد كشف النقيب لويس عن ذاكرته القاصرة بشكل يدعو إلى الدهشة والغرابة ، عندما راح يتكلم كما لو كان في العام ١٩٣٣ الميلادي ، أي بعد سنوات عدة من معركة السبلة التي سحق فيها ابن سعود الإخوان ، وعندما راح يتكلم أيضا وهو بعيد في لندن دون أن يكون هناك أحد من الإخوان يرد على إدعاءاته . لقد فشل النقيب لويس في تفسير الأسباب التي جعلت قوات الملك حسين المدربة عاجزة عن الدفاع عن الطائف ، ومكة والمدينة ، ناهيك عن عجز هذه القوات عن حماية مدينة جدة من هؤلاء "الإخوان ضعاف البنية" . لقد استعمل الملك حسين الطائرات التي يقودها المرتزقة في مواجهة هؤلاء الإخوان . كما لم يفسر النقيب لويس أيضا الأسباب التي جعلت القوات العراقية جيدة التدريب ، والتي كان يقودها ضباط بريطانيون ، عاجزة عن مسايرة أولئك الإخوان القساة المتوحشون ، حتى في مرحلة ما بعد غارات الطائرات ، والمركبات المدرعة ، والحملات الميكانيكية على هؤلاء الإخوان . يضاف إلى ذلك ، أن القوات جيدة التدريب في الأردن عجزت هي الأخرى عن التعامل مع الإخوان ، ورضيت بتنسيق الجهود بين كل من ابن سعود والبريطانيين في كل من الأردن والعراق لإخضاع الإخوان . ربما كان الإخوان متوحشين ، ونحن ندينهم بذلك حقا ، غير أن شطبهم تماما بالطريقة التي فعلها النقيب لويس الذي قال عنهم إنهم "ليسوا أكثر من خرافة" يعد ظلما للإخوان ، وظلما أيضا لأولئك الجنود العرب والبريطانيين الذين تحتم عليهم أن يلاقوا أولئك الإخوان في ميدان القتال (٤١) .

(٤٠) "ابن سعود ومستقبل الجزيرة العربية" النقيب سي . سي . لويس ، حديث أدلى به في شاذام هاريس ، يوم ٢٣ يناير ١٩٣٣ ، الأستاذ هـ . أ . ر . جيب رئيسا . نشر في جريدة "الشئون الدولية" ، ١٩٣٣ ، ص ٥١٨ .

(٤١) لم يوفق النقيب لويس أيضا في توقعاته لإمكانات ملك السعودية المرتقب ، فيصل بن عبد العزيز ، الذي وصفه لويس في العام ١٩٣٣ بأنه "لا نفع منه تماما ؛ فهو وزير شرفي للخارجية ، ولكنه لا يعمل في هذا الإطار مطلقا" .

ولويس يدخل منطقة الأمان عندما يناقش مسألة الغنائم . ومع ذلك كان الإخوان منظمين في هذه المسألة . وقد أورد أحد الهنود البريطانيين المسلمين يدعى فضيل الدين ، في مذكراته اليومية : "إن الغنائم التي كان الإخوان يجمعونها وقيمتها حوالي ٣٥٠٠٠ دولار أمريكي كان يذهب خمسها إلى بيت مال الإخوان . أما الباقي فقد كان يوزع بين قوات الإخوان ويقال إن الإخوان كانوا أمناء في جمع الغنائم كما كانوا يتوخون الأمانة في تسليمها للأمير" (٤٢) . ويؤكد الريحاني هذه النقطة فيقول :

لم يجروا أى أحد من الإخوان مطلقا على إخفاء أى شئ ؛ مهما كان ثافها أو ثميناً . فبعد نهب أى مدينة من المدن أو بعد غزو أية جماعة من الجماعات ، كان الإخوان يعودون بالغنائم - الأشياء القيمة ، المال ، والثروة الحيوانية - ويضعونها أمام السلطان أو قائد من قادته لتوزيعها على الجميع ؛ وكان كل أخ ، مطوّع ، بدوى أو أى عربى آخر يحصل على نصيبه من داخل نسبة الأربعة أخماس من الغنيمه ، أما الخمس المتبقى فقد كان يذهب للإمام أو الدولة . . . لا ضريبه ولا محسوبيه ؛ وليس لأى أحد بما فى ذلك الإمام نفسه أية ميزه أو امتياز من أى نوع (٤٣) .

وقد صرح ماجد بن خثيله للمؤلف أن الإخوان كانوا يجمعون الغنائم كلها ويرسلونها إلى ابن سعود ، وبخاصة الذهب والفضة اللذان لم يستعملتهما أو يلبسانهما (٤٤) . وإذا ما حكمنا على الإخوان من حياة التقشف التي كانوا يحيونها ،

(٤٢) يوميات فضيل الدين ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٥١٤٨ - ٣٧١ ، رقم الوثيقة إي ١٢٥٢٨ ، ١٩٢٠ .

(٤٣) أمين الريحاني ، ابن سعود القادم من جزيرة العرب : شعبه وأرضه . لندن : كونسـتابل وشركاه ليمنتد ، ١٩٢٨ ، ص ٢١٠ .

(٤٤) مقابله في الغطف ، مارس ١٩٦٨ . قال الشيخ ماجد أن ابن سعود كان عطوفا جداً ، وكان في بعض الأحيان ، يهدى صاحب الغنائم جارية جميلة تقديراً له على كميته الغنائم القيمة التي يقدمها له .

نجد أنهم لم ينعموا بحياة هادئة حتى فى ظل الغنائم التى كانوا يحصلون عليها . وفى أغلب الأحيان ، كان أجمل ما يحصل عليه الإخوان على أنه أعظم جوائز الانتصار فى الحرب ، يتمثل فى سيف جميل أو بندقية ، وفى حالة نشوب الصراع بينهم ، فإنه لم يكن يتعلق بالغنائم وإنما يكون ، فى أغلب الأحيان ، متعلقا بامتلاك سلاح أفضل .

هنا يمكن القول : إن الإخوان كانوا جنودا متشددین لا يخشون الموت ولا ينشدون متع الحياة . وإتهم بقدر ما كانوا يدخلون الرعب فى قلوب أعدائهم ، كانوا يعيدون الأمن والسلام أيضا إلى المناطق المضطربة (٤٥) ، السلام الذى اسماه فيلبى **السلام الوهابى** :

وبرغم ذلك ، كانت منجزات ذلك السلام فى الحرب تكاد تكون عديمة القيمة إذا ما قارناها بمنجزاته وقت السلم . ففى كل أنحاء الجزيرة العربية الوهابية بطولها وعرضها ، يسود الآن جو من السلام والأمن لم تشهده البلاد فى أية مرحلة من المراحل السابقة من تاريخها . إذ بوسع أى انسان الآن أن يتجول فى أى جزء من أجزاء البلاد بالسيارة أو على ظهر جمل دون أن يخشى سلبا أو نهبا ، وفى الحجاز ، الذى كان فى وقت من الأوقات أكثر المناطق اضطرابا وفوضى ، أصبح بوسع الحجيج أن ينتقلوا هنا وهناك دون أدنى قلق أو اضطراب فيما يتعلق بسلامة أرواحهم وممتلكاتهم . ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يشاهد أو يرى أية إشارة تدل على القوات أو الشرطة التى تركز عليها السلامة والأمن فى أى بلد من البلدان المعتساده . فقد تحولت مراكز الحراسة القديمة على طرق الحجاز والأحساء الى خرائب ولم تعد تستعمل بعد فى إعاشه حاميات الأزمان السابقة . وهناك قلة قليلة من الجنود والشرطة فى مدينة جدة ، ومكة وهم يرتدون زيا رسمياً ، أما فى الصحراء والأحياء فلا توجد أية إشارة ظاهره أو تراها العين ، تدل على وجود أى

(٤٥) جون فيلبى ، "الجزيرة العربية ١٩٢٦ - ١٩٢٩ . ثلاث سنوات من الحكم الوهابى" ،

المجلة المعاصرة ، لندن ، المجلد ١٣٧ ، يناير - يونيو ، ١٩٢٩ ، ص ٧١٥ .

نوع من أنواع الحراسات التي تقوم على أمر الأمن والسلامة . فقد امتدت ظلال الجيش الوهابي ، المخبأة في مستقرات الإخوان ، إلى كل أنحاء الصحراء وأصبحت تغمر الجزيرة العربية كلها . والعابثون المحتملون بالأمن والسلامة يعرفون ذلك وقد سبق لهم مرارا أن عاثوا الأمرين من الهجمات الضارية المفاجئة التي نزلت بهم - وعليه لم يعودوا يعبثوا بالأمن والسلامة بعد . كما أن الجيش ، شأنه شأن حاميات روما القديمة ، هو الذي يزرع خضرواته وتموره وحبوبه في مستقراته وقت السلم إلى أن يحسن استدعائه للخدمة من قبل مليكه (٤٦) .

وعن تحويل البدوي القديم إلى أن أصبح أخا مسئولا ، كتب وهبه يقول :
كان البدوي لاهم له إلا النهب والسلب وقطع الطريق . ثم هو يعد هذا العمل من مفاخر البادية ، والويل للضعيف في البادية ... والقوافل التجارية كانت تحت رحمة البادية ، لا تمر من المنطقة إلا بإتاوة أو مجيز ... أما الإخوان الآن : فهم حماة الطريق ، يرون حرمة التعدي على المسافرين وابن السبيل ، ويرون للجار والمسلم حرمة ، فالمسلم حرام دمه وماله ... أصبح الإخوان لا يهابون الموت ، بل يندفعون إليه اندفاعاً ، طلباً للشهادة ولقاء الله ، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات
"جمعنا الله وإياك في الجنة" (٤٧) .

(٤٦) جون فيلبي ، "السلام للوهابي" /المجلة الانجليزية . (مارس ١٩٣٦) من ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٤٧) وهبه ، الجزيرة ، ص ٢٩٥ .

الفصل السابع

بداية المشاكل مع الإخوان

بدأ ابن سعود حركة اصلاح للإخوان غير ملقيا بالآ للنصيحه التي اسداها اليه العديد من المستشارين والثقات المقربين (١) ، وأهمهم وأبرزهم عبد الله بن جلوى ، حاكم الأحساء الصارم . فقد أبلغ ابن جلوى ابن سعود أن محاولة العبث بالبدو مثل العبث بعش الزنابير ؛ إذ لا يمكن لأى إنسان تقدير مدى الضرر الذى قد يترتب على ذلك ، برغم وقوع الخطر لا محاله . وقد أثبت التاريخ لكل من ابن سعود ومستشاريه المعادين للإخوان أنهما كانا على حق . ومثلما خطط ابن سعود للإخوان ، فقد كانوا بمثابة طليعة قواته العسكرية التى وُحِّدَت شبه الجزيرة باسمه ، ولكن ذلك لم يتحقق إلا بعد سلسلة من المشكلات وفترة من الصراع لم يتأكد طوالها على الإطلاق إن كانت كلمته وسيفه هما اللذان سينتصران .

وقد أفضى نجاح مستقرات الإخوان الأولى السريع إلى التكاثر على معايير الإخوان . ومع فيض التشدد والحماس الذى لا يمكن احتوائه ، بدأ الإخوان مهمة إعادة القبائل غير الملتزمة إلى الطاعة . واعتبارا من بدايات حركة الاصلاح وحتى نهاية العام ١٩١٩ الميلادى إلى أن حظر ابن سعود الهدايه القسريه ، كانت نجد والمناطق الهدابيه على حدود المنطقتين الغربيه والشماليه بمثابة مناطق القتال المستمر الذى خاضه الإخوان ضد القبائل . وقد قاومت بعض القبائل هذه المعارك وردت على الحرب بالحرب ، وكانت أشد هذه القبائل عنادا هى قبائل العجمان فى الأحساء وقبائل شمّر ، وهما بمثابة العمود الفقرى لقوة ابن الرشيد فى حائل . ومع ذلك ، ولما كان الإخوان غير راضين عن تحدى التشدد الدينى فى عقيدة البدو ، ومع زيادة أعداد الإخوان وسلطاتهم ، فقد إندفعوا يهاجمون الوهابيين فى

(١) جاك بنويست - ميشين ، مصير الجزيرة العربية ، (لندن : جاردن سيتى برس ١٩٥٧) ،

المجتمعات النجدية المستقرة ، أولئك الناس الذين ثبتوا على مذهبهم الوهابي في الوقت الذي انصرف البدو فيه ، منذ زمن بعيد ، إلى عبادات الدين الشعبي .

والإخوان عندما لا يكونون منشغلين بغزو جيرانهم ، يقضون أيامهم في الهجر يؤدون الصلاة في المساجد ولا يفعلون سوى الأعمال الأساسية فقط . ولما كان الإخوان يتصورون أن الله قد اختارهم ، صفوة المسلمين ، فقد بقوا بلا عمل انتظار لجنه الاسلام millenium . وتركوا لابن سعود مسألة الترتيب لحفر الآبار ، وراحوا يعيشون على المؤن الأولى التي كان قد أرسلها إليهم ، باعتبارها مساعدة أوليه إلى حين اكتفائهم ذاتيا . ولما كان الإخوان من البدو أصلا ، فقد كانوا ينظرون إلى مثل هذا العمل البدوي على أنه أقل من مستواهم ؛ وبوصفهم إخوانا فقد كانوا ينظرون إلى أدنى انشغال بالأمور المادية على أنه لا يتفق مع فهمهم للإسلام .

وقد جاءت مسألة تشدد الإخوان في وجه القبائل التي رفضت الاستقرار في الهجر ، وتشددهم أيضا مع سكان المدن والقرى الذين التزموا بالشرعية إضافة أيضا إلى المشكلات التي تترتبت على كسل الإخوان في الهجر ، بمثابة الجرعة الأولى التي تجرعها ابن سعود من المشكلات المريرة التي كان لا بد أن تنشأ بينه وبين الإخوان إلى أن وقعت المواجهة الفاصلة بينه وبينهم في السبلة . وبعد تلك المعركة كان الإخوان يتمتمون بأن ابن سعود لم يكن يمارس العقيدة ممارسة كاملة ؛ وقد بدأوا يشعرون بالضيق منه لزيادة إتصالاته بالإنجليز ، كما تضايقوا منه بصفه خاصة لتفسيره الذي أورده عن غزو الإخوان للقبائل التي ثبتت على المذهب الوهابي ولكنها رفضت الاستقرار في الهجر .

وفي العام ١٩١٩ شهد النقيب نورمان إي . براى ، أحد المراقبين البريطانيين المهتمين ، بداية تلك المشكله وكتب إلى مكتب الهند يقول :

ابن سعود هو أيضا غير متأكد من وضعه الخاص وهو خائف أيضا من النتائج التي قد تترتب على ذلك . . . لقد أعاد تأسيس الإخوان ، ليوفر لنفسه ، وسيلة للدفاع عن النفس ضد الهجوم ، ولكن الحادث الآن أن حصان

الفوره الدينيه قد فاق كل توقعات ابن سعود من حيث القوة وراكب هذا الحصان يجد أن السيطرة عليه أصعب مما كان ينتظر (٢) .

وبعد ذلك بسنوات قلائل ، وصف ألويس Alois ميوسيل Musil ، المشكله وصفا محددا بعد أن قام بجولة إلى شمالي نجد فكتب يقول :

الإخوان ، شأنهم شأن المرتزقه الآخرين ، مكروهين ويخافهم الناس . ومن الصعب القول إنهم يشكلون أساساً مناسباً لإمبراطوريه ابن سعود ، نظراً لأن الإخوان هم وقائدهم سيكونون أول من سيرفض ابن سعود إذا ما أخفق في اتباع مبادئ المذهب الذي يتبعونه . إنهم يتهمونه الآن بإعتداله الشديد مع المسلمين الآخرين وبطاعته المفرطه للأوربيين ، يضاف إلى ذلك أن رفض الإخوان لموقفه آخذ في التفاقم بعد إدخاله للإصلاحات المختلفه . . . (٣) .

وحلا لمشكله الكسل والعطاله ، أوفد ابن سعود إليهم رهطاً من المعلمين الدينيين والدعاة الآخرين . وأبلغ هؤلاء المعلمون والدعاة ، الإخوان أن الزراعة ، والحرف ، والتجارة والصناعة لا تتعارض مع الإسلام ، وأن المسلم القوي خير من المسلم الضعيف . وأن الإسلام يشجع على جمع الثروة والممتلكات عن طريق العمل ؛ وفي النهايه سلم الإخوان بذلك التفسير ، ونقلوا عن الريحاني فإن بعض مستقرات الإخوان فاقت من حيث الزراعة والصناعة ، المدن والقرى المستقرة القديمه صاحبه الخبرة الأكبر (٤) وحلا للمشكله الشائكه المتمثله في موقف الإخوان من القبائل والقرويين ، دعى ابن سعود لعقد مؤتمر للعلماء في العام ١٩١٩

(٢) رسالة من النقيب براى الى مكتب الهند ، ٢٨ يوليو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، المجلد ٤١٤٧ ، الوثيقه رقم إى ١٢٩٦٧٨ .

(٣) الويس ميوسيل ، شمالي نجد (مفكره طبوغرافيه) : الجمعيه الجغرافيه الأمريكيه ، الاستكشافات والدراسات الشرقيه ، العدد ٥ ، إعداد جى . كى رايت ص ٣٠٣ .

(٤) الريحاني ، نجد ، ص ٢٦٢ .

الميلادى . وعرضت على العلماء فى ذلك المؤتمر خمس مشكلات أساسية (٥) على شكل استفسارات طلب إليهم أن يقولوا فيها رأيهم :

- (١) هل يُطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأوامر الله ونواهيه أم لا ؟
- (٢) هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحد أم لا ؟
- (٣) هل فى الحضر الأولين وفى المهاجرين الآخرين فرق أم لا (٦) ؟
- (٤) هل فى ذبيحة البدوي الذى فى ولاية المسلمين ، ودربه دروبهم ومعتقده معتقدهم ، وفى ذبيحة الحضر الأولين أو المهاجرين فرق حلال أو حرام أم لا ؟
- (٥) هل للمهاجرين أمر أو رخصة فى اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ، فيضربوهم أو يؤدبوهم أو يهددوهم أو يلزموهم بالهجرة أم لا ؟ وهل لأحد أن يهجر أحداً بدوياً كان أو حضرياً بغير أمر واضح أو كفر صريح أو شيء من الأعمال التى يجب هجره عليها بغير إذن من ولي الأمر أو الحاكم الشرعى ؟

مسأله ارتباط السؤال الأول بالبدو الذين لم يهاجروا إلى المستقرات ، بمعنى أولئك الذين لم يهاجروا إلى هجرة من الهجر ، ليست غريبه ، والسبب فى ذلك أن فكرة الهجرة كانت راسخه منذ البدايه فى عقول أولئك الإخوان البسطاء الذين فسروا أقوال الدعاة الوهابيين تفسيراً حرفياً ، فضلاً عن تفسيرهم أيضاً للنصوص

(٥) راجع كتاب الريحاني ، نجد ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، حيث توجد النصوص الكاملة لفتوى العلماء .

(٦) هذه ليست قضيه جديدة فى الإسلام . راجع عبد المتعال الصعدي ، شباب قریش فى بدء الاسلام

(دار الفكر العربى ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثالثة) ، ص ١٧٤ .

التي نشرها الدعاة الوهابيون بينهم . كان الدليل الرئيسى الذى استعمله أولئك الدعاة من بين كتب المصلح الوهابى ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، يتمثل فى كتابه المعنون : **الأصول الثلاثة ودلائلها** ، الذى أعيدت طباعته عدة مرات فى العامين ١٩١٨ و ١٩٢٠ (٧) بصفة خاصة لتوزيعه على البدو .

وتحت المبدأ الثالث "معرفة النبى محمد" يناقش المصلح الوهابى مفهوم الهجرة وعلاقته بالنبى (ص) ، ومدى علاقة ذلك المبدأ بالمسلمين الذى يتبعونه . ويستشهد المصلح الوهابى بآيات من القرآن دليلا على **الهجرة** التى يعرفها "بالانتقال من أرض الكفر إلى أرض الإسلام" . ويصرح المصلح بأن **الهجرة** مفروضة على هذه الأمة . . . وتظل مفروضة إلى يوم قيام الساعة" . ويقول أيضا : إن واجب **الهجرة** "ليس معلقا على التوبة والتوبه ليست معلقه إلى أن تطلع الشمس من مغربها" (٨) .

وقد استعمل الدعاة ذلك الكتيب إلى جانب كتب ابن حنبل ، الذى تنتمى الوهابية إلى مذهبه . وقد فسر ابن حنبل **الهجرة** على أنها واجبه على المسلمين إلى أن يتم "قتل الكفار ، وخلق أصواتهم ، ووقف حركتهم" (٩) . وبناء على ذلك ، فإن الإخوان كانوا ينظرون إلى البدوى الذى اعتنق مبادئ الدين الحقيقية ولكنه لم ينتقل إلى مستقر من المستقرات على أنه لم يكمل ، بناء على ذلك ، متطلبات المسلم الحق . وتأيدا لهذا المنطق كان الإخوان يستشهدون بالمقولة التى مفادها أن **الهجرة** مستمرة إلى أن يتم إخراس صوت العدو تبريرا للغزوات التى كانوا يقومون بها ضد أولئك البدو الذين لم "يدخلوا الطاعة" . من هنا ، لم يكن هناك ما

(٧) إى إى كالفرلى ، "مبادئ الإخوة فى الجزيرة العربية" ، العالم الاسلامى ، المجلد الحادى عشر ،

١٩١٢ ، ص ٣٦٤ ، يورد فيلبى أن ذلك الكتاب قد أعيدت طباعته فى بومباى : راجع كتاب فيلبى ،

قلب الجزيرة العربية ، المقدمة ص ١٧ .

(٨) **الأصول الثلاثة** ، ص ٢١ . راجع الهامش الخاص بتفسير ابن حنبل **الهجرة** .

(٩) المرجع السابق .

يدعو إلى الدهشه أو العجب عندما وجد ابن سعود نفسه مضطرا إلى عقد اجتماع للعلماء يردون فيه على هؤلاء الإخوان البسطاء .

أما فيما يتعلق بلبس العمه (العمامه) ، فقد كانت حجج الإخوان ضعيفه عندما قالوا بأن المسلمين جميعا يتعين عليهم أن يلبسوها تأسيسا بالنبي (ص) . وقد استنكر سليمان بن سمحان أن تكون العمامة جزءاً أساسيا من لباس المسلم لأن النبي محمد كان يلبس لباس العرب المعتاد قبل وبعد نزول الوحي عليه ، ولم يرتدى شيئا يميزه عن بقية المسلمين . ويستطرد سليمان بن سمحان قائلا : "العمامة ، العبادة والقميص تدخل في نطاق الأمور المحايدة ، فالمرء لا يصيب ثواب إذا لبسها أو خطيئة إذا لم يلبسها ؛ وعليه ليس هناك داع للمقوله التي مفادها أن من يأكل كذا أو يلبس كذا يكون مبتدعا أو مرتكبا لضلالة " (١٠).

وبانتهاء المؤتمر أصدر العلماء فتوى تقول الفقرة الأخيرة منها :

بحضور الحاضرين من المسلمين أن كل هذه الأمور مخالفة للشرع ، وما أمرت بها الشريعة . وإن الذي يفعلها ينهى عنها ويؤجر ، فإن تاب وأقر بخطئه فيعفى عنه . وأن استمر على أمره وعاتده ، فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين . وأن لا يعادي ولا يصادق إلا على ما أمرت به الولاية أو حكم به حاكم الشرع . والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين . وهذا الذي ندين به ، ونشهد الله عليه (١١) .

وهنا شعر الإخوان بالرضا ؛ فقد نجحت جهود ابن سعود ، ولكن المشكله تجددت ثانية ، والسبب في ذلك أن ابن سعود لم يستطع مطلقا القضاء على المشكله من جذورها دون أن يبادر بقتل الحركه التي لم تحقق الغرض منها قبل الأوان .

(١٠) منير العجلاني ، تاريخ البلاد العربيه السعوديه ، الجزء الأول ، (دار الكتاب العربى ،

بيروت) ، بدون تاريخ ، ص ٢٨٨ .

(١١) الريحاني ، نجد ، ص ٤٣٤ .

لم تكن المشكلات التي تواجه ابن سعود كلها من صنع الإخوان ، برغم أن هذه المشكلات كانت تخصهم . فقد أدى غزو ابن سعود للأحساء إلى تحويله إلى قوة منشقة ، في حين أدت الغزوة التي قام بها في الجزء الغربي من شبه الجزيرة إلى مواجهة الملك حسين مواجهة مباشرة . وشهد اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وجود عدد من الممثلين البريطانيين في بلاط ابن سعود لمحاولة اقناعه بإعلان تحالف مع الحلفاء وفتح جبهة ضد الأتراك عن طريق الهجوم على ابن الرشيد . وفي مقابل ذلك راح البريطانيون يزودون ابن سعود كل شهر بخمسة آلاف جنيه استرليني في صورة معاش علاوة على ترسانه حقيقية من الأسلحة والذخيرة (١٢) . وبينما كان ابن سعود بحاجة إلى هذه الإعانة وبينما عبّر عن تقديره لها ، فقد كان يعلم أن هذه الإعانة مجرد نسبة بسيطة فقط من المال الذي كان يتدفق على خزائن الملك حسين . وفي اليوم الثاني من شهر أغسطس من العام ١٩٢٠ الميلادي كتب ابن سعود للسلطات البريطانية يقول :

أولا ... المندوبين الأتراك الذين يعملون من خلال أدوات الاخلاص والولاء للشريف ، فيصل . ثانيا كل جهودى للوصول إلى تسوية حبيبه مع ابن الرشيد باءت بالفشل . العلاقات مقطوعة الآن . لدينا معلومات وثيقة تماما أن الشريف أرسل سلاحا ومالاً في الآونة الأخيرة إلى حائل ، وسيصلنا المزيد من هذه المعلومات من المدينة Madina . ثالثا ، إن الكويت تتفاوض معى علائيه ، وسراً ، بأنه يخطط لتدميرى . رابعا ، الملك حسين ، وفيصل ، وابن الرشيد ، وشيخ الكويت يتظاهرون جميعا بصداقه بريطانيه ، ولكنهم يعملون بجد ضد مصالحها . ساندونى وأنا أضمن ألا أسمع برواج المؤامرات المضادة لبريطانيه بين العرب . ومن الناحية الأخرى ، إذا ما واصلتم مساواتى بأولئك الذين يخونونكم أرجو أن تبلغونى بذلك . وسوف أتوقف عن إزعاجكم بالمزيد من الإتصالات . خامسا ، أنتم تسبقون على أصدقائكم الخونه الألقاب وتمنحونهم الأراضى الخصبه . وأنا صديقكم المخلص أنظر أفقر مما كنت عليه من قبل . . . وعلى ذلك فإن دخلي كله محجوز عليه .

(١٢) تقرير عن عمليات بعثة نجد ، مكتب السجلات العامة ، وزارة الخارجية ، ١٤٤٤ - ٣٧١ .

وأنا أرجوكم أن تطلبوا إلى حكومة صاحب الجلالة زيادة إعائتي وأن تزيد من مساعدتها المالية لي . أنا لا يمكنني الإستمرار . ردوا عليّ ، علّمني كيف أقاوم وأتحمل (١٣) . (الجزء المكتوب بالخط المائل من عندياتي) .

كان ابن سعود يعرف أيضا أن المتعربين المحترفين من أمثال لورانس كانوا قد اقتنعوا بريطانيا أن الملك حسين كان هو رجل الساعة وأن ابن سعود كان مجرد ظاهرة عابرة . وفي الوقت الذي وافق فيه البريطانيون على أن ابن سعود شخصا يعد رجلا عظيما ، فقد كانوا يضعون في حساباتهم أيضا أن الدولة التي أنشأها قد تنهار بعد رحيله (١٤) . من ناحية أخرى ، فإن الملك حسين بعد أن تأثر بنجاحات البريطانيين في أوروبا وبعد أن تأثر أيضا بالمكاسب التي حققها على حساب الاتراك في الحجاز ، بدأ يتعالى على ابن سعود ، وراح يعامله كما لو كان تابعا ويستثيره هو والإخوان . لقد كان حسين واثقا أنه ، من ناحية ، قد بلغ من القوة حداً يمكنه من انزال الهزيمة العسكرية بابن سعود ، ومن ناحية أخرى ، أن البريطانيين كانوا ملتزمين بحمايته وضمان بقائه على قيد الحياة . وقد أدى هجوم حسين على قريه الخرمة ، مدينه حدوديه بين الحجاز ونجد ، إلى إشعال شرارة المواجهة التي هددت من جديد بانقلاب الإخوان على ابن سعود . فقد أصر الإخوان على أن يهبوا للدفاع عن البلدة استجابة لنداء بطلب المساعدة صدر عن حاكم البلده ، خالد بن لوى . وحاول ابن سعود ، من ناحية أخرى ، اقناع الإخوان أن الوقت لم يكن مواتيا لملاقاه قوات الملك حسين عسكريا وأن الأهم هو مهاجمه آل الرشيد في حائل . وقد نصحه مستشاروه ، وكذلك والده (١٥) ، الذي جرت العادة أن يعتز بنصيحتة ، أن يهاجم قوات الملك حسين . كان الإخوان على قناعة ، أن الملك حسين ، الذي كان

(١٣) ارسال من برقيات ابن سعود ، ١٧ أغسطس ١٩٢٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٥٠٦٤ ، الوثيقة رقم إي ١١٨٩٠ .

(١٤) لويس ، مرجع سابق ، ص ٥٢٤ .

(١٥) أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ١١٩ . راجع أيضا تقرير عن عمليات بعثة نجد ، الجزء الخامس

عشر ، حادث العزمه .

البريطانيون يدعمونه ، والذي قام بالهجوم على إخوانهم في الدين ، هو المهرطق وهو العدو ، وليس آل الرشيد الذين كانوا مسلحين متحالفين مع قوة مسلمة أخرى . واستشعاراً من ابن سعود لخطورة المشكلة ، اختكم ابن سعود مرة ثانية إلى اجتماع عام دعى إليه كل قادة الإخوان وكبار الأعيان في مدينته شقراء ، مدينته تقع في منتصف الطريق بين الرياض ومكة * . وفي شقراء ، وفي مواجهة مجموعة كبيرة من الحضر والبدو ، ومن الإخوان أعلن ابن سعود موقفه . وفي البدايه ، جعل المعارضة تتكلم . وطالبت المعارضة بزعامه فيصل الدويش ، شيخ قبائل مطير والناطق باسم الإخوان أن يقوم الإخوان بالهجوم على الإنجليز والملك حسين "الذي سلّحه الإنجليز والذي يهدد إخواننا في العقيدة في الخرمة ، أو الهجوم على العجمان ، الذي يقوم دوماً ، تحت حمايه الإنجليز ، بغزو أرضنا ويعود ومعه الغنائم دون أن ينزل به أى عقاب . إن كل ما نريده هو الهجوم على أعداء العقيدة (١٦) " .

كان ابن سعود يعلم جيداً أن الوقت لم يحن بعد لتوجيه ضربة إلى الملك حسين ، وبخاصة في الخرمة . فقد كان لا يزال بحاجة إلى أقتاع البريطانيين ، الذين بدأ الكثيرون منهم يتشككون في ولائه لقضية الحلفاء ، وكان بعض منهم أيضاً قد نشطوا في العمل من أجل تدمير روابط وعلاقات الثقة القائمة بين ابن سعود والبريطانيين :

ما هو الدليل الحقيقى الذى قدمه ابن سعود إشارة على ولائه الكامل
لبريطانيا العظمى ؟ وعلى العكس مما ورد فى برقيتى رقم ٢٠ بتاريخ
الرابع والعشرين من شهر نوفمبر من العام ١٩١٨ لسعادتكم - يبدو أن ابن
سعود قد هدد بقطع العلاقات معنا فى بعض الاحتمالات . إذا كان ابن سعود
مخلصاً تماماً لنا وصريحاً معنا فما هو أصل المعلومات المضادة له التى
وصلتنا من كل أنحاء الجزيرة العربيه من عدن إلى دمشق والتى حصلنا

* شقراء ليست منتصف الطريق بين الرياض ومكة ، إنها أقرب إلى الرياض منها إلى مكة المكرمة ، وهي لا تبعد عن الرياض بأكثر من مائتي كيلاً . (المراجع)

عليها من كل أنواع المصادر المستقلة ؟

وأنا أسلم أن من المحتمل جداً أن يكون ابن سعود يخطط "سراً" للفرار بالأرنب والاصطياد بالكلاب" ؛ والتفسير المحتمل الوحيد الآخر (وهو غير محتمل تماماً) أن تكون هناك منظومة دعائية على درجة عالية من التنظيم تعمل ضده في كل أنحاء الجزيرة العربية (١٧) .

والأهم من شك المسؤولين البريطانيين في ابن سعود ، هو أنه كان يعلم أن نجد وممتلكاته الأخرى لن تكون في مأمن إذا ما قام بالهجوم على الحجاز دون أن يسوى مشكله حائل . فقد استطاع ، بضربة واحدة ، أو بهجومه على حائل بالتحديد ، أن يثبت ولاءه للبريطانيين مع تقوية سلامة وأمن ممتلكاته في آن واحد . واستجمع كل حكمته في التعامل مع الرجال وبدأ يقتنع المجتمعين إنهم سيخدمون دينهم وبلادهم إذا ما هاجموا آل الرشيد في حائل . وفي النهاية استطاع بفضل قدرته على الإقناع ، أن يقتنع الحاضرين أن التهديد الحقيقي قادم من حائل وليس من الخرمة . وهنا تحول موقف الإجماع من العداء إلى الحماس . وبعد ذلك بشهر ، اجتمع الجميع بناء على طلب ابن سعود ، في بريده : إخوان وبدو غير مستقرين وكانوا جميعاً مستعدين للهجوم على حائل . وقد أحبطت هذه المحاولة الأولى لاختضاع آل الرشيد ، بفضل بعض عناصر القبائل الرعوية ، الموالية لأبناء الرشيد ، التي أذرتهم بالغزو ، الأمر الذي مكن آل الرشيد من تحصين أنفسهم تحصيناً آمناً داخل أسوار المدينة . ولما كان ابن سعود لا يرغب في فرض حصار طويل على المدينة قد يتسبب في فتور حماس الإخوان والقوات الأخرى ، فقد سمح لهم بسلب القبائل الرعوية ونهبها كما صادر أيضاً كل ما له قيمة لديهم ، ثم عاد بعد ذلك إلى دياره .

وهنا نجد أن ابن سعود استطاع تمرير عاصفة أخرى مع الإخوان . لقد أصبح الإخوان قوة لا بد من الاعتراف بها . كان الإخوان يعرفون أنهم ورقة ابن سعود الراحلة ، ولم يترددوا في الاستفادة من ذلك . من جانبه ، قرر ابن سعود الصبر

(١٧) برقيه العقيد ويلسون ، ٤ ديسمبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ،

المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقة رقم إي ١١٨١ .

على غطرستهم وتعاليتهم ، كما كان يبتلع لهم إتهاماتهم التي مفادها أنه كان متساهلاً جداً مع الأجانب والكفار ، في الوقت الذي كان يتعين عليه فيه أن يواجه إتهامات أعداء الإخوان له بأنه كان يحبط خططهم الجادة لمواجهة الإسلام المتشدد . ولم يستطع أحد أو أي شيء أن يحول بين ابن سعود وهدفه الأساسي : غزو حائل ؛ وإلى أن يتحقق ذلك ، فإنه لن يفعل أي شيء يجعل تلك الجماعة الوحيدة تنصرف عن تحقيق هذا الهدف له .

ثم حان موعد تحقيق ذلك الهدف بأسرع مما خططه له .

الفصل الثامن

الخرمة : بوابة الحجاز

ظلت الحرب بين كل من الملك حسين وابن سعود حربا كلامية إلى أن وقعت المواجهة العسكرية بينهما في مدينة الخرمة ، وكان البريطانيون يقومون بالتهديده من هذه الحرب في ظل مصالحهم التي تتطلب إبعاد كل من الملك حسين وابن سعود عن الحرب الساخنه . وبعد الصراع الذي دار في الخرمة أصبح موضوع تعيين ابن سعود حاكما للخرمة مسألة وقت ليس إلا ، وقد هيا الملك حسين الفرصة والذرائع اللازمة لابن سعود الذي كان يتطلع منذ زمن بعيد إلى وضع قدميه على أعقاب الحجاز .

كانت السياسة البريطانية في شبه الجزيرة تقوم على اعتبارات عدة تغيرت مع تغير الموقف الدولي :

(أ) قبل الحرب العالمية الأولى ، كان مفروضا على السياسة البريطانية أن تعترف بسيطرة الأتراك على شبه الجزيرة ، وألا تفعل شيئا يشذ عن إطار النفوذ التركي هناك .

(ب) أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان هناك تخطيط لأندلاع ثورة يقوم بها العرب في الحجاز ضد الحكم التركي في شبه الجزيرة ، واقتناع ابن سعود في وسط نجد بمقاتله آل الرشيد أعوان الأتراك .

(ج) بعد الحرب العالمية الأولى ، كان لا بد من استعادة توازن القوى في شبه الجزيرة عن طريق الإبقاء على سيادة الملك حسين على الحجاز ، وسيادة ابن سعود على وسط نجد ، وكذلك الحفاظ أيضا على آل الرشيد الذين لم يعودوا يشكلوا أي خطر ، بعد اندحار تركيا ، كنوع من التوازن بين كل من الملك حسين وابن سعود . وقد أدى الحفاظ على آل الرشيد في الشمال إلى إضافه عنصر ثالث إلى السياسة القبلية في شبه الجزيرة العربية . وقد أوضح هذا الوضع الأخير إيضاحا

تاما في رساله مشفره أرسلتها حكومه الهند إلى وزير الخارجيه في اليوم السابع من شهر يناير من العام ١٩١٨ (١) :

إبن الرشيد في وضع اليوم لا يستطيع معه أن يسبب لنا أى ضرر ويتحمل احتلال ابن سعود في حين أن استتصاله من السياسة العربيه قد يسبب لنا شيئا من الحرج . الإبقاء على ابن الرشيد سوف يساعدنا في المحافظة على توازن القوى بين ابن سعود والشريف حسين . وعليه فنحن نقترح أن يقوم كوكس Cox بالمحافظة على علاقه بابن سعود عن طريق الهدايا والمال أما مساعدة ابن سعود بالسلاح والمدربين فيجب أن تكون في أضيق الحدود تماما . إذ أننا بغير ذلك ، سنكون قد خاطرنا بإنشاء قوتين متعاديّتين في الجزيرة العربيه ولكننا أعطينا كل منهما وعدا بالمساعدة والتأييد . نحن نفهم التزاماتنا مع ابن سعود فهما جيدا ، ولا نود منه أن يلعب معنا لعبة غيرعادلة . ونحن نود أن نتحاشى احتماليه سخائنا معه إذا ما وضعناه في مركز يخل بالتوازن في الجزيرة العربيه .

وقد وصلت السياسة البريطانيّة في الجزيرة العربيه إلى مفترق الطرق في مدينه الخرمة ، ذلك المستقر الصغير نسبيا والتافه تماما ويقع على أعتاب الحجاز . وهنا مرة أخرى بدأ الموقف البريطاني يتعقد من جديد نظرا لندرة المعلومات تماما عن شبه الجزيرة بوجه عام وعن نجد بصفه خاصه . فقد رحب "خبراء" المنطقة بكل من فيلبي والعقيد ولسون على أنهما من أبطال ابن سعود ، في حين إعتبر الخبراء كلا من السير ريجنالد وينجات والعقيد لورانس على إنهما مواليين للملك حسين . وقد جاء هذا الإعتراف رسميا في تقرير سرى (٢) عن أزمة نجد - الحجاز مضى صاحبه يقول فيه :

(١) برقيه إلى السير ر . وينجات من حكومة الهند ، ٧ يناير ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٣٣٨٩ ، رقم الوثيقه ٤٤٢٣ .

(٢) الجزيرة العربيه : الصراع النجدي - الحجازي . مكتب السجلات العامة ، ١١ يناير ١٩١٩ ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، رقم الوثيقه ٥٨١٥ .

. . . . قد يقول قائل : إن نصائح الضباط المحليين تتعارض فيما يعلق باستحاله قيام حكومة صاحب الجلالة بإصدار حكم عادل عن مزايا هذه المسألة . فالسير ر . وينجات يحذرنا أن الملك حسين قد تكون استقالته أسرع من تخصيص الخرمة لابن سعود حتى ولو كان ذلك لمدة محدودة ؛ كما أوضح فيصل لنا إنه لن يتسامح مع الإحتلال الوهابي للمنطقة . ومن الناحية الأخرى إذا كانت تقارير جون فيلبي تقاريراً دقيقة فذلك يعنى أن سكان الخرمة قد اعتنقوا المبادئ الوهابية وأصبحوا يناصرون قضيه ابن سعود بمحض إرادتهم ؛ كما أن إجبارهم على الرجوع إلى ما كانوا عليه أو حتى طردهم يمكن أن يكون ملحا كريها من ملاح الإضطهاد الدينى (٣) .

والأسوأ من تضارب آراء المراقبين المهره نسبيا لمسرح الأحداث ، هو فشل الملك حسين فى أن يفهم حقيقة ضعفه فهما كاملا ، وفشله أيضا فى فهم قوه الإخوان ، فضلا عن فشله فى فهم الإشارات التى كانوا يرسلونها وإجبارهم ابن سعود على السير فى طريقهم . ولم يفهم أعداء الإخوان أنهم (الإخوان) كانوا بمثابة عنصر الإختزال بين كل من ابن سعود والملك حسين . وبينما كانت السلطات البريطانية لا تحس أى شكل من أشكال الإمتنان لابن سعود ، كان لديها رصيد كبير من حسن النيه قبل الملك حسين ، وشعورا بالإلتزام الأخلاقى نحوه أيضا . وترتيا على ذلك ، عندما هبت عاصفه الخرمة ، كان رد الفعل المباشر هو القيام بمساعدته . والمراقب النادر هو الذى كان يمكن أن يطالب بئسا بمراجعة الصورة كاملة مثلما فعل أحد الضباط :

يجب ألا تغفل الجوانب الأخرى من المشكله عندما نهب لمساعدة الملك حسين . وقد كشفت الأحداث الأخيرة أن قطاعات كبيرة من قطاعات الفكر النبوى لا تزال تنظر إليه بنفس المنظار الذى اعتادت أن تنظر به إليه منذ زمن طويل ؛ بمعنى أنه صنيعة تعتمد على مساندة البريطانيين لها وأنه (خال من ؟) من أى نفوذ اللهم من ذلك النفوذ الذى يشتريه بالذهب البريطانى . ابن سعود ، على الجانب الآخر ، يدين بمركزه القوى أيضا إلى عرقه ،

(٣) المرجع السابق .

ودينه ، وموقعه الجغرافى ، وإلى شخصيته ؛ وابن سعود لا يعتمد علينا وأنا أعترف بأننا يجب أن نحرض على ألا نتخذ موقفا عدائيا مسبقا منه ومن أتباعه ؛ وقد يكون من المطلوب ، فى هذا الصدد أن نفوض السيد / فيلبى بالذهاب إلى معسكره ويدخل فى مفاوضات مباشرة (٤) .

ومسألة الخرمة من منظور جوانب التشريع الدولى تضرب جذورها تماما فى تاريخ شبه الجزيرة لتقع فى برائن الوهابين ، والأتراك ، وكذلك مزاعم أسرة الشريف حسين وقول كل طرف بأنه صاحب الأسبقية فيها . وأيا كانت الخلافات بين الأطراف كلها ، وأيا كانت حقوقهم القانونية ومزاعمهم فإن الإخوان الأميين المتشددين لم يكونوا يعرفوا سوى شئ واحد فقط : أن قوات الملك حسين كانت تقوم بالهجوم على أخوانهم فى الخرمة وأنهم (الإخوان) كانوا مصرين على الذهاب إلى الخرمة لمساعدتهم . وبالنسبة لابن سعود الذى كان عليه أن يعمل حسابا لكل من البريطانيين والملك حسين ، لم تكن المسألة بسيطة ، وكان يود إحالة موضوع الخرمة إلى التحكيم . وقد أتضح أن غطرسة الملك حسين وجيشه أتاحا لابن سعود الفرصة كي يلعب دور الطرف المتوازن المعتدل فى الوقت الذى كانت لديه قوة ساحقه تقف إلى جواره .

والخرمة عبارة عن مدينة على شكل واحة تضم حوالى خمسة آلاف نسمة ، كان ثلاثهما من العبيد الذين اعتقهم أسيادهم أما الثلث الباقى فكان من قبيلة سبيع Subay' . يضاف إلى ذلك حوالى ثلاثمائة نسمة من الأشراف كانوا يقيمون فى الخرمة . كانت الخرمة مركزا تجاريا بين الحجاز ونجد ، كما كانت مركزا تجاريا أيضا للتجار الذين كانوا يفدون إليها من منطقتى الوشم والقصيم فى نجد . وكان خالد ابن منصور ابن لوى أمير الخرمة ، وكان خالد من الأشراف وعضوا من الأشراف ينحدر من فرع الملك حسين . وقد التزمت أغلبية السكان الحضر فى الخرمة بمبادئ الإمبراطورية الوهابية الأولى ، كما أن عددا كبيرا من هؤلاء السكان

(٤) برقية من الضابط السياسى فى بغداد إلى وزير الخارجيه ، ١٤ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ،

مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقة رقم ٩٠٢٢٢ .

الحضر راحوا يؤيدون حركة الإخوان اعتباراً من بروز ابن سعود في وسط نجد . كان خالد ابن لؤي نفسه من أولئك الذين أيدوا الإخوان وناصروهم ، وبخاصة بعد أن غضب من الملك حسين على أثر إهانتته له ، الأمر الذي جعله يضع يده في يد ابن سعود . وعندما بدأ قاضي القرية يدعو إلى مبادئ الإخوان ، أحضر الملك حسين كلا من خالد ابن لؤي والقاضي إلى مكة حيث أنبهما ثم أعادهما إلى الخرمة . وعندما علم الملك حسين أن القاضي واصل الدعوة إلى مبادئ الإخوان ، أرسل قاضياً آخر ليحل محله ، ولكن خالد ابن لؤي رفض الاعتراف بالقاضي الجديد . ثم أرسل الملك حسين بعد ذلك ، قوة عسكرية لتنفيذ أمره بتنصيب القاضي الجديد ولكن باء هذا الجهد بالفشل على أثر انتصار كل من خالد والإخوان على قوات الشريف حسين . كان ذلك هو الصراع الأساسي . لقد كان الملك حسين يمارس حقاً قانونياً عندما حاول استبدال القاضي القديم بآخر جديد ، من منظور أن الملك حسين هو الحاكم الشرعي للخرمة ، إلا أن ابن سعود لم يكن يسمح بعقاب أنصار مذهبه الديني على يدى قائد آخر دون أن يتهمه الإخوان في كل من الخرمة ونجد بالفشل في النهوض بأعباء واجبه كإمام لهم يستطيع حمايتهم . لقد أدى ذلك التغيير البسيط في الولاء الديني إلى إحداث تغيير في كل من الزعامة والسلطة المؤقتتين (٥) .

كانت الظروف التي سادت الخرمة موجودة أيضاً في تربه ، إحدى الواحات المجاورة للخرمة . فبينما كان الأشراف يمتلكون الجزء الأكبر من الأرض ، كانت أغلبية السكان من الوهابيين ، الذين كانت أكثريتهم من الإخوان . وفي مطلع العام ١٩١٧ الميلادي كان خالد بن لؤي قد حذر ابن سعود من أن الملك حسين قد قرر استعادة الخرمة وطرد زعامتها الوهابية . وفي العام التالي أرسل الملك حسين أربع حملات ، فشلت جميعها في إعادة الواحة إليه . وأمام

(٥) ستانلى وروديل وينتروب (إعداد) تطور ثورة : كتاب ت . إي - لورانس الأولى عما بعد

الحرب ، (مطبعة جامعة بنسلفانيا الحكوميه ، ١٩٦٨) ، ص ٦٧ .

إنشغال قوات الشريف حسين بحصار المدينة Medina لم يكن في استطاعة الملك حسين أن يوفد جيشاً كاملاً إلى الخرمة . وبعد سقوط المدينة بوقت قصير ، أرسل الشريف عبد الله ، نجل الملك حسين ، برقيه إلى ابن سعود يبلغه فيها بانتصاره ، واختتم البرقيه بإشارة إلى الحقيقة التي مؤداها أن الإنشغال السابق مع الاتراك في المدينة لم يعط حكومة الشريف حسين الفرصة كي ترتب شئونها الداخلية ترتيباً كاملاً ، ومع ذلك فإن أولئك الذين حاولوا إفساد القبائل وتخريبها سوف يتم محاسبتهم (٦) . ورداً على تلك البرقيه أرسل ابن سعود برقيه قصيرة أكد فيها للشريف عبد الله انه لا يريد سوى السلام وأنه يود الوصول إلى تفاهم بشأن مسألة القبائل (٧) ، رد عليها عبد الله برسالة حميده عبّر فيها عن "أحر تحياته لابن سعود ، ولأبنائه وللاخوان" . وكان مرفقاً بتلك الرسالة ملحق ودى إلى حد ما جاء فيه : "إني أخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز أن تفرق بينكم وبين والدي أمور البادية التي لا أهمية لها .. وكيف يمكن أن يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربيته والخرمة والبادية ؟ ها أنا متوجه إلى مكة فأرجوكم أن ترسلوا أحد رجالكم وأن ارتأيتم أن يكون أحد أباخالكم فذلك أولى ، وأنا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد (٨) " .

وبعد أن تسلم ابن سعود الرسالتين ، علم أن عبد الله كان قاصداً تربيته ، فكتب إلى ممثل الحكومة البريطانية في العراق الذي رد عليه قائلاً : إن التقرير كان مجرد

(٦) الريحاني ، نجد ، ص ٢٤٤ ، للإطلاع على نص الرسالة .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، للإطلاع على نص الرسالة .

(٨) المرجع السابق .

شائعة لا غير (٩) . ثم كتب ابن سعود مرة ثانية إلى البريطانيين مؤكدا لهم أن المعلومات التي وصلتته دقيقة ، وأن الهدف من كتابته إليهم لم يكن الشكوى أو الخوف ، إنما أراد أن يعلمهم بأخطار مواجهه محتملة . ولم يرد البريطانيون على هذه الرسالة أو على رسالة ثالثه أخرى مماثلة .

ورداً على تحرك عبد الله في اتجاه تربيه أصدر ابن سعود أمره إلى فرقه من الإخوان ، تضم ١١٠٠ * من القوات المنقولة على الجمال ، بالتحرك إلى الخرمة وتربيه لحماية الناس فيهما . وأصدر أوامره إلى ابن بجاد باتباع خطه دفاعيه لا خطه هجومية . ومسانده للإخوان ، أرسل ابن سعود مجموعة من الجواسيس لاستطلاع تحركات عبد الله والتأكد إن كان قاصداً إلى مكة أو إلى تربيه . ونقلنا عن الريحاني ، فقد أبلغه عبد الله بعد ذلك أنه لم يكن ينوى الذهاب إلى الخرمة وأنه حاول اقناع والده بذلك ، ولكن نظرا لأن الملك حسين ، كان كبير العائلة الهاشميه فقد أمر ابنه عبد الله بتنفيذ أوامره (١٠) .

وبينما كان عبد الله يقترب من تربيه ويجمع التذعيمات على طول الطريق إليها ، تسلم ابن سعود معلومات عن تحركات الشريف عبد الله ، جعلته يكتب له ما يلي :

(٩) من المحتمل أن يكون البريطانيون قد صدقوا أن التقارير التي أرسلت عن الحمله التي قام بها عبد الله على تربيه كانت مجرد شائعات . راجع الملاحظة التي كتبها النقيب جارلند عن نزاع الخرمة ، ١١ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقه رقم ٩١٥٢١ : "كان المستشارون البريطانيون على الجانبين (العراق - مصر) يخشون أن ينتهى التحرك غير المدروس الذى قام به عبد الله لا بد أن ينتهى حتماً إلى صدام مع القوى المنافسه ، ومن المحتمل تماماً إنه لو قدر لـ عبد الله أن يبقى في المدينته لما حدثت الكارثه الحاليه . الواقع أننا لو كنا قد عرفنا نوايا الأمير الحربيه الحقيقيه لكنا قد أعترضنا عليها بشده بدلا من مجرد أعترضنا على عدم صلاحيتها " .

* عند الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ص ٢٤٦ أن عدد القوات (ألف ومتي هجان) . (المراجع)

(١٠) الريحاني ، نجد ، ص ٢٤٦ .

"قد تحقق عندي خلاف ما أخبرتني به سابقاً أي أنك عائد إلى مكة المكرمة ، والظاهر أنك مهاجم تربة والخرمة . وذلك مخالف لما أبدىتموه للعالم الإسلامي عموماً ، والعربي خصوصاً . وأعلم رعاك الله أن أهل نجد لا يخذلون أخوانهم وأن الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء . نعم وأن عاقبة البغي وخيمة . خير لك إذن أن تعود إلى عشيره . وأنا أرسل إليك أحد أبنائي أو إخوتي للمفاوضة فتم الأمور ما يرغب به الفريقان إن شاء الله (١١) " .

وفي اليوم الثالث من شهر يونيو من العام ١٩١٩ الميلادي أرسل ابن سعود رسالة منفردة إلى العقيد باسيت Bassett ، ممثل بريطانيا في جده ، أوضح فيها موافقته على إحالة موضوع الخرمة وتربه إلى التحكيم ، وأنه أعرب ، في نفس الوقت ، عن احترامه لتصوص المعاهدة المبرمة بينه وبين الحكومة البريطانية . وأوضح ابن سعود "إنه لن يكون مسئولا إذا ما قام هو (حسين) بالعدوان ؛ وكنت أنتظر رداً على إشارتي طوال شهر كامل ، ولكني لم أتلّق رداً إلى اليوم ، كما أن رجال القبائل التابعين لي لن يقوموا بأي تحرش أو عدوان إلا بعد أن يكون هو (الشريف) قد قام بالشيء نفسه وتصبح تصرفاته مع أهل نجد مناقضة للقانون والمنطق ، نظرا لأن سفك الدماء ، ونهب الممتلكات كان مستمرا برغم كتاباتي له بأن ينسحب إلى حدوده ، وعندئذ سأفعل الشيء نفسه تحاشيا للتورط إلى أن يتم تسوية المنازعات وترسيم الحدود عن طريق التحكيم عن طريق حكومة صاحب الجلالة ؛ وبرغم ذلك لم أتلّق منه رداً . من ناحية أخرى ، هو يقول إنه لم يكن ينوي تجميع هذه القوات للهجوم على تربة والخرمة ، وإنما كان ينوي الهجوم على الرياض والأحساء وتدمير الخوارج ، يقصد بذلك سكان نجد . إن الدليل الذي يدعم أقوالى موجود في المعاهدات والرسائل التي وقعها بخط يده والرسائل التي أرسلت

إلى من أعدائي وأحتفظ بها (١٢) .

يشير ابن سعود هنا إلى رسالة شفهيته كان الشريف عبد الله قد أرسلها عن طريق أحد المراسلين بعد أن وصل ابن سعود إلى تربه وأنشأ فيها معسكرا . وبعد وصوله إلى تربه بوقت قصير ، أرسل ابن سعود برسائل إلى مختلف القبائل والقرى المجاورة يطلب إلى زعمائها الحضور إلى تربه خلال ستة أيام وإلا فإن عبد الله وقواته سوف سينزلون بهم الخراب والدمار . وأرسل عبد الله إلى ابن سعود التحذير التالي : "أخبر الخوارج (١٣) ومن لف حولهم في القرنين بما جرى ، قل لهم أننا سنكفيهم مؤنة القدوم إلى تربه - قل لهم ما جئنا تربه من أجل تربه والخرمة فقط .. سنصوم في الخرمة ان شاء الله وسنعيد عيد الأضحى في الأحساء (١٤) " وعقب استلام الرسالة المكتوبة والرسالة الشفهية من عبد الله تعالت أصوات الأخوان بصرخات الحرب ، بدلا من الخوف والاتصياح اللذان كان عبد الله يتوقعهما منهم ، فراحوا يصيحون : "هبت هبوب الجنة وین انت يا باغيها .. إياك نعبذ وإياك نستعين !"

وقبل صلاة العشاء بساعة واحدة كان الإخوان قد بدأوا مسيرتهم فعلا في اتجاه معسكر عبد الله ، يرافقهم أربعمائه مقاتل آخرين إنضموا إلى الفرقة الرئيسية . كان

(١٢) ترجمه خطاب من الشيخ السير عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى العقيد باسيت ، ٣ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٤٧ . الشخص الذي ترجم هذه الرسالة لوزارة الخارجية أتى بترجمه مرتبكه ولا تتفق مع الترجمات الموجودة لدى قسم المحفوظات الخاص بتلك الفترة .

(١٣) المعنى الحرفي هو : المتمردون ، الثوار ، الأجانب ، بمعنى أولئك الناس الذين يأتون من الخارج . استذكر ابن سعود قائلا إن عبد الله كتب له رسالة جاء فيها : "إن قبيلة عتيبه جزء منا ونحن جزء منها ، ولعلمك يا عبد العزيز ، إن هذا قائم قبل زمن طويل من مجيئك أنت وأجدانك إلى نجد" . (راجع الريحاني ، نجد . ص ٢٤٨) .

(١٤) مضمون هذه الملاحظة أن عبد الله وقواته يمكنه أن يجتاز نجد إلى المنطقة الشرقية بسرعة .

الريحاني ، نجد ، ص ٢٥٣ .

عبد الله ، كعادته (١٥) قد نام في فراشه ، وسمح لمعسكره وجنوده أن يفعلوا الشيء نفسه ، دون أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة . وفي ضوء النصر السهل المرتقب في تربه ، زادت غطرسة الأمير عبد الله أكثر فأكثر مما جعل الريحاني يسجل ما مفاده أن عبد الله أمر إما بقطع رأس واحد من البدو أحضر إليه رسالة تقول : إن الإخوان كانوا قد بدأوا هجومهم ، أو ضربه حتى الموت ، والأمر هنا متروك للشكل الذي وردت عليه رواية القصة (١٦) . وعلى أية حال ، فقد وصل الإخوان إلى معسكر الشريف عبد الله ، ثم قسموا أنفسهم إلى ثلاثة جماعات : مجموعة الخيالة ، منها مجموعة بقيادة خالد بن لؤي والأخرى بقيادة ابن بجاد . ووجهوا ضربه كامله مفاجئه اثار الرعب والفرع في الجيش الهاشمي (الشريفى) الأمن . وفي البدايه ، لقي اللواء النظامى الأول من الجيش حتفه ؛ ثم قاموا بعد ذلك بضرب اللواء الذى كان متمركزا بالقرب من خيمة عبد الله ، وقتلوا الجنود جميعا ؛ وأخيرا ، تسابق الإخوان بلا تَوَانٍ إلى المتاريس التى كانت تستر المدفعية ، وبدأوا يذبحون الضابط الذى أوثقوه بسلسلة إلى قطعه المدفعية التى كان يستعملها (١٧) . وقطعت الخياله طرق الهروب الأمر الذى ترتب عليه عدم هروب أى أحد سوى عبد الله ومعه بعض الضباط الذين أفلحوا فى الهروب ، وهم يرتدون ملابس النوم (١٨) . أما تلك القوات التى لم يتم الإجهاز عليها أثناء القتال والتى استطاعت أن تجد لنفسها ملاذا فى قلعة المدينة فقد تم الإجهاز عليها فى اليوم التالى . وقد وصف

(١٥) ملاحظه أوردها النقيب جارلند عن نزاع الخربة ، ١٥ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقه رقم ٩٥٨٤٠ .

(١٦) الريحاني ، نجد ، ص ٢٥٤ .

(١٧) الريحاني ، نجد ، ص ٢٥٦ .

(١٨) ملاحظه أوردها النقيب جارلند عن نزاع الخربة ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقه رقم ٩٥٨٤٠ . "جدير

بالملاحظة أنهم بـرغم تلقيهم انذارا مسبقا عن الهجوم الليلي ، فإن ضباط الجيش

النظاميين هربوا وهم يرتدون ملابس النوم . . . "

مذبحة تربه أحد شهود العيان ، وهو صبي فى الخامسة عشر من عمره * ، وصف تلك المذبحة للريحاني بعد وقوعها بخمس سنوات فقال : رأيت الدم في تربه يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء . ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن طحت من الشباك . ومن أعجب ما رأيت يا استاذ . رأيت الأخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون للقتال (١٩) ١

لا شك أن الإخوان ، هم الذين ارتكبوا مذبحة تربة . ومع ذلك ، فإن لقاء اللوم على كاهل كل من ابن سعود والإخوان أمر يقبل الجدل . فلو أن الملك حسين لم يكن يدري مدى المحرقة التى ساق إليها ابنه وقواته ، فإن البريطانيين كانوا يعرفون ذلك . لقد كان البريطانيون على علم برغبة ابن سعود فى اللجوء إلى التحكيم . كانوا يعرفون ذلك إلى حد أن ابن سعود كان يود أن يظل زعيما لنجد إلى حد أنه كان تحت سيطرة الإخوان الذين كانت لديهم مبررات كافية لمطالبتهم بالسماح لهم أن يهبوا لمساعدة إخوانهم فى الدين . وكان الضباط البريطانيون على اختلاف أنواعهم قد غطوا القضية تغطيه كامله أمام الحكومة البريطانية من جوانبها التاريخيه والإدارية والدينية ، علاوة على تقديرات حقيقية مفادها أن الإخوان لن يقفوا مكتوفى الأيدى إزاء المحاولات التى كانت تجرى الواحدة تلو الأخرى ، لطرد الزعامة الوهابيه من الخرمة . أخير ، لقد كان البريطانيون على علم مسبق بأن عبد الله قد خطط للهجوم على الخرمة ، كما هو واضح من البرقية المشفرة التالية ، التى أرسلت إلى وزارة الخارجيه :

شفرة . السير ر . وينجات (القاهرة) ١٥ يناير ١٩١٩ .

إشارة إلى برقيتى المؤرخة الرابع عشر .

* هو الشريف "عون بن هاشم" يسوق الريحاني : "اجتمعت به في جده ، في رحلتي الثالثة إليها ، وهو يومذاك في العشرين من سنه . فقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة" . تاريخ نجد ، ص ٢٥٦ . (المراجع)

(١٩) الريحاني ، نجد ، ص ٢٥٦ .

نتوقع من الملك حسين ، أن يقوم بعد الجلاء عن المدينة مباشرة ، بتدعيم شاكرك وأن يصدر إليه تعليمات وأوامر بالهجوم على الإخوان والخرمة ويقوم أيضا باحتلال ذلك المكان . وإذا ما اتخذ من هذا العمل سببا من الأسباب الداعية للحرب وشجع الإخوان على القيام برد فعل فسوف نشهد قتالا على نطاق واسع في وسط الجزيرة العربية . وأنا أرى أن أفضل فرصة تحول دون ذلك هي أن نجعل ابن سعود يفهم أننا لا نعارض الإجراء (الشريفى ؟) في الخرمة ؛ وأنا أتصح بإرسال أمر رسمى حسبما اقترحت في برقيتى المذكورة آنفا وأن يرسل ذلك الأمر على وجه السرعة . كما تؤكد المعلومات التى أوردتها في برقيتى المرقومه ٤٨ أن ابن سعود بدأ يتآمر مع فخرى ، كما أن آمال الأول في الحصول على معاونه من الأخير قد تلاشت ، الأمر الذى قد يجعله يذعن لمطالبنا (٢٠) .

وفي شهر نوفمبر من العام ١٩١٨ الميلادى ، كتب فيلبى استنتاجا لتحليل مطول للنزاع النجدى - الحجازى ، جاء فيه ما يلى :

... ومهما كانت المزايا المعنوية ، للنزاع القائم بين الشريف حسين وابن سعود على الحدود بينهما ، فإن التصرفات التى أتاها الشريف حسين طوال العام الماضى قد أفقدته تعاطف أهل الخرمة معه إلى الحد الذى جعلهم لا ينصاعون لحكمه تحت أى ظرف مهما كان ، ومن هنا يمكن لنا أن نتصور حساسية الموقف الذى سيواجه حكومة صاحب الجلالة فى المستقبل القريب . من ناحيه أخرى ، إذا رفضت حكومة صاحب الجلالة المسئولية الثقيله الملقاه على عاتقها فى تحديد قرارها الخاص بالنزاع وفرض هذا القرار ، فإنها ستجد نفسها عند الطرف الآخر من المصيبه ، إذا ما تعين عليها تحديد موقفها فى حالة اندلاع الاشتباكات بين الشريف حسين وابن سعود ، وأنا أرى أن هذه الاشتباكات ستكون أمرا لا مفر منه وستكون لها نتائج بعيدة الأثر (٢١) .

(٢٠) برقيه من السير ر . وينجات (القاهرة) إلى وزارة الخارجيه ، ١٥ يناير ١٩١٩ ، مكتب السجلات

العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقه رقم ٩٧١٠ .

(٢١) تقرير عن عمليات بعثه نجد ، الجزء ١٥ ، ص ٣٥ .

وبرغم التقارير التى أرسلها كل من فيلبى والمسئولين البريطانيين الآخرين ، وبخاصة تلك التقارير التى وردت من المكتب السياسى فى بغداد ، يبدو أن السياسة البريطانية كانت تسمح للملك حسين بمواصلة سياسته الرامية إلى إعادة الاستيلاء على كل من الخرمة وتربة اللتان قرر البريطانيون أنه له حق شرعى فيهما . ويمكن لنا أن نقف على الآمال التى كان البريطانيون يتطلعون إليها ، وكذلك التقديرات المبنية على الرأيين المتعارضين اللذين أوردناهما آنفا من الملخص الذى أعده مكتب الهند عن ذلك الموقف فى شهر يناير من العام ١٩١٩ الميلادى :

من الصعب أن نصدق أن ابن سعود لن يدرك ، فى ظل الموقف الحالى فى الجزيرة العربية ، ضرورة الحفاظ على السيطرة على رؤوسه الساخنة . ويجب ألا يغيب عن البال ، أننا إذا لم ننجح فى وقف الصراع ، فإن النتائج قد لا تكون بنفس الخطورة التى نتصورها فى بعض الأحيان . إن خبرتنا الماضية بالعمليات الحربية بين العرب توضح أن نتائج مثل هذه العمليات لا تكون دوما صارخة أو حاسمة والعمليات البطولية التى دارت بين ابن سعود وابن الرشيد تعد مثالا على ذلك ؛ وعمليات الحجاز التى تدور حول الخرمة مثال آخر على ذلك . . . (٢٢)

وقد أوضحت كل من الخرمة وتربة المدى الذى وصل إليه سوء تقدير البريطانيين للإخوان بأن ساووا بينهم وأسلوبهم فى الحرب وبين أسلوب البدو القديم فى القتال . من هنا ، فإن فشل الحكومة البريطانية فى فرض عقوبات على الملك حسين لمنعه من القيام بحل عسكرى للمشكلة قبل محاولة تسويتها سياسيا يضع شيئا من اللوم على عاتق الحكومة البريطانية نفسها . فقد كانت الحكومة البريطانية تستغل كلا من الملك حسين وابن سعود لتحقيق أهدافها الحربية فى شبه الجزيرة ، وبخاصة احتواء القوة التركية فى المنطقة ، وشغل القوات التركية والضباط الأتراك الموجودين على الجبهة فى الجزيرة العربية حتى لا يتفرغون للعمل على الجبهتين الأوربية وجبهة الهلال الخصيب اللتان لهما طابعاً استراتيجياً

(٢٢) الجزيرة العربية : الصراع النجدى - الحجازى ، ص ٤ ، مخطوطات ، وزارة الخارجية .

أكثر من الجزيرة العربية . وما أن تحقق هذا الهدف ، وبعد هزيمة الأتراك مباشرة ، قررت الحكومة البريطانية أن تسمح بإنغماس الملك حسين وابن سعود فى التطورات الداخليه التى أسفرت عن مواجهه الدمويه فى تربه ، وذلك طبقا لما توضحه التعليمات الدفاعيه التاليه التى أرسلت للسير ر . وينجات :

لقد أخذت حكومة صاحب الجلاله الموضوع كله بعين اعتبارها فى ضوء التطورات الأخيرة وبخاصة استسلام المدينه Medina ، التى تلقينا خبر استسلامها منذ فترة وجيزه . وقد وصلت الحكومة إلى استنتاج مفاده أنه فى ظل الظروف التى تغيرت فإنها لن تجنى شيئا حاليا نتيجة التدخل فى النزاع القائم بين الملك حسين وابن سعود . وبناء عليه فقد ألغيت التعليمات الخاصة بتوجيه إنذار إلى الأخير وليس هناك داع لإتخاذ أى إجراء بشأن البرقيتين اللتين أرسلتهما بتاريخ ١٣ ، ٢٤ ديسمبر . وإذا ما اتضح ، فى أى وقت من الأوقات ، أن ابن سعود أو أتباعه يهدد مكه أو أى منطقة أخرى من مناطق الحجاز فإن حكومة صاحب الجلاله نفسها مضطرة مع مثل هذا الحال ، أن تتخذ الخطوات اللازمه للحفاظ على الوضع الراهن (٢٣) .

ويسجل كثير من الكتاب ، من بينهم الريحانى وعبد الحميد الخطيب ، فى **الأمام العادل** ، أن ابن سعود بكى عندما وصل إلى تربه وشاهد المذبحة المروعة . وعندما صاح الإخوان مطالبين "بالتقدم إلى الطائف" طلب إليهم ابن سعود أن يرضوا بما ارتكبوه وبما كسبوه . وبدلا من ذلك ، عاد ابن سعود إلى نجد غير عابئ بمستشاريه الذين أبلغوه أن الإخوان لم يكونوا على استعداد للتقدم صوب الحجاز فحسب وإنما كانوا على استعداد لغزوه والاستيلاء عليه بلا أى مشاكل . كان من رأى ابن سعود أن تربه سقطت سريعا جداً ؛ وقد نتج كل ذلك عن تصلب الملك حسين وعناده وعدم قبوله بالحلول الوسط . عند هذا الحد ، وبعد كل ما حدث ، كان ابن سعود بحاجة إلى أن يتأمل بحق تلك الحادثه التى وضعتة هو والإخوان فى

(٢٣) برقيه مشفره إلى السير ر . وينجات (القاهرة) ، ١٧ يناير ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ،

مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقه رقم ٢٣٩٠ .

دائرة الضوء العالميه . ولم تكن مشاعر ابن سعود كلها فيضا من التعاطف . إذ لم ينس مطامحه وأهدافه النهائية : الاستيلاء على الحجاز . وعلى كل حال ، لو يقيم بذلك العمل الآن ، قد يسفر فقط عن تدخل القوات الأجنبية لإنقاذ الملك حسين . وكان من رأى ابن سعود إنه إذا ما انتظر فترة أطول فقد يرتكب الملك حسين خطأ آخرًا ويعطى ابن سعود مبررا آخرًا لإطلاق الأخوان عليه مرة ثانية .

وجاءت هزيمة تربه سلفا لهزيمة الطائف . فما أن وصلت أنباء مذبحة تربه إلى الطائف حتى أصيب سكانها بالرعب والخوف . وبدأ أفراد الأسرة المالكة والأعيان والتجار الذين كانوا قد ذهبوا إلى المنتجع الصيفي في الطائف ، يعودون إلى مكة من جديد . وطالب المسئولون البريطانيون الذين كانوا يشعرون بالتزام أدبي نحو الملك حسين ، يطالبون بالتدخل العسكري ؛ وطالب القناصل الأجانب البريطانيون بفرض عقوبات عسكرية ، واقتصادية ، ومالية على ابن سعود ، بل إن الحكومة البريطانية نفسها في حالة من الجنون المؤقت الذي لم تستطع معه أن تهتدى إلى ما يجب أن تفعله . بدأت أولا بإصدار قرارات تهدد بها ابن سعود ، ثم راحت تغير تلك القرارات بعد ذلك ، سعيًا منها إلى عدم تكدير موقفها معه .

وفي كل الأحوال ، لم تعد القضية قضية ابن سعود وإنما قضية الإخوان . وأصبحت المسألة الأساسية تتركز في مقدار الضغط الذي يمكن أن يمارسه ابن سعود على الإخوان حتى يتمكن من السيطرة عليهم ، وبفرض أن ابن سعود كان على استعداد لذلك ، فما هو مدى استجابة الإخوان لنصيحته لهم بعدم المضى قدما في الغزو . وإذا ما نحينا ذلك جانبًا ، نجد أن الحكومة البريطانية كانت مضطرة إلى مراجعه الموقف برمته ، وإعادة تقييم المشكله في ضوء التزاماتها قبل الطرفين وفي ضوء مصالحها الخاصة في المنطقة . وكانت أولى النتائج الواضحه لكارثه تربه المفاجئه هي تدمير جيش الملك حسين تدميرا كاملا وكان من غير المعقول إعادة بنائه من جديد في المستقبل القريب ، إن لم يكن على الإطلاق . وقد أوجز النقيب جارلند ذلك الأمر ايجازا دقيقا عندما كتب إلى اللبى في القاهرة ليقول له :

إنه لشئ مؤسف ، أن تنهزم قوات الشريف حسين هزيمة منكرة في كل

اشتباك يقع بينها وبين الإخوان . ولقد بدد جيش الأمير عبد الله الآمال التي كان الضباط البريطانيون يعقدونها عليه ، وبخاصة أولئك الضباط الذين خدموا مع ذلك الجيش أثناء الحرب . وبعد عامين ونصف العام من خبرة الحرب ، نجد أن هذا الجيش يفشل في أول محك له ، وبرغم تزود هذا الجيش بالكثير من المدافع والرشاشات فقد فشل فشلا ذريعا في الوقوف ضد عدو غير مدرب لا يتسلح سوى بالبنادق (٢٤) .

وجاء ضياع نفوذ الملك حسين على القدر نفسه من الأهمية التي ترتبت على تدمير جيشه . وقد بدأ الملك حسين يعاني من ضياع ذلك النفوذ بين البدو في الحجاز والسبب في ذلك أنهم إنحازوا إلى الملك حسين لأن حكمه كان أقل تقشفا ، ولأنهم أيضا كانوا يستطيعون الضغط عليه للحصول على المزيد من الإعانات ، ولأنهم أيضا كان بوسعهم أن يتجاهلوا بوقاحه تلك القيود التي كان الملك حسين يضعها على غزو القبائل بعضها لبعض ، في الوقت الذي كان لا يزال بوسع هؤلاء البدو استغلال قوافل الحجاج . وعلى كل حال ، وعند هذه المرحلة ، فإن قلبه قليله جداً ، إن لم يكن أحد ، من القبائل هي التي كانت تود أن يقبض عليها وهي متلبسة على الجانب المنهزم ، وعندما بدأ دعاة الإخوان يشقون طريقهم بين مناطق القبائل وفي المدن الصغيرة والواحات الموجودة على حدود الحجاز ، اكتشفوا أن البدو كانوا أكثر تجاوبا بل إن البعض منهم كان على استعداد أن يصبحوا إخوانا . وإذا كان دعاة الإخوان (٢٥) قد خرجوا من الخرمة قبل الهزيمة التي نزلت بالأمير عبد الله في تربه ، وإذا كانوا قد حققوا العديد من حالات استهزاء البدو ، فإن دعاية الإخوان ونشاطهم بعد النكسه أصبح أكثر جرأة وأكثر إنتاجا . وفي شهر يونيو من العام ١٩١٩ الميلادي كان الأمير عبد الله قد أبلغ العقيد ولسون في جده أن دعاية الإخوان أصابت قدرا من النجاح يتعذر معه على القبائل أن تهب لمساعدة

(٢٤) النقيب جارلند ، مذكره عن الخرمة ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد

٤١٤٦ ، الوثيقة رقم ٩١٥٢١ .

(٢٥) برقيه من ولسون ، ١٩ فبراير ١٩١٩ ، السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد

٤١٤٤ ، الوثيقة رقم ٢٧٢٨٣ .

الملك حسين فى حالة حدوث هجوم آخر فى الحجاز . وكان من رأى الأمير عبد الله أيضا أن ابن سعود لن يتقدم بعد ذلك صوب الحجاز إلا بعد أن تكون جميع قبائل جنوبى الحجاز قد إنضمت إلى حركته (٢٦) .

وقبل الإطاحة بجيش الشريف حسين فى تربه ، كان الملك حسين قد أرسل قائمة بمطالبه إلى ابن سعود ، عن طريق البريطانيين ، وصرح انه ما لم يتم تنفيذ تلك المطالب ، فإنه سوف يرسل قواته للهجوم على الإخوان . وكان من بين المطالب التى أرسلت إلى ابن سعود ، انسحاب الاخوان جميعهم من الحرمه ، و "تسريح كل الحشود الإخوانيه على اختلاف أنواعها خلال خمسة وثلاثين يوما ؛ وبخاصة تلك الحشود الموجودة فى الغطط ، والأرطاوية (جزء غير مشفر) - ومنع أى اتصال بين هذين المكانين وعتيبه (٢٧) " . كما طلب الملك حسين إلى الحكومة البريطانیه وقف المساعدات الشهرية التى تعطىها لابن سعود دعما لهذه المطالب (٢٨) .

وبعد الهزيمة الساحقة التى نزلت بالامير عبد الله فى تربه ، كان من المنتظر أن يكون الملك حسين أكثر تقبلا لتسويبه تقوم على المفاوضات حول مشاكله المعلقة

(٢٦) برقيه من ولسون ، ١٠ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، رقم الوثيقة ٨٦٩٨٦ .

(٢٧) برقيه من السير ر . وينجات ، القاهرة ، ٦ ديسمبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٣٣٩٠ ، رقم الوثيقة ٢٠٢٠٩٨ .

(٢٨) فيلبى ، العربيه السعوديه ، ص ٢٧٨ . ورد فى هذا الكتاب أن لجنة اللورد كيرزون الوزاريه كانت قد وافقت على وقف المعونه ، وأن برقيه بهذا المعنى كانت قد أرسلت إلى السير أرنولد ولسون ، الذى "أعمل ذكاءه" عندما شاهدهما وقرر "الاحتفاظ بالرسالة الخطية فى جيبه " ونسى كل شئ عنها" . وعلى كل حال ، فهذا للكلام غير دقيق . وقد أوصى ولسون ، نفسه ، بعدم تجديد المعونه . (راجع البرقيه المرسله من أ . ت . ولسون ، فى ٤ مارس ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، رقم الوثيقة ٣٤٦٦١) . من الواضح أن ابن سعود كان قد أبلغ بذلك نظرا لأنه كتب فى اليوم السابع والعشرين من شهر يونيو من العام ١٩١٩ " . . . لنا لا أستحق أن أعانى كل هذه المعاناه . . . ولكن . . . لن يؤثر ذلك على وضعى المالى . . . " (مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٧ ، ١٩ يوليو ١٩١٩ ، =

مع ابن سعود ، أو أن يحاول معالجه المشكلات بالطرق الدبلوماسية ، أو باللياقة . وبدلاً من كل ذلك ، راح الملك حسين يسبب الكثير من المتاعب وسلسلة من المطالب التي جعلت البريطانيين يبتعدون عنه . ففي إطار مذكرة مفككه (٢٩) وغير مترابطة ، موقعه من ابنه الأمير فيصل والتي ربط فيها الملك حسين بين الحركة الوهابية والبلشفيه من ناحية والحركات التخريبية في آسيا ، من الناحية الأخرى ، والتي إدعى الملك حسين فيها بأنه ليس متشدداً ، وإنما "حرّض على قتل الوهابيين ، مهما كان نجاح الوسائل الأخرى" ، طالب الملك حسين في هذه المذكرة أن يقوم البريطانيون بتنفيذ الخطوات التالية . ومن يقرأ تلك المذكرة يظن أنها إنذار صادر عن منتصر أكثر منها التماسا يطلب فيه المنهزم العون والمساعدة :

- ١ - التجنيد العاجل . سأبدأ فيه فوراً .
- ٢ - احتلال بريطانيا العظمى شاطئ الأحساء .
- ٣ - تقوم بريطانيا العظمى على وجه السرعة بإرسال قوه عسكريه إسلاميه إلى الحجاز برغم جميع الصعوبات .
- ٤ - يجب إرسال الطائرات إلى الخرمة قبل التعزيزات الأخرى ، لمنع وقوع أية كوارث أخرى .
- ٥ - يجب إبلاغى بالتطورات الجارية في مسألة استيراد الدبابات . فمتى تصل الدبابات إلى مصر ؟ وتاريخ إرسالها إلى جده . وبيان بالقوه العاملة عليها .
- ٦ - تجميع كل معدات الحرب في مستودع خاص حتى لا يترتب على

= رقم الوثيقة ٢١٨٠٩) . ورداً على رد ابن سعود ، كتب الضابط السياسي في بغداد يقول : "صاحب الجلالة يعرب عن رضاه عن التصرف الذي قامت به سعادتكم عندما عدتم بقواتكم إلى الرياض . لقد وجهولي باستمرار دفع المعونه لكم بعد أن كانت قد توقفت بصورة مؤقتة" . (مخطوطات ، المجلد ٤١٤٧ ، رقم الوثيقة ٢١٨٠٩) .

(٢٩) ترجمة مذكره عن الازمه الوهابية من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقة رقم ١٠٨١٩٤ .

ذلك أى تأخير فى قيام الحملة . وأنا أقترح أن من الضرورى إرسال المؤن والتدعيمات بصورة متدرجة وعلى فترات قصيرة .

ومع مطلع شهر يناير من العام ١٩١٨ الميلادى كان لدى الملك حسين حُلَيْن بَسِيطِين آخرين لنزاع نجد - الحجاز . فقد كتب الملك حسين يقول :

"إن مسألة الخرمة ترجع إلى ابن سعود ، ومن السهل حلها على النحو التالى . يتعين على بريطانيا العظمى قطع العلاقات مع ابن سعود . . . " (٣٠) وربط الملك حسين هذا الحل بالتهديد بالاستقالة ما لم تنفذ تلك "التوصية" ، وتضغط بريطانيا على ابن سعود لأن يصدر أمرا للاخوان باخلاء الخرمة . وبعد ذلك بعام ، لم يحالفه الحظ خلاله بإقناع البريطانيين بقطع العلاقات مع ابن سعود ، أصر على تهديده بالاستقالة ، مما جعل أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية البريطانىة يرفق الملاحظة التالىة بخطاب التغطية المرفق بالرسالة التى تشتمل على ذلك التهديد الجديد : "فى نفس الوقت ، أصبحت تهديدات الملك حسين المستمرة بالاستقالة رتيبة وربما كان من الأفضل أن نوافق له على ما يريد ونسأله عن يود تعيينه خلفا له (٣١) . ومرة أخرى أخذ الملك حسين ، العدو اللدود لابن سعود ، يزرع فكرة الاستقالة فى أذهان أولئك الناس الذين كانوا يبذلون الجهود لمساعدته . وأخذ المكتب السياسى فى بغداد تهديدات الملك حسين بالاستقالة مأخذ الجد بأن نوه إلى أن "استقالة الملك حسين ، يمكن أن تكون أفضل ما يمكن عمله على المدى الطويل ؛ فربما تسهل انسحاب ابن سعود ، وقد تؤدي إلى تسوية الخلاف (الخلافات) بين نجد والحجاز ، لأن السبب الرئيسى فى كل الموقف الحالى هو اللقب الذى يحمله الملك حسين. (٣٢) .

(٣٠) برقيه من الملك حسين إلى الأمير فيصل ، ١٨ يناير ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقه رقم ١٠٤٤٨ .

(٣١) برقيه مشفره إلى وينجات ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقه رقم ٢٣٩٠ .

(٣٢) المكتب السياسى ، بغداد ، ١٤ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة =

وبرغم تضاعل تأثير آليات الملك حسين على ما تبقى له من أصدقاء قليلين جداً ، إذ خطى هؤلاء الأصدقاء خطى ايجابيه نحو مساعدته . فقد نصحت الحكومة البريطانية ابن سعود بكلمات قوية تماماً أنه ما لم يسحب إخوانه من منطقة الحجاز ، فإن استمرار احتلاله لهذه المناطق يمكن تفسيره على "إنه اتخذ موقف العداء المباشر منها (٣٣) " .

وأخذت الحكومة البريطانية مسأله إرسال قوات إسلاميه للدفاع عن الأراضي المقدسة مأخذ الجد (٣٤) ، واتخذت الترتيبات لإرسال العديد من الطائرات إلى منطقة الحجاز . ومع ذلك ، فقد أدرك المراسلون الموجودون في المنطقة أن الطائرات قد لا تحل المشكله . وكان من رأى ولسون Wilson "أن مسألة إرسال الطائرات أمر حتمى تعبيراً عن اهتمامنا بمساعدة الملك حسين ، برغم أنى لا أصدق أن طلعات الطيران قادرة على وقف ما بين ٢٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ من الإخوان الذين على درجة عاليه من التشدد الدينى . وقد يؤثر وصول الطائرات على سكان المدن وقد

= الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقه رقم ٩٠٢٢٢ .

(٣٣) من وزير الداخليه إلى المفوض المبنى ، بغداد ، ٣٠ مايو ، ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ،

مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقه رقم ٨٣٢٤٢ .

(٣٤) مع مطلع شهر يناير من العام ١٩١٩ الميلادى ، كان مكتب الحرب البريطانى يدرس إمكانيه إرسال قوات إسلاميه ، ولكن نقلا عن ملخص سرى عن صراع نجد - الحجاز بتاريخ ١١ يناير من العام ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقه رقم ٥٨١٥ . فإن هذه الفكره "تبدو غير مرغوب فيها تماماً ومن المعلوم انها تم إسقاطها من الحساب" . وفى اليوم الحادى عشر من شهر يناير ١٩١٩ ، كان الأمر ، رغم كل ذلك ، لا يزال قيد البحث . (الوثيقه رقم ٨٦٠٨٥ المجلد ٤١٤٦ ، ١١ يونيو ، ١٩١٩ ، نظراً لأن اللجنه الشرقيه كانت قد أبدت الفكرة فى الوقت الذى كان مكتب الهند يعترض عليها : "لقد ساندنا الملك حسين ، فى مختلف الأحوال والظروف ، ولا بد أن نؤيده ونسانده الآن . وإذا ما أصر مكتب الهند على اعتراضاته . . . فلا بد أن تسمح للفرنسيين بالذهاب إلى هناك . . . " وفى مناقشه جرت مع ولسون ، أعرب الممثل الايطالى كافاليري برنابى عن رأى مفاده أن حركه الإخوان لا بد من إحتوائها وأعطى انطبعا مفاده أن ايطاليا تبحث عن ذريعه ترسل على إثرها قوات ايطالية إلى هناك (برقيه عن المحادثات التى جرت مع كافاليري برنابى ، ٨ يناير ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، المجلد ٤١٤٤ ، الوثيقه رقم ١٢٨٣١) .

يغري العرب المترددين بالإنضمام إلى الأمير عبد الله (٣٥) " . وصدر قرار إرسال الطائرات رغم اعتراضات مكتب الهند ، استنادا إلى قوة الدفاع سابق الذكر الذى أورده ولسون . ومع ذلك ، فقد حصل مكتب الهند على تأكيدات بأن الطيارين الذين سيختارون لمرافقه تلك الطائرات ستكون لديهم الخبرة الكافية التى تمكنهم من تحاشي المخاطر غير الضرورية التى تنتج عن "عدم دقه القصف الجوى المؤكدة (٣٦) " . ومع ذلك ، فقد ظل مكتب الهند يعارض فكره إرسال قوات إسلاميه ، باعتبارها قوات مصاحبه للطائرات أوقوات للإشتراك فى القتال والمعارك .

وفى الوقت الذى كان يجرى فيه اتخاذ هذه الترتيبات الدقيقة ، كان ابن سعود قد أفرغ الشجار من المشكله بأن عاد إلى نجد : وهنا نجد أن رؤيته وجهته إلى اتخاذ القرار الصحيح . فهجومه على الحجاز يمكن أن يؤدى فقط إلى أن تصب بريطانيا جام غضبها عليه وعلى الإخوان ، ويعطى دليلا على صدق اتهامات الملك حسين لهم بأنهم يشكلون تهديدا للسلم فى شبه الجزيرة . وأدى انسحاب ابن سعود إلى ترك المبادأة فى أيدي كل من البريطانيين والملك حسين ؛ فإذا ما أرادوا الحرب فهو على استعداد لها ، غير أنه لن يتسبب فيها . واستطاع ابن سعود أن يقدر الشكل الذى سيكون عليه الموقف البريطانى ، لقد كان الموقف واحداً من مواقف التنفيس على وجه التحديد ، لم يتعجل ابن سعود فيه الحصول على المنافع . وترتبيا على ذلك ، فإن العام الذى بدأ بتهديدات الشريف حسين بإزالة الإخوان من الخرمة خلال يومين ، شهد تدمير جيش الشريف حسين بحلول فصل الصيف . وعندما حل الشتاء كان البريطانيون يتشاورون بشأن المفاوضات مره ثانيه . وقد كرس البريطانيون جهودهم لإقناع الملك حسين انه ما لم يصل إلى تسوية عن طريق التفاوض مع ابن سعود ، فإن محاولة البريطانيين للمطالبه بسحب الإخوان يمكن أن تؤدى إلى انفجار جديد تتم فيه هزيمة قوات الملك حسين من جديد . أما

(٣٥) برقيه من اللواء اللنبى إلى وزارة الخارجية ، ١٠ يوليو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ،

مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقة رقم ٨٦٨٠٥ .

(٣٦) برقيه من مكتب الهند ، هوايت هول ، ١٣ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ،

وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقة رقم ٨٨٣٧٤ .

فيما يتعلق بمقترحات الملك حسين التي تقضى بتدخل البريطانيين ، "فلا أحد يعلم أفضل من صاحب الجلالة أن القوات البريطانية لن تهب لمساعدته . وأنه سيكون آخر من يدعوهم أو يتوقع منهم أن يقوموا بذلك . وفي مثل هذه الظروف ، قد يكون من قبيل الجنون والحماقه أن نحدث تقدما لا يكون أمام جلالته وسيلة لمقاومته . . . إن مصالح الحكومتين واحدة في حقيقة الأمر ، بمعنى أن من مصلحتهما أن تتحاشيا أية كارثة من هذا القبيل ، وعن طريق الاتفاق بين الطرفين القويين المعنيين ، يمكنهما التوصل إلى حالة من السلم والوحدة في شبه الجزيرة العربية (٣٧) .

وبناء على ذلك دُعي نجل ابن سعود ، فيصل ، لزيارة لندن ليناقش مشكلة نجد - الحجاز ضمن مسائل أخرى ، ليمثل والده الذي رفض الدعوة بسبب ضغوط الأعمال الداخلية . وانتهت زيارة فيصل البالغ من العمر أربعة عشر عاما ، إلى لندن عندما صدرت تعليمات إلى العقيد ولسون ليلتقى الملك حسين في جده لإجراء بعض المناقشات . وتم تجميد مشكله الحجاز بصورة مؤقتة في ذلك الحين . فقد أصبح ابن سعود معزولا تماما في وسط نجد ، ولكن إخوانه كانوا يقفون حراسا على أبواب الحجاز أقوى من ذي قبل .

(٣٧) برقيه من وزارة الخارجية ، إلى العقيد ولسون ، ١ ديسمبر ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٧٧ ، الوثيقة رقم ١٥٦٧٤٢ .

القسم الثالث

اندحار الإخوان

الفصل التاسع

الإخوان على الساحة الدولية

دفعت الظروف التي أدت إلى أحداث الخرمة والمواجهة العسكرية التي ترتبت عليها في تربية حركة الإخوان إلى الساحة الدولية . حتى ذلك الحين ، كان تهديد الإخوان ، وقوتهم المتزايدة وذيوع صيت تعصبهم الديني لا يعنى سوى تلك الفئة الصغيرة من رجال الاستخبارات ورجال السياسة البريطانيين المحترفين ، وكذلك تلك المجموعة النادرة من الغربيين غير البريطانيين الذين أصبح لهم اتصال بشكل أو بآخر بالجزيرة العربية ، أقصد بذلك ، الدبلوماسيين والرحالة . وفي أغلب الأحوال كانت تطورات الإخوان تجرى مناقشتها ضمن الأحاديث الخاصة للمستويات العاليه فقط بين كل من الملك حسين ورعاياه البريطانيين . وطالما كان نشاط الإخوان العسكري مقصورا على المنطقة الداخليه من نجد ، كان احتمال انبثاق خطر عنه في حكم القضايا الأكاديمية إلى حد كبير . وكانت مسألة استهداف فرق الإخوان للعناصر القبلية لإدخالها في "الطاعة" ، ومسألة انتشار نشاط الدعوة بين البدو على أيدي الدعاة الوهابيين الجسورين ، ومواصلة انشاء الهجر التي لا تنتهى من قبيل التطورات البعيدة عن إدراك الجميع باستثناء قلة قليلة من المراقبين المحترفين للمسرح في الجزيرة العربية . وكان كبار المسؤولين البريطانيين ، مع بدايه حركه الإخوان ينظرون إليها باعتبارها ظاهرة دينية داخلية لا تهدد رفاه المجتمع الدولي أو المصالح البريطانية ، بغض النظر عن المدى الذي وصلت إليه سمعتها الكريهة (١) .

أدت أحداث تربية إلى تغيير كل ذلك ! ونظرا لتركز الإخوان على أعقاب الحجاز ، فقد أصبحوا خلال عشرينه أو ضحاها واقعا مذهشا أمام العالم الخارجى .

(١) رسالة من السير ريجنالد وينجات ، ٣ أكتوبر ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٣٣٩٠ ، الوثيقة رقم ١٧٧٥٩٦ . راجع خطاب التغطية الخاص بالتدوين .

فقد أصيب البريطانيون بدهشه شديدة إزاء ضخامة الكارثة ، فى حين وصلت إلى الحجاج المسلمين والتجار الأجانب فى الأراضى المقدسة وكذلك المدن الساحليه أول الأخبار عن وحشيه الإخوان عن طريق الشراذم المتبقيه من جيش الملك حسين المهزوم . وبحكم الجوار الجغرافى ، استشعر القناصل الأجانب فى جده ، مسلمين ومسيحيين على حد سواء ، ذلك التهديد ، وبدأت الحكومات المُستَلِمة ، مثل حكومة الهند ، تراقب باهتمام بالغ التطورات التى كانت تجرى فى الأراضى المقدسة الإسلاميه .

وقد اقترح ، كما سبق أن نوهنا ، كافاليرى برنابى ، الممثل الايطالى فى جدة ، بعد أن أزعجته المضامين التى ترتبت على انتصار الإخوان ، اقترح على العقيد ولسون القيام بتدمير حركة الإخوان عن طريق القيام بحملة إنجليزيه - فرنسيه - إيطاليه مشتركة على نجد تتطلق من البصره وجدة فى آن واحد (٢) . وفى مكه ، كان الملك حسين يصف شَبَح الإخوان بأنه تهديد يقف البلاشفه من ورائه ، وقد تردد ذلك الوصف بطريق المصادفه ، إن لم يكن بصورة متعمدة فى التقارير المواليه التى كان بعض الضباط السياسيين البريطانيين يرسلونها .

ومع مطلع العام ١٩١٨ الميلادى ، أعرب نائب القنصل الألمانى عن قلقه إزاء الصراع الدائر بين البدو بما فيهم ابن بجاد (٣) وعناصر أخرى داخل قبيله عتيبه رفضت أن تتحول إلى حياة الإخوان ، وبحلول العام ١٩٢٢ الميلادى كانت تقارير الاستخبارات الفرنسيه قد تعقبت نشاط الدعوة الإخوانيه الذى وصل إلى سوريا (٤) . ومع ذلك فقد كان البريطانيون هم الذين استشعروا وطأة قوة الإخوان ، لأن البريطانيين هم الذين أنابوا أنفسهم للوقوف ضد الإخوان نيابة عن المجتمع الدولى . وهنا شعر البريطانيون بالارتياح لأن ابن سعود لم يتعجل الحصول على

(٢) محادثه العقيد سى . آى . ولسون مع كافاليرى برنابى ، مرجع سابق .

(٣) حل شفره برقيه من السير ر . وينجات (القاهرة) ، ٨ يناير ١٩١٨ ، مكتب السجلات العامه ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٣٣٨٩ ، الوثيقه رقم ١٠٦٧ .

(٤) تقييم الجيش الفرنسى للحركه الوهابيه ، ٣١ أغسطس ١٩٢٢ ، مكتب السجلات العامه ، مخطوطات ،

وزارة الخارجيه ، المجلد ٧٧١٥ ، إي ١١١٨٧ / ٢٤٨ / ٩١ .

المزايا عن طريق القيام بحملة عسكرية على الحجاز ، ومع ذلك لم يقف البريطانيون مكتوفى الأيدي . وبدأوا بدلا من ذلك سياسة جديدة من سياسات التآمر : بدأوا يتوددون من جديد إلى ابن الرشيد ويجمعون بينه وبين الملك حسين في تحالف حتى يشكلوا توازنا مضادا في مواجهة ابن سعود . كما كان البريطانيون على استعداد أيضا لتزويد عدوهم القديم بالمساعدات (٥) .

لم يكن الاستغناء عن ابن سعود أمراً وارداً . فقد عاد إلى نجد راضيا بعد الانتصار الذى حققه فى تربه ، لأنه كان يعلم أن هجومه على الحجاز سوف يضطر البريطانيين الى التصدى له عسكريا ، ومن ثم يرجئ إلى أجل غير مسمى ، إن لم يدمر إلى الأبد ، حلمه بغزو الحجاز والاستيلاء عليه . يضاف إلى ذلك أن ابن سعود ، كانت له مشاكل كبيرة مع الكويت فضلا عن آل الرشيد فى حائل لا يزالون بمثابة شوكة فى جانبه . ولكي يوازن ابن سعود انحياز البريطانيين إلى آل الرشيد بدأ يتصل بالفرنسيين فى دمشق (٦) . كان ابن سعود مسرورا من معارضة الفرنسيين حكم الأمير فيصل ابن الملك حسين فى دمشق ؛ وبحلول العام ١٩٢٢ كان عملاء الاستخبارات البريطانية قد حصلوا على تقرير عن معاهدة سرية أبرمت بينه وبين الفرنسيين يدفع له الفرنسيون بمقتضاها إعانة كبيرة ، ويزودونه بكميات كبيرة من الأسلحة مقابل استمرار هجماته على قبائل الحجاز الموالية للحاكم الهاشمي هناك ، وعلى عرب شرق الأردن الذين كانوا تحت حكم أخيه عبد الله (٧) . وبرغم أننا لم نسمع بعد ذلك شيئا مفصلا عن التحالف السعودى - الفرنسى ، فقد بادر البريطانيون إلى فهم أن مثل ذلك التحالف يمكن أن يغير ميزان القوى تغييرا جذريا فى الشرق العربى . ومع قيام الحكومة البريطانية بإعادة تقييم مؤلمه لسياستها الموالية للشريف حسين ، فإن احتمالية قيام دولة سعودية بمساندة

(٥) حل شفرة برقيه للنبي المرسلة من القاهرة ، ٩ يونيو ١٩١٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٤١٤٦ ، الوثيقة رقم ٨٥٩٨٠ .

(٦) أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٧) وجهه نظر محايدة عن معاهدة فرنسية مزعومة مع ابن سعود ، ٢٠ سبتمبر ١٩٢٢ ، مكتب السجلات العامة البريطانى ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٧٧١٤ ، الوثيقة رقم إى ٩٥٦٥ .

فرنسيه عَجَلَتْ بِإِتْخَاذِ بَرِيطَانِيَا قَرَارًا حَاسِمًا بِأَنْ تَظَلَّ عَلَى الْحَيَادِ بَيْنَ حَاكِمِ الْحِجَازِ وَسُلْطَانِ نَجْدٍ : وَاعْتَبَارًا مِنْ أَحْدَاثِ تَرْبِهِ بِدَأْتِ السِّيَاسَةِ الْبَرِيطَانِيَةِ تَتَّخِذُ طَابِعَ عَدَمِ التَّدْخُلِ فِي النِّزَاعِ طَالَمَا بَقِيَ ذَلِكَ النِّزَاعُ شَأْنًا دَاخِلِيًّا بَيْنَ الْحَاكِمِينَ ، الَّذِينَ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا صَدِيقًا لِلتَّاجِ الْبَرِيطَانِيِّ .

وَبَيْنَمَا كَانَ ابْنُ سَعُودٍ يَحَافِظُ عَلَى إِيقَاعِ خِيَارَاتِهِ السِّيَاسِيَةِ وَالْعَسْكَرِيَةِ مَفْتُوحَةً ، كَانَ الْإِخْوَانُ مَشْغُولِينَ بِلَعْبِ دَوْرِ الْعَامِلِ الْمُسَاعِدِ فِي الرِّجِّ بِالْمَشْكَلَاتِ الْكَامِنَةِ إِلَى الْمَقْدَمَةِ . كَانَ الْمَوْقِفُ الْمَعَادِي دَوْمًا الَّذِي وَقَفَهُ الشَّيْخُ سَالِمٌ ، حَاكِمُ الْكُوَيْتِ وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ الْمَشْكَلَاتِ الْمَزْمَنَةِ . وَبَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ مَبَارَكٍ ، الرَّاعِي الْأَسَاسِي لِابْنِ سَعُودٍ فِي الْكُوَيْتِ ، وَبَعْدَ وَفَاةِ جَابِرِ بْنِ الشَّيْخِ مَبَارَكٍ ، الَّذِي خَلَفَهُ ، قَامَ الشَّيْخُ سَالِمٌ ، شَفِيقُ الشَّيْخِ جَابِرٍ ، وَحَاكِمُ الْكُوَيْتِ الْجَدِيدِ ، بِزِيَادَةِ حِدَّةِ الْخِلَافَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي كَانَ لَا يَدَّ مِنْ وَجُودِهَا بَيْنَ ابْنِ سَعُودٍ ، بِوَصْفِهِ حَاكِمًا لِنَجْدِ الْمَجَاوِرَةِ لِلْكُوَيْتِ ، وَأَيُّ حَاكِمٍ آخَرَ مِنْ حُكَّامِ الْكُوَيْتِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْوُدِّ وَالصَّدَاقَةِ الَّتِي يَتَطَلَّعَانِ إِلَيْهَا . فَلَمْ تَرْضَ أَيْةُ حُكُومَةٍ مِنْ حُكُومَاتِ الْكُوَيْتِ عَنْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَاكِمٌ وَاحِدٌ قَوِيٌّ يَتَحَكَّمُ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا ، سِوَاءَ كَانَ مِنْ آلِ الرَّشِيدِ أَوْ مِنْ آلِ سَعُودٍ أَوْ مِنْ الْأَشْرَافِ . وَلَمَّا كَانَتْ الْكُوَيْتُ مَدِينَةً تَجَارًا وَحَرْفًا ، فَقَدْ كَانَتْ تَعْتَمِدُ عَلَى تَدْفُقِ الْبَضَائِعِ وَالتَّجَارِ عَلَى الْمَدِينَةِ . فَضْلًا عَنْ اعْتِمَادِ جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ اقْتِصَادِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عَلَى التَّهْرِيبِ . وَقَدْ تَسَبَّبَتِ الْخِلَافَاتُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ فِي مَنَعِ حُكُومَةِ الْكُوَيْتِ التَّجَارَ النَّجْدِيِّينَ مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ (٨) ، وَفِي الْمَقَابِلِ قَامَ زَعَمَاءُ الْإِخْوَانِ بِمَنَعِ جَمِيعِ "الْمُسْلِمِينَ الْحَقِيقِيِّينَ" مِنْ شُرَاءٍ أَوْ ابْتِيَاعِ جَمِيعِ الْمُنْتَجَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي مِنَ الْكُوَيْتِ أَوْ عَنْ طَرِيقِهَا ، أَوْ أَنْ يَقُومُوا حَتَّى وَلَوْ بِمَجْرَدِ زِيَارَةِ "مَدِينَةِ الْخَطِيئَةِ" فِي الْخَلِيجِ إِلَى أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ تَرَاخِيهَا فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَتَعُودَ إِلَى الْمَسَارِ الْإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ . وَقَدْ أَعْلَنَ الْإِخْوَانُ الْكُوَيْتِ مَرْتَعًا لِلْخَطِيئَةِ وَكَانَ يَجْرِي احْتِجَازُ الْمَسَافِرِينَ الْعَابِرِينَ الْقَادِمِينَ مِنْ مَدِينَةِ الْكُوَيْتِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ عَدَمِ تَلَوُّثِهِمْ عَقْدِيًّا نَتِيجَةً لِاتِّصَالِهِمْ بِالْمَوَاطِنِينَ الْكُوَيْتِيِّينَ ، قَبْلَ أَنْ يُسَمَّحَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْطَاوِيَّةِ . وَازْدَادَ تَفَاقُمُ الْعِلَاقَاتِ

(٨) سُلْسَلَةُ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، الْجُزْءُ الْعَاشِرُ ، مَذْكُرُهُ الْقَائِمُ بِعَمَلِ الْمَفُوضِ الْمَدَنِيِّ فِي بَنْدَادٍ ، ١٠ مَآيُو

١٩١٩ ، مَكْتَبُ السَّجَلَاتِ الْعَامَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ ، مَخْطُوطَاتُ ، وَزَارَةُ الْخَارِجِيَّةِ ، الْمَجْلَدُ رَقْمُ ٤١٤٧ .

بين كل من نجد والكويت نتيجة قيام الشيخ سالم بمساندة قبيله العجمان ، العدو الحقود اللدود لآل سعود ، الذى لم يثق به ابن سعود مطلقا . فقد تظاهرت قبيله العجمان مرتين بالولاء المخلص لابن سعود ، وخانتة مرتين (٩) . وأقسم ابن سعود على معاقبتهم عقابا شديدا . وقد أفضت مساعدة الشيخ سالم لقبيله العجمان إلى تآكل كل ما تبقى من أمل فى إحداث مصالحة بين هذين الرجلين .

نشبت الخلاف عندما أرسل الشيخ سالم قوة من رجاله لإجبار الإخوان من قبيله مطير فى موقع اسمه قريه على ترك المستقر من منطلق أن قريه كانت من الأراضى الكويتية . وأعقب ذلك نشوب العديد من المعارك ، التى كان أشهرها معركة الجهراء التى حدثت مع الاخوان فى اليوم العاشر من شهر اكتوبر من العام ١٩٢٠ الميلادى ، بقيادة فيصل الدويش الذى خرج منها منتصرا . وقد أدت حشود الكويتيين وربما الهجوم الضارى الذى قام به الاخوان على المدينه نفسها إلى إرسال بعض السفن المدفعية إلى المياه الكويتيه لوضع الطيران فى موقف الاستعداد ، فى إشارة قوية منهم إلى التزامهم بالدفاع عن المَحْمَى والحفاظ عليه (١٠) . وعلى أية حال ، أدت عمليات الإخوان العسكريه هذه إلى إخلاء تلك المنطقة إلى الأبد من الرعاه الكويتيين وقطعانهم ، كما نتج عنها أيضا أن أصبحت تلك الأراضى جزءاً لا يتجزأ من نجد ومعترف به دوليا بناء على اتفاقيه الحدود التجديده - الكويتيه التى أبرمت فى العقير فى اليوم السابع من شهر ديسمبر من العام ١٩٢٢ الميلادى (١١) . وجاءت تلك الإتفاقيه بمثابة الحد الإقليمى الأول الذى وافق ابن سعود أن يفرضه على نفسه .

وبعد تسوية المشكله الكويتية ، قاد ابن سعود جيوشه بعد ذلك فى هجوم على عاصمه آل الرشيد فى حائل . وعلى العكس من معركة تربه التى حدثت فى الغرب

(٩) فيلبى ، بعثه نجد ، ص ١٢ .

(١٠) الريحانى ، نجد ، ص ٢٧٤ .

(١١) مجموعة المعاهدات من العام ١٣٤١ - ١٣٥٠ هجرية الموافق ١٩٢٢ - ١٩٣١ ميلادية ، الطبعة

الأولى ، عام ١٣٥٠ ، وزارة الخارجيه العربيه السعوديه ، ص ٦ - ٧ . مطبعه أم القرى بمكة

المكرمة ، وزارة الخارجيه ، مكة المكرمة .

ومعركة الجھراء التى دارت فى الشرق ، واللّتان اشترك الإخوان فيهما ، فإن الجيش الذى هجم على حائل لم يشتمل على أية وحدة من وحدات الإخوان . وعلى كل حال ، فإن قوات الإخوان ، تحت قيادة فيصل الدويش للمرة الثانية ، نهضت بأعباء توفير عنصر كراهية الأجانب الذى حول المعركة إلى حرب صليبية دينية فضلا عن كونها أيضا صراعا عسكريا - سياسيا . أضف إلى ذلك ، أن قبيلة شمر كانت من زمن طويله هدفا من الأهداف التى تحدت للهداية ؛ هذا بالإضافة إلى النزاعات العائلية المأساوية بين أهل الرشيد التى أسفرت عن قتل الأشقاء بعضهم بعضا ، كل ذلك أدى إلى زيادة اتكشافهم وتعرضهم إلى ما قبل قيام قوة ابن سعود العسكرية الموحدة بدق أبواب المدينة المسورة . وسقطت المدينة بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما ، عانت خلالها آلام وويلات حالة الحرب طوال مدة تزيد على عام كامل . وفى اليوم العشرين من شهر نوفمبر من العام ١٩٢١ الميلادى وافق ابن سعود على استلام المدينة . ولم يسمح للإخوان بالإحتياج فى أنحاء المدينة ، أو نهبها . وعين ابن سعود أحد السكان حاكما على حائل ، وذلك فى محاولة منه لتقليل من أوجاع الهزيمة . وترك ابن سعود المدينة تعود من جديد إلى نظامها الروتينى القديم وتكيف نفسها لتصبح جزء من ممتلكات ابن سعود .

أدى سقوط حائل إلى فتح كل من الجوف ، ووادي السرحان ، ومناطق سكاكا - مناطق قبائل الرواله - أمام هجمات الإخوان . كان الدعاة من الإخوان قد وضعوا بذرة عقيدتهم فى تلك المنطقة من قبل ، ومع سقوط مدينه حائل ثارت بعض عناصر السكان على رئيسها نوري شعلان ، وأرسل ابن سعود فيلقا من الجمال يضم مائه رجل لمساعدة تلك العناصر . وأضطر بعض الزعماء الشعاليين الآخرين إلى ترك المنطقة والرحيل عنها ، وسقطت المنطقة فى أيدي الإخوان دون إراقه دماء (١٢) . وبعد أن وصل الإخوان إلى الأطراف الشماليه لشبه الجزيرة ، وبعد أن أصبحوا يسيطرون تماما على وادي السرحان ، الذى كان بمثابة طريق سريع يؤدي إلى وسط شرق الأردن ، بدأت خيالاتهم تطل على كل من فلسطين وسوريا .

(١٢) برقيه من المفوض السامى على فلسطين ، ٢٨ يوليو ١٩٢٢ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ،

وزارة الخارجيه ، المجلد ٧٧١٤ ، الوثيقة رقم ٨٢٧٨ .

وفى الوقت الذى كان فيه السير هربرت صامويل ، المفوض السامى البريطانى على فلسطين ، لا يشعر بأى تفاؤل قبل فرض إستعادة تلك الأراضى بقوة السلاح نيابة عن الأمير عبد الله فى شرق الأردن ، أثار مخاوفها أن الدعاية الوهابية التى بدأت تظهر فعلا فى شرق الأردن بدأت تشكل بالفعل خطرا حقيقيا على فلسطين (١٣) . كما أدرك فيلبى أن سقوط الجوف كان أمرا واقعا لا بد من التسليم به ، ولكنه حَضَّ الحكومة على تحاشي "سياسة الإنجراف التى يمكن أن تعرض منطقته شرق الأردن حتما إلى تسلل الوهابيين إليها وإعمال الفوضى فيها (١٤) " . وقد حذر فيلبى من ذلك قائلا :

إحتلال ابن سعود المؤكد للجوف يحتم قراءة تفاصيل السياسة الهاشمية بدقة ، تلك السياسة التى بنت عليها حكومة صاحب الجلالة موافقتها الرسمية . إن قرب الواحه من مدينه الأزرق عن طريق وادى السرحان وقربها من كل من تبوك ومعان ، وهما محطتان على خط حديد الحجاز ، يضع ابن سعود فى موقع يستطيع معه شل الإدارة فى كل من الحجاز وشرق الأردن ، اللذان تعلم حكومة صاحب الجلالة تماما ، أنهما يقومان على أسس ضعيفه تماما (١٥) .

ولم يترك الإخوان حدود شرق الأردن تنعم بالهدوء فترة طويلة . فقد قامت قوة من الإخوان قوامها ١٥٠٠ فرد ، بعد غزو حائل بفترة قصيرة ، بمسيرة قياسية من وسط نجد (١٦) إلى قلب شرق الأردن أنزلوا خلالها الدمار بالمدن القريه من عمان وقتلوا بلا هوادة الأطفال الذكور والكبار . وقام البريـطانيون بمطاردتهم

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) برقيه من فيلبى عن الحركة الوهابية ، ٣ أغسطس ١٩٢٢ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ٧٧١٤ ، الوثيقه رقم ٤٠٧٣٣ .

(١٥) المرجع السابق .

(١٦) أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ يحدد الإخوان على أنهم بدو من حاربوا فى شقراء ؛ نصر ،

مرجع سابق ص ١٦٧ ، يقول أنهم إخوان من عتيبه واساجر .

بالبطائرات ، والمركبات ، والعربات المدرعة وأهلكوا القسم الأكبر منهم . ولم يتبق من الألف وخمسمائة الذين قاموا بالمسيرة سوى ثمانية أفراد فقط هم الذين عادوا وعاقبهم ابن سعود فور عودتهم على القيام بغزو لم يرخص لهم به .

وواجه الإخوان البريطانيون مرة أخرى ! فقد كان من رأى الإخوان أن أولئك "الشياطين المسيحيين" موجودين فى كل مكان : فهم يحمون سالم ، أمير الكويت ، وهم الذين انقذوه من تلقى العقاب العادل على أيديهم ؛ وهم الذين أخافوا إمامهم ابن سعود ، الذى كان يخشى القوة البريطانية وضياع معونه سنوية مقدارها ٦٠٠٠٠ جنيه استرليني . وهم الآن ، يرون الإنجليز على أعتاب شرق الأردن حماة عسكريين للأمير عبد الله الذى أنزلوا به الهزيمة بالأمس فى تربة .

ومع ذلك ، واصل الإخوان تقدمهم ، طبقا للنمط المعتاد ، الذى كان يعتمد على وصول الدعاة الوهابيين قبل وصول الفرق العسكرية. وبحلول شهر يوليو من العام ١٩٢٣ الميلادى وردت تقارير عن نشاط هؤلاء الدعاة فى استهداف الناس فى دمشق (١٧) . وفى شهر أغسطس من ذلك العام دفعت التقارير التى وردت عن وصول نشاط الإخوان إلى سيناء ، ونستون تشرشل الذى كان آنئذ وزيرا للدولة لشئون المستعمرات ، أن يطلب إلى وزارة الخارجية أن تستفسر من محافظ سيناء عن انتشار حركة الإخوان فى ذلك الإقليم . ورد عليه اللبى فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر أن قوة قوامها ١٥٠٠ من الوهابيين تقول التقارير عنها إنها موجودة بالقرب من العقبة وتتقدم صوب الشمال ، وجاء فى الرد أيضا أن اللبى أجاز استخدام القوات البريطانية والمصرية فى التدخل إذا ماتطلب الأمر ذلك (١٨) .

وقد أسفرت الهجمات التى قام بها الإخوان على جيرانهم فى الشمال عن اتفاق إنجليزى - نجدى بشأن الحدود اتخذ شكلا رسميا عاما فى الاجتماع الذى انعقد فى

(١٧) برقيه من القنصل بالمر فى دمشق ، ٣ يوليو ١٩٢٢ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٧٧١٤ ، الوثيقة رقم إى ٧٣٦١ .

(١٨) برقيه من المفوض السامى على فلسطين ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٧٧١٤ ، الوثيقة رقم ٨٢٧٨ ، ١٩٢٢ .

العُقير ، وتمت الموافقة عليه رسميا في المؤتمر الذي انعقد في الهدا في اليوم الثاني من شهر نوفمبر من العام ١٩٢٥ .

وبذلك يكون ابن سعود قد دعم جانبيه من ناحيه الشرق والشمال ، برغم أن ذلك جاء على حساب شعبيته مع الإخوان . ولما كان ابن سعود سياسيا محنكا ، فقد كان يعرف حق المعرفة أن الوجود البريطاني في كل من الكويت ، العراق والأردن كان يقوم على مصالح قيمة لا يمكن للبريطانيين ان يتخلوا عنها بسهولة . ولكن الإخوان لم يفهموا ذلك ، ومن ثم لم يتفهموا القيود التي فرضتها القوة البريطانية . كما كانوا ينظرون إلى الاتفاقات التي أبرمها مع البريطانيين حول ترسيم الحدود ، على أنها أمثلة على الإهتمام الذي كان يوليه النصارى . وأيا كان إستياء الإخوان ، وطالما أن الجائزة النهائية - الحجاز - لا تزال قيد المطالبة بها ، فإن ذلك كله يبرر إبعاد الإخوان عن مشكلات الحدود . كان ابن سعود ، بعد أن تمت تسوية كلا من الشأن الكويتي والشأن الأردني ، ميالا للهجوم على الحجاز . وآتت سياسة الصبر التي انتهجها ابن سعود أكلها ، ليس في حل مشكلتي حائل والجوف فحسب وإنما لأن الملك حسين قد تسبب خلال تلك الفترة في تدني شعبيته كما خسر تماما تعاطف البريطانيين معه ومساندتهم له . وتحولت المصالح البريطانية ، من سياسة موالية للملك حسين ، إلى موقف محايد ثابت من النزاع الداخلي بين الملكين ، الذي كان كل منهما صديقا للتاج البريطاني . يضاف إلى ذلك ، أن نجلى الملك حسين : عبد الله الذي كان أميراً لشرق الأردن وفيصل الذي أصبح ملكا للعراق تحررا من وهم السياسة المثالية ، ولكن غير العملية تماما التي كان والدهما ينتهجها .

من هنا لا يمكن أن يساورنا أي شك في أن ابن سعود منذ أن تقلد السلطة في الرياض في العام ١٩٠١ * الميلادي كان ينوي استعادة الحجاز باعتباره إرثا شرعيا وحقا بكوريا له . وقد أوضح عن ذلك في الكثير من تصريحاته العامة والخاصة . في ذلك الوقت كان الطريق إلى الحجاز مفتوحا أمامه ، وكان كل ما يحتاج إليه هو مجرد سبب من الأسباب الداعية للحرب . وتطابق الشكل مع الموضوع ، وأعطى

* من المعروف أن فتح الرياض حدث في العام ١٩٠٢ الميلادي (المترجم) .

الملك حسين ابن سعود العديد من الأسباب الداعية للحرب ، ليس أقلها إضفاء لقب **خليفة** على نفسه ، بعد أن قام أتاتورك بإلغاء الخلافة في تركيا ؛ وكذلك إطلاقه على نفسه لقب ملك العرب ، وأخيرا منعه الإخوان من الحج من منظور أنهم كانوا يشكلون تهديدا حقيقيا لسلامة الحجاج الأجانب . ومع استمرار الملك حسين في توسيع قائمة استفزازاته ، التي لم تغضب ابن سعود شخصيا فحسب ، وإنما أغضبت الإخوان جميعهم أيضا ، واصل الإخوان ضغطهم على إمامهم إلى الحد الذي لم يستطع معه مقاومة مطالبهم . وعلى كل حال ، فقد كان ابن سعود ، في ذلك الوقت ، لا يميل إلى مقاومتهم .

وفي اليوم الخامس من شهر يونيو من العام ١٩٢٤ الميلادي (١٩) ، ترأس عبد الرحمن ، والد ابن سعود ، مؤتمرا حضره علماء نجد ، رؤساء القبائل ، الإخوان وكبار الشخصيات القبلية . وبعد أن نوه عبد الرحمن إلى أنه تسلم من الإخوان عددا كبيرا من الرسائل التي يعربون فيها عن رغبتهم في أن يحجوا إلى مكة كما يشكون أيضا أن الملك حسين حرمهم من هذا الحق الشرعي ، فتح ، عبد الرحمن ، باب المناقشة بعد أن أشار إلى ابنه . وتكلم ابن بجاد زعيم عتيبه الديني المتشدد ، الذي كان يعرف أيضا باسم سلطان الدين ، نيابة عن الإخوان . وأبدى ملاحظة مفادها أن صبرهم قد نفذ بعد ثلاثه سنوات ونصف السنة . وأنهم كانوا على استعداد للذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج ، بالقوة أو المروءة إذ تطلب الأمر ذلك . وتكلم بعض آخر من الإخوان أيضا ، وأيدوا ابن بجاد وراحو يعددون الاستفزازات كلها التي وجهها إليهم الشريف خلال السنوات الماضية . وطلب الإخوان من ابن سعود أن يتولى قيادتهم في وجه الملك حسين . وبعد أن حصل ابن سعود من العلماء على فتوى عن شرعيه شن الحرب لضمان أداء فريضة الحج ، أعلن على المجتمعين فشل سياسته السابقة التي كانت تقوم على الصبر والمفاوضات ، غير أن حقوقهم

لن تضيق ، ولن يتخلى عن مصالحهم (٢٠) . وبين الصرخات التي كانت تقول : "إلى الحجاز" "إلى الحجاز" إنفض الاجتماع على الاستعداد للمعركة القادمة (٢١) .

ومع اختتام المؤتمر أصدر بيتا إلى العالم العربى - الإسلامى بتوقيع الأمير فيصل الإبن الثانى لابن سعود أشار إلى أن رفض الملك حسين الاستماع إلى شكاوى الناس هو الذى جعله يحرمهم من أداء فريضة الحج ، كما أشار البيان أيضا إلى الاستفزاز الذى تمثل فى تعيين الملك حسين نفسه خليفة . وأكد البيان من جديد للعالم العربى أن نجد ليست لها أية مطامح فى أراضى الغير وأنها سوف تنوب عن بقية العالم العربى فى إخلاء الحجاز من الحكام غير الأكفاء . وحصل البيان على تأييد كبير من سكان الهند المسلمين الذين استاءوا من خروج الملك حسين على التقاليد عندما أطلق على نفسه لقب خليفه من جانب واحد ، فضلا عن عجزه عن تحقيق الاستقرار للأراضى المقدسة التى كان التجار الحضر وقطاع الطرق القبليين فيها يستغلون الحجاج . وصدرت الأوامر بتداول تقارير الإحتكارات التجارية الشخصية للملك حسين فيما يتعلق بالحج ، أو بمعنى آخر ، كل ما يتعلق بدواب الحمل اللازمة لنقل الحجاج ، وأسعار الماء ، وربما بشكل مبالغ فيه بعض الشئ للتقليل من شأن الملك حسين أكثر وأكثر أمام رأى العام الإسلامى ، وتبريرا للحملة التى سيقوم بها ابن سعود لتخليص الأراضى المقدسة من الحكم الهاشمى الضعيف . وبعد أن صدر عن مؤتمر الرياض قرار بغزو الحجاز ، قام ابن سعود بتعبئة قواته ، وأرسل بعضا منها لجس نبض الحدود مع العراق وشرق الأردن ، متظاهرا باحتماليه الهجوم على هذين البلدين ، التى يمكن أن تمنع حاكميهما من مساعدة والدهما ، فى حين أرسل البعض الآخر من قواته فى اتجاه الحجاز . فقد كانت قوات الإخوان متمركزة بالفعل فى كل من تربه والخرمه ، وصدرت الأوامر إلى قائديها ، خالد ابن لوى وسليمان ابن بجاد أن يتحركا فى اتجاه الطائف . وأسندت قيادة

(٢٠) الريحانى ، نجد ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢١) صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية (بيروت : دار مكتبة الحياة ،

١٩٥٨ ، جزئين) ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ الجزء الثانى .

الإخوان العامة إلى خالد ابن لوئى ؛ وكانت قوات الإخوان تشتمل على ستة عشر لواء على النحو التالى :

قائد اللواء	اسم الهجره
"خالد ابن لوئى قائد الحملة	الخرمة وتربه
سلطان ابن بجاد	الغطط
عقاب ابن يحيى	ساجر
يحيى ابن حميد	عروة
نفيل ابن طويق	العصيلة
قدعان ابن درويش	الأرطاويه
عبد المحسن ابن حسين	العمار
فيحان ابن صاميل	رتيه
عبد الله ابن سعمار	الرادانيه
ثعار ابن الزميع	عرجا
حزام ابن عمر	الرين العليا
هذال بن سويدان	الرين السفلى
معيض ابن عبود	النسف
حزام الموميدانى	سبها
ماجد ابن حميد	حلبان
هذال ابن فهد .	الروضة" (٢٢)

وأذن للقوات أن تقوم بالهجوم مباشرة عقب إنتهاء موسم الحج الذى كان فى ذروته أيام إنعقاد مؤتمر الرياض الذى أصدر قرارا بغزو الحجاز - بعد أن يكون الحجاج قد غادروا الأراضى المقدسه . وفى شهر سبتمبر من العام ١٩٢٤ الميلادى ، لم يكن يتبقى فى مكة والمدينة سوى بعض الحجاج الشاردين . وفى الشهر نفسه قامت قوة الإخوان الموحدة بقيادة خالد ابن لوى بالهجوم على بعض المستقرات الصغيرة حول مدينة الطائف واحتلت كلا من قلعة كلاخ والأخيضر . وعندما انضوت قبائل مختلفة تحت لوائه ، وصل عدد المقاتلين الذين كانوا تحت قيادته إلى حوالى ثلاثة آلاف مقاتل . وعندما هاجم الإخوان مدينة الطائف دمروا القوات الهاشميه التى كانت تفوق قوة الإخوان عددا ، وتدريباً وعدة ، وهرب قادة الوحدات العسكرية ، كبار الشخصيات البارزه فى المدينة ، وبعض الموظفين ومعهم عائلاتهم من الطائف أثناء الليل ، تحت غطاء المدفعية ، مخلفين وراءهم سكان المدينة ليواجهوا مصيرهم . ومن هنا تتباين الروايات التى وردت عن غزو الطائف.

يزعم بعض الكتاب أن المواطنين هم الذين فتحوا بوابات المدينة ، وأن الإخوان دخلوها بسلام ، ولكنهم هوجموا بعد ذلك ، الأمر الذى أثار غضبهم وتسبب فى المذبحة التى أعقبت ذلك (٢٣) ؛ بعض آخر من المصادر تُحْمَلُ قبائل الحجاز التى انضمت إلى قوات الإخوان مسئولية المأساة (٢٤) ؛ بعض ثالث من المصادر يوجه اللوم إلى كل من خالد ابن لوى وسلطان ابن بجاد (٢٥) ، لأنهما هما اللذان كانا يقودان الإخوان . وعلى أية حال ، فالذى لا شك فيه هو تلك المذبحة القاسية التى حدثت للسكان الرجال ، الأطفال والكبار ، وبعض الخسائر التى وقعت أيضا بين النساء . وليس هناك جدل فى أن الإخوان نهبوا المنازل ، واستولوا على محتويات المكاتب والمحلات التجارية ، ودمروا المنازل الأخرى عن قصد وإصرار . وذاعت

(٢٣) أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ . إنه متعاطف مع الإخوان .

(٢٤) لندن تايمز كليبنج (الجزيرة العربيه) ، يوليو ١٩٢٠ - ابريل ١٩٢٦ ، روايات الحجاج عن

مذبحة الطائف ، اكتوبر ١٩٢٤ .

(٢٥) العطار ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ . يتناول كلا من ابن لوى وابن بجاد تناولا قاسيا .

أخبار المذبحة عن طريق الهاربين المروّعين الذين راحوا يعيدون حكاية الرعب الذى أصاب الناس على أيدى كل من الإخوان والبدو الذين انضموا إلى ذلك العراق الصاخب .

وعندما دخل ابن بجاد المدينة بعد أن بلغت المذبحة ذروتها ، أمر بإحضار جميع المدنيين ، الذين كان معظمهم من النسوة والبنات الأطفال إلى حدائق قصر شبرا الذى بناه الأتراك ، وقدم لهم الطعام والماء وعلّق مسألة إخلاتهم من المدينة . وقد أبلغ ماجد ابن خثيلة المؤلف (٢٦) أنه كان الشخص المسئول عن تجميع النساء والأطفال وحمايتهم فى شبرا . وإذا كان قد اعترف بقسوة الإخوان على المقاتلين العسكريين ، فقد أصر على أن الأبرياء من الناس لم يقتلوا أو يصابوا بسوء عن عمد وإصرار .

وصلت أنباء مذبحة الطائف إلى ابن سعود الذى كان لا يزال فى الرياض . ويجمع كل المؤلفين تقريرا على أنه أعرب عن أسفه للثمن الذى دفع فى ذلك الانتصار . وعلى الفور أصدر أوامره لقادة الإخوان بالتوقف والإبتعاد عن تلك التصرفات الوحشية ، ولكن إذا ما سلمنا بالزمن والمسافة اللتان يستغرقهما وصول هذه الرسالة إلى الطائف ، وقد وصلت متأخرة بالفعل ، نجد أن تلك الرسالة تعد مجرد تعبير عن أستيائه البالغ مما حدث . وبعد استيائه ابن سعود ، بعد ذلك ، استياءً شديدا من الإعلان المضاد الذى ترتب على غزو الإخوان للطائف (٢٧) ، وبعد إحساس ابن سعود أيضا بالمسئولية الاخلاقية عن الخسائر التى وقعت فى الأرواح والممتلكات ؛ أرسل رسالة إلى مستشاره والمؤتمن على اسراره الشيخ حافظ وهبه ، يؤكد فيها ضمانه الكامل لسلامة أرواح العناصر غير المقاتلة والحفاظ على

(٢٦) مقابله مع الشيخ ماجد ابن خثيلة فى المخطوط ، مارس ١٩٦٨ .

(٢٧) وهبه ، خمسون ، ص ٢٤٣ راجع النص الكامل لرسالة ابن سعود . لقد تضايق ابن سعود من الاتهامات التى نشرتها الصحف السورية والمصرية والىرانية عن قتل الإخوان للنساء والأطفال . وأرسل برقيه إلى تلك الصحف يستنكر فيها نشر مثل هذه الأخبار ، وكانت البرقيه موقعة من ابنه فيصل .

ممتلكاتهم (٢٨) ، ووعد بتقديم تعويضات لأولئك الذين ظلموا في معركة الطائف . وإذا ما صح المعيار الذي يقول : "لا شيء ينجح مثل النجاح" يمكن لنا القول هنا أيضا إن الصراع على الحجاز حُسم في الطائف ، وأن الطائف عندما سقطت ، أدت إلى سقوط كل من مكة ، والمدينة وجدة ؛ وإذا كان الإخوان قد ارتكبوا حماقات في الطائف فقد أهدوا الحجاز لابن سعود ، بعد ذلك بأقل قليلا من شهر واحد ، عندما سقطت مكة في أيدي الإخوان دون إطلاق طلقة واحدة ، وكان الملك حسين قد تنازل عن العرش لصالح ابنه علي . وبينما كان ابن سعود يناقش في الرياض أفضل الطرق لغزو مكة دون الإخلال بحكم عدم حمل السلاح في المدينة المقدسة (٢٩) ، كان خالد ابن لؤي قد أرسل أربعة من رجاله تنكروا في لباس الإحرام الأبيض لاستطلاع المدينة ؛ فوجدوها مغلقة تماما في انتظار أن تحدث عاصفه الإخوان وفي اليوم التالي ، نزل إلى مكة أربعة آلاف من الإخوان كانوا يرتدون ملابس الإحرام ، ولكنهم كانوا يحملون السلاح . ولم يكن لديهم إذن بالسلب أو النهب ؛ ونظرا لأنهم لم يواجهوا أية مقاومة ، فلم يكن هناك داع لفتح النار أو القتل . وبرغم ذلك ، قام الإخوان فعلا بتدمير القباب من فوق المساجد ، كما دمروا الصور والبعد الأخرى "المضادة للإسلام" . وأدى سقوط كل من الطائف ومكة إلى تحديد مصير الحجاز بشكل نهائي وأنهى حكم الأسرة الهاشمية في تلك المنطقة .

الإخوان الذين احتلوا هاتين المدينتين ؛ لم يكونوا جيشا ضخما حديثا ، وإنما قوة صغيرة نسبيا مسلحة ببنادق بدائية تماما ، وربما ببعض قطع المدفعية الغربية التي استولوا عليها في القتال ، وكانوا لا يعرفون طريقه استعمالها تماما . وقد كتب مراسل جريدة لندن تايمز من الإسكندرية في اليوم السادس عشر من شهر سبتمبر من العام ١٩٢٤ الميلادي يقول : إن عدد الإخوان الذين استولوا على الطائف لا

(٢٨) وهبه ، خمسون ، ص ٢٤٥ راجع النص الكامل للرسالة .

(٢٩) الحطار ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩ - ٣٠٧ .

يزيد على ٢٠٠٠ رجل (٣٠) .

وعندما أحكم الإخوان قبضتهم على مكة كان ابن سعود مع قواته وهو متجه من الرياض إلى مكة لم يصل بعد إلى منتصف الطريق . وقبل وقت طويل من وصول ابن سعود الدرامى إلى مكة كان ابن بجاد وخالد ابن لوى قد التقيا وفوداً من كبار شخصيات المدينة ناقشا معهم السلام وأفضل الطرق لتحاشى حدوث مأساة الطائف . وقد أرسل هذان القائدان رسالة إلى القناصل الأجانب الموجودين فى جده يستطلعان فيها مواقفهم الرسمية من الحرب النجدية - الحجازية . وقد أوضح الرد الذى وصل موقعا من كل من الممثل البريطانى ، والإيطالى والهولندى والایرانى ما يلى : "إن حكوماتنا تحافظ على موقف حيادى تماما من الحرب الدائرة الآن بين نجد والحجاز ، ولن نتدخل بأى شكل مهما كان فى ذلك النزاع ، مع علمنا بتصريحاتكم التى تضمنون فيها حياة ورفاه مواطنينا (٣١) " . كان الإخوان يسيطرون على الموقف تماما ؛ فقد كان هؤلاء البدو غير المتحضرين يتعاملون بالفعل مع أعيان الحجاز وممثلى الدول الكبرى قبل وصول زعيمهم إلى المدينة .

دخل ابن سعود مكة فى اليوم الثامن عشر من شهر أكتوبر من العام ١٩٢٤ الميلادى وهو يرتدى ملابس الإحرام ليطالب بجائزه كان قد أحرزها بالفعل . فقد عبر شبه الجزيرة بكاملها ، يصحبه إثنان من أشقائه هما : محمد وعبد الله ومجموعة من العلماء ، وبعض الفرق العسكرية من مدن بريده وعنيزه ، ومن بعض الهجر . وأثناء دخوله مكة ، لا بد وأن يكون قد مرت بخاطره جهوده الأولى التى بذلها فى انشاء الإخوان ؛ وكيف كان على حق عندما كان يتحمل غطرسهم وقسوتهم ، وتعجلهم ، وتشددهم ، إذ أن الإخوان فى ذلك الوقت كانوا ينتظرون وصوله إلى المدينة ، وهم سعداء مرة أخرى لرؤيته ، ويتطلعون من جديد مثل الأطفال ، إلى وضع تلك الجائزة بين يديه . ولا بد أن تكون جميع النصائح ، التى

(٣٠) لندن نايمز كلينج (الجزيرة العربية) يوليو ١٩٢٠ - إبريل ١٩٢٦ ، الوهابيون فى الطائف ،

١٦ سبتمبر ١٩٢٤ .

(٣١) العطار ، مرجع سابق ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

طلبها والتي لم يطلبها ، بشأن كيفية انتظام الإخوان ، وحول ضرورة تسريحهم ، وما إذا كانوا يشكلون تهديدا له ولطموحاته ، لا بد أن تكون هذه النصائح كلها قد تضاعلت أمام دخوله مدينه مکه منتصرا ، بعد أن أعاد الغزوات الكبرى التي قام بها أجداده من قبل . الإخوان هم الذين مكنوه من تحقيق ذلك ، ولكنهم لم يأخذوا مقابل ذلك سوى القليل ، إن لم يكن شيئا على الإطلاق . ومع ذلك ، لو فشل الإخوان ، لكان من السهل على ابن سعود ، الذى كان لا يزال فى الرياض ، أن يزعم أنهم هجموا على الطائف ومکه دون إذن منه أو علم له بذلك ، وما داموا قد فعلوا ذلك فإن الله لم ينصرهم . وربما كان ذلك عذرا مقبولا أيضا لدى أصدقائه البريطانيين . وقد استشعر الإخوان فيما بعد أن ابن سعود لم يعترف على الملأ قط بالدور الذى لعبه الإخوان فى الإستيلاء على الحجاز ؛ وقد غضب الإخوان للمزاعم التى تقول إن ابن سعود وأسرته بالإشتراك مع البدو المستقرين من غير الإخوان هم الذين استولوا على الحجاز . ومع ذلك فإن ماجد ابن خثيلة ، الذى كان من بين الإخوان فى كل من الطائف ومکه ، صرح دون لبس أن هاتين المعركتين لم يشارك فيهما قروى واحد من القرويين المستقرين ، والتسجيلات المدونه تؤيد ما ذهب إليه (٣٢) . وهذا لا يقلل من دور ابن سعود الذى لا بد أن ينسب إليه الفضل باعتبارة المهندس الرئيسى لمشروع الإخوان . ومن المؤكد أنه لولا توجيهاته ، وتنظيمه وشخصيته الملهمه ، لما تحول الإخوان إلى القوة التى أصبحوا عليها - وقد ثبت ذلك بشكل قاطع بعد ذلك فى معركة السبلة . ومع ذلك ، فإن الإخوان الذين كانوا يضحون بأنفسهم ، والذين كانت الهزيمة لا تعرف إلى عقولهم سبيلا - لأن الشهادة فى القتال هى المفتاح إلى الجنة ، الإنتصار النهائى - وثبات النصر ثبوت الرب الذى يعبدونه ، هؤلاء الإخوان هم الذين حاولوا المستحيل ، حاربوا وانتصروا .

ولا تدخل فى نطاق هذه الدراسه مسأله إن كان ابن سعود ينوى حقيقه إعطاء الحجاز حكما مستقلا أو حكما ذاتيا ، غير أن عبقريته وتمرسه السياسى عندما لوح

(٣٢) العطار ، صقر ، روايه متعاطفه مع ابن سعود ، توضح هذه النقطة بشكل غير مباشر ، ولكن بطريقه مؤثرة وفاعله .

بتلك الإمكانية في وجه المسلمين عندما كان يستعد للهجوم على المدينة وجدة لا بد أن تكون إشارة إلى وحدة القيادة . فقد زعم ابن سعود أنه ذاهب إلى المدينة لمجرد تطهير المدينة من حكم الأسرة الهاشمية الفاسد ، وأن يعيد للأماكن المقدسة كرامتها واحترامها ، ولذلك أرسل ابن سعود رسائل إلى كل من إمام اليمن ، والزعماء الإسلاميين الآخرين يطلب إليهم إرسال ممثلين عنهم لحضور مؤتمر يعقد في مكة للبت في هذه المسألة (٣٣) . ومع وجود الإخوان بالفعل في كل من الطائف ومكة ، منتشين بالنصر ولكنهم غير راضين عنه ، مع ذبوع صيتهم في الترويع والمذابح في أذهان مسلمي العالم ، لم يوافق على ذلك العرض سوى قلة قليلة - إلى أن أصبح الموقف بكامله بيد ابن سعود ، وهنا كان الأوان قد فات .

واستسلمت كل من المدينة وجدة بعد حصار استمر عاما كاملا ، وبشرط ألا يسمح للإخوان بدخول المدينتين . ومن الناحية التهكمية ، إذا كان دور الإخوان سلبيا هنا ، فقد كان لهم تأثير ايجابي في ضم مدينة الرسول وميناء الحجاج إلى ممتلكات ابن سعود . وبعد أن وصل الإخوان إلى البحر انتهت قصتهم البطولية عنده - لقد وصلوا الذروة وأنهى مبرر وجودهم . لم يتبق لهم سوى أن يستعرضوا أنفسهم على مسرح التاريخ . فقد بدأوا يتسببون في إحراج ابن سعود ، الذي لم يعد يعطيهم ميزة التوازن المضاد . الواقع أن رؤية ابن سعود وخطه كانت أكبر بكثير عما تصوره الإخوان . لقد كان ابن سعود عبقرية ، وكان الإخوان مجرد جانب من جوانب هذه العبقرية . لقد جردوا من نفعيتهم . لقد بدأ عمله هو فقط ! لقد شكل ابن سعود الإخوان على شكل هذه القوة المتشددة التي لا تهزم ، ولا تعرف الحلول الوسط لأن ذلك النوع من القوى الدينية - العسكرية هو الذي كان ابن سعود بحاجة إليه في ذلك الوقت . والآن ، وبعد أن حقق ابن سعود حلمه ، ربما يكون قد فضل على وجه اليقين إعادة الإخوان إلى نجد ، اعترافا بجميلهم ، ومعهم مكافآت مجزية من المعاشات ، والاراضي ، والبنادق والذخيرة - كل غنائم الحرب - وكل هذه غنائم

(٣٣) الريحاني ، نجد ، ص ٣٥٩ .

لم يكن الإخوان يريدونها . ذلك الذى كان الإخوان يريدونه ويتطلعون إليه ، لم يكن بوسع ابن سعود أن يأذن لهم به ؛ لقد كانوا يريدون استمرار المسيرة الدينية ، ولكن المسيرة إلى أين بعد أن وصلوا فعلا إلى حدود التوسع المسموح لهم به . وكان إمامهم قد وضع توقيعه على ترسيم الحدود الذى يتعين عليه أن يطيعه ويحترمه ، أو أن تفرض عليه القوة العسكرية التابعة للتاج البريطانى نفسه هذا الإحترام .

وسرعان ما أدرك الإخوان أنهم غير مرغوب فيهم فى الحجاز . وبعد أن حُرِمَ الإخوان من ثمار انتصارهم الأخير - دخول المدينة وجدة - اكتشفوا أن علماء نجد الوهابيين قد حلوا محلهم ، وأصبحوا نراع ابن سعود اليمنى ، ولم يعد للإخوان مكان فى مجتمع الحجاز المتحضر ، اللهم من أولئك الإخوان الذين كانوا يقومون بدور المطوعين . وقد أدى سهرهم المتواصل وإصرارهم على تطبيق المعتقدات الوهابية الثانوية تماما إلى دخول ابن سعود فى حرب مع مصر . فقد عارض الإخوان الزاهدين استعمال الجيش المصرى للأبواق التى كانت تصاحب **المحمل** (٣٤) كل عام إلى مكة لأن ذلك يتعارض مع النصوص الدينية التى تحرم استعمال الآلات الموسيقية ، وهجم الإخوان على المعسكر وفتح المصريون النار عليهم . وسيطر الأمير فيصل على هذا الحادث ، ولكن الغليان بين مصر وابن سعود دام عشر سنوات بعد ذلك ، قطعت خلالها العلاقات الدبلوماسية .

وبناء على ذلك ، أعيد الإخوان إلى نجد . لقد أخرجوا أنفسهم من العمل بمعنى الكلمة . لقد كانوا ناجحين تماما . وهامهم يعودون إلى نجد ، يحملون معهم استيائهم من ابن سعود ، ومن البريطانيين ، ومن مسلمى الحجاز الكفار ، الذين ظنوا ان ابن سعود كان يعاملهم بحرص وعناية ، ومن كفار العراق والأردن الذين لم يسمح لهم الإمام بتأديبهم تماما . وليس من الغرابه فى شئ أن تنفجر تلك القوة الديناميكية على شكل تمرد بعد أن أعيدت إلى نجد وهى فى ذروة قوتها ونجاحها . كانت مشكله

(٣٤) المحمل : إطار يحمله جمل يحتوى على كسوه الكعبه التى كان شعب مصر يقدمها كل عام لتخطيه

الكعبه فى مكة .

الحدود قد سويت مع الأردن وكان البريطانيون يقومون على حراستها ؛ وكانت الحدود مع العراق والكويت قد رُسِّمت وكان البريطانيون يحرسونها أيضا . ونظرا لحرمان الإخوان من الغزو المباشر ، ونظرا لحرمانهم أيضا من الغزو الداخلي ، ونظرا أيضا لعدم وجود أراضى يقومون بغزوها ، فقد بدأت صفوة قيادتهم تخطط للتمرد على ابن سعود .

وبعد إعادة الإخوان إلى نجد ، اكتشف ابن سعود أن الحجاز لم يتكامل مع مملكته بسهولة ويسر مثلما تكاملت معها كل من نجد والمناطق الأخرى النائية . فقد أصبح ابن سعود بعد سيطرته على المدينتين المقدستين مكة والمدينة مسئولاً مسئولية مباشرة عن أمن وسلامة آلاف المسلمين الذين يؤدون شعائر الحج كل عام فى هاتين المدينتين . ولم تكن إدارة الحج بكل مشاكله اللوجستية الضخمة ، ومشاكل الإسكان ، ومشاكل الصحة ومشاكل الطعام والأمن والسلامة عملية سهلة أبسطة . يضاف إلى ذلك أن مسئولية التعامل مع الممثلين الدبلوماسيين الأجانب ، ليس من منظور رئيس عربى إقليمى ؛ وإنما ملك على رأس مملكة فتية ، وضعت على كاهله أشياء أخرى جديدة . وأخيرا ، فإن موضوع حكم أهل الحجاز المتحضرين أصحاب التفكير الليبرالى ، قياسا على أهالى المناطق الداخلية البسطاء المحافظين كان يستحوذ على جزء كبير من وقته وجهده . وبرغم أن الحجاز كانت تسكنه قبائل عدة إلا أنه كان متحضرا تماما - الطائف ، مكة ، المدينة ، الوجه وينبع كانت تتقدم مسيرة الإقليم - كما أن إسلامه الذى لم يقل عمقا عن إسلام المسلمين الآخرين فى شبه الجزيرة كان يتمثل فى قيم ومواقف أقل زهدا وتنسكا .

وصدق توقع أهل الحجاز فيما يتعلق بأحكام القبضة الوهابية فى مجال الدين . فقد كانت ذكريات أجدادهم تحت الحكم الوهابى ما تزال حية . ولم يخيب ابن سعود آمالهم . ومع أن مسألة التأكيد من جديد لأهل الحجاز بأنه كان ينوى الحكم بالعدل وعدم إحداث تبايئات (٣٥) ظالمة بينهم كمواطنين وأهل نجد بلد أسلافه ، برغم أن

(٣٥) فضل ابن سعود أهل الحجاز مرة واحدة . فقد سمح لتجارهم بأن يبيعوا ما لديهم من مخزون السجائر والتبغ ، حتى يعفيهم من الخسائر المالية . ولم يسمح لهم باستيراد السجائر بعد ذلك . وفى بعض المناطق الأخرى كان بائع السجائر ومستعملها يعاقب بجلده على الملأ .

هذه المسألة كانت من بين الأعمال الأولى التي قام بها ابن سعود - باعتبار ذلك جزءاً من شروط استسلام الحجاز ، فقد ألزم ابن سعود نفسه بالإبقاء على موظفي المدن والدعاة والأئمة الدينيين - فقد قام على وجه السرعة بإحداث بصمة وهابية على الإدارة الدينية . وإدراكاً من ابن سعود للدور الذي لعبته الوهابية عند سطوع نجمه ، عندما كانت الوهابية على شكل حركة الإخوان ، والدور الذي لعبه أجداده ، وتحت ضغط الإخوان (٣٦) الذين كانوا مصرين على تطهير الحجاز من قيادته الدينية غير المتشددة وتقاليده غير الملتزمة ، قام ابن سعود باستبدال عدد كبير من أئمة المساجد المعتادين بأئمة وهابيين ، بدلاً من أن يسمح لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة بالاحتفاظ بأئمته . وأصبح في الحجاز أئمة وهابيون ، وقضاة وهابيون ، ودعاة وهابيون ، ومطوعون وهابيون أيضاً * . والأهم من كل ذلك هو بدء تشغيل هيئته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣٧) التي يتكون أشد أعضاؤها تحمساً من البدو المتشدددين الأميين المتحمسين تماماً لفرض تعاليم الصلاة حرفياً ، وإغلاق الدكاكين أثناء أداء الصلاة ، إضافة إلى فرض تحريم التدخين وفرض تحريم بعض العادات "البذيئة" الأخرى . وقد وصف إحسان الله ، نائب قنصل حكومة الهند ، نشاطات الهيئة وصفاً دقيقاً وبهيجاً ومشحوناً بعاطفة قوية فقال :

خولت هذه الهيئة سلطات موجزة واستطاعت أن تستخدم عدداً كبيراً من الجنود النجديين في خدماتها . هناك حوالي ٢٠ جندي نجدي ينوبون عن الهيئة في كل حارة من الحارات (٣٨) وبذلك يصل عدد الجنود الإجمالي في

(٣٦) من بوند إلى هندرسون ، ٢٠ يوليو ١٩٢٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد رقم ١٣٧٤٠ ، الوثيقة رقم ٣٩٤٧ .

* يلاحظ أن المؤلف يسرف في استعمال مصطلح "الوهابية" الذي اعتاد الكتاب الغربيون استعماله للدلالة على الدعوة السلفية . نسبة إلى الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما لو كانت مذهباً إسلامياً ، أو منزعاً فكرياً . قائماً بذاته . إنها دعوة لتنقية الدين مما شابته من الخرافات وأنواع الشرك وقت قيامها . وأخذت قوتها حينما ساندتها السلطة السياسية . أما مناوؤها في ذلك الوقت فكانوا ذوو نوازع سياسية وأصحاب سلطة . (المراجع)

(٣٧) لا تزال هذه الهيئة تمارس مهامها في الرياض .

(٣٨) مجاوره صغيره .

مكه إلى حوالي ٢٦٠ ، وهذا العدد يزيد على عدد أفراد القوة العسكرية ضمن حامية جدة . . . ومن الطبيعي أن يؤدي هذا العدد الكبير من العنصر غير الإنساني الذي لا يعرف التعاطف إلى بث الرعب في قلوب عامة الناس . إن إطلاق عقاب هؤلاء الوحوش يجعلهم يداومون على اقتراف كل الأعمال القاسية . . . إذ ليس هناك قانون يردعهم . وبخاصة في أوقات أداء الصلوات الخمس كل يوم ، عندما تروح تجسيدات الشيطان تلك تجرى بطريقه وحشية عبر الأماكن العامة وتدخل الحارات لمطاردة المخطئين الذين يحتمل أن يكونوا قد آووا إليها ، وعندما كانوا يكتشفونهم كانوا يوسعونهم ضرباً بلا رحمة . ليس هناك تفرقه في ذلك بين صالح وطالح ، غني أو فقير ، صغير أو كبير بل إن التلاميذ الصغار لا ينجون من ذلك . فالمطوعين يطرحونهم أرضاً في الطريق العام ويجلدونهم بلا أي تمييز (٣٩) * .

ولم يستطع أهل الحجاز أن يفعلوا أي شيء لمقاومة تلك التغيرات ، ولم يستطع الضباط البريطانيون المقيمين في الحجاز أن يفعلوا أي شيء لإزاء هذه التغيرات اللهم إلا من كتابه التقارير حول تلك التطورات ويرسلونها إلى "الهوايت هول" Whitehall معربين عن عدم موافقتهم على تلك التغيرات . وعلى كل حال ، فإن الحرية التي فقدها الحجاز في الأمور الدينية الفنية ، وأنماطه الحية الأقل تشدداً ، حققها مكاسب في تبسيط الحكم ، وزيادة الاستقرار والحفاظ على النظام العام . وقد

(٣٩) تقرير من نائب قنصل حكومة الهند ، عن هيئه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١٤ أغسطس

١٩٣١ ، مخطوطات ، مكتب السجلات العامة ، المجلد ١٥٢٩٨ ، الوثيقة رقم إي ٤٩٥٧ .

ربما كانت الصياغة الأدبية في تقرير نائب قنصل حكومة الهند الانجليزي ، هي التي لفتت انتباه المؤلف فلم ينس أن يذكر أنها "مشحونة بعاطفة قوية" لكن هذا الوصف فيه تحامل وتجن ، لا يغفره إلا أنه صادر من شخص لا يهمه تنفيذ الواجبات الدينية في مجتمع لم يتعود عليها - حينذاك - من قبل ولا ينفي هذا القول أن هناك بعض التشدد والمغالطات التي كانت تصدر من بعضهم نتيجة للإندفاع والحماس في تنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن كيف يسوغ لهذا "الإحسان" - إذا كان مسلماً - لنفسه أن يصف من يأمر باداء الصلوات أنه "تجسيدات الشيطان" - أو لم يأمر الخالق سبحانه وتعالى بالنهاي عن البيع وهو من أمور الحياة ، إذا نودي بالصلوة ؟ (المراجع)

بقى ابن سعود في الحجاز من أجل ذلك الهدف ، بعد أن عين ابنه الأكبر سعود نائبا عنه في حكم نجد . ومع ذلك فإن غياب ابن سعود عن نجد فتره طويله ترتبت عليه بعض الكوارث التي يصعب إصلاحها . وسارع ابن سعود في العام ١٩٢٧ الميلادي بالعودة إلى الرياض في الوقت المناسب ليهدئ من أستياء الإخوان ، ولم تفعل تلك التهده شئاً سوى تأجيل الصدام العسكري الحتمي الذي كان يلوح في الأفق .

الفصل العاشر

الإخوان فى مؤتمرات الرياض

عاد الإخوان مجروحى المشاعر إلى نجد . فقد شعر الإخوان بقيادة فيصل الدويش وابن بجاد أنهم هم المسئولون عن الانتصارات العسكرية الكبيرة التى أوصلت ابن سعود إلى مركز السلطة الذى هو فيه الآن ، وكان الإخوان على ثقة أنه لولاهم لما احتفظ ابن سعود بسلطته وسيطرته على شبه الجزيرة . كان الإخوان يظنون ، أنهم الدعائم التى أرتكزت عليها مملكة ابن سعود ، وبرغم كل ذلك أعادهم ابن سعود إلى نجد فى ظروف غامضة وغير واضحة . وعندما وصل الدويش إلى نجد مرة ثانية طفت على السطح تلك المطامح القديمة المتأصلة داخله معززة بالسلطة والنفوذ اللذان كان يحظى بهما فى قبيلة مطير ^(١) ، وبروز الأرطاوية بين الإخوان ، والمركز المرموق الذى كان الدويش يحتله باعتباره الذراع اليمنى لابن سعود . ومما لا شك فيه أن فيصل الدويش أصبح أسطورة بين الإخوان ، والقبائل الرعوية المترحلة والمستقرة . وعاد ابن بجاد العتيبي عودة الأبطال أيضا . فقد خلّص الإخوان التابعين له الكثير من مناطق الحجاز من يدى الملك حسين وكان الناس لا يزالون يخشونهم فى كل أنحاء البلاد . ومع ذلك ، وعلى العكس من الدويش ، الذى كانوا ينظرون اليه دوما على أنه شخصيه انتهازية ، ذاع صيت ابن بجاد كمسلم وهابى مخلص وأمين ، كرّس نفسه لنشر كلمة الله وأنه لم يهاجر من أجل مجد شخصى أو مكسب مادى . وسرعان ما بدأ ضيدان ابن حثلين ، من قبيلة العجمان المضطربة ، يشعر بالقلق تحت تحريض من كل من فيصل الدويش وابن بجاد ، ولم يكن بحاجة إلى قدر كبير من التشجيع . ولم يحدث قط أن أخفى ابن حثلين كراهيته لآل سعود وابن سعود بصفة خاصة ، وكان يتحين الفرصة ليثأر من ابن سعود للقمع الذى مارسه على قبيلة العجمان فى الأحساء . كان كل واحد منهم

(١) نبعت سلطه فيصل الدويش غير العاديه على قبيله مطير من تخويله سلطة اعدام أى فرد من أفراد القبيله دون عقد مؤتمر القبيله ، وبناء على أمر منه هو وحده ، وهذا امتياز فريد بين بدو الجزيرة العربيه .

يعارض ابن سعود ولكن بدرجات متفاوتة من الإقتناع ، والسبب في ذلك أنه أدخل الاختراعات الحديثة والبدع إلى البلاد ، ولأنه حرّم الغزو الداخلي والغزو الخارجي . ورفع الزعماء الثلاثة لواء التمرد في الوقت المناسب .

وفي مطلع العام ١٩٢٥ الميلادي كان فيصل الدويش وبصحبه مجموعة من الإخوان أثناء أول احتفال لهم بنهاية رمضان في مكة ، قد حدد الخطوط التي كانوا ينتظرون من ابن سعود اتباعها ؛ وقد حضر ذلك الإجتماع كل من خالد بن لؤي وبعض الإخوان البارزين الآخرين :

الحمد لله ، يا خالد ، ويا "الإخوان" على نعمته ، فقد دخلنا بلد الله الحرام وطردنا الشريف من هذا البيت . إننا جند الله وخدم لدينه ، لا نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا وإنه هو الظاهر ، ولا نريد إلا رفع المظالم وإزالة البُـدع والمنكرات (٢) .

وبحلول العام ١٩٢٦ ، وبعد أن عاد الإخوان إلى نجد ، أصبحت مطالبهم من ابن سعود أكثر تحديدا . وفي مؤتمر الإخوان الذي انعقد في الأوطاوية وحضره مشايخ مطير ، وعتييه والعجمان وجهت إلى ابن سعود الانتقادات التالية :

أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر . (التي احتلها الإنجليز النصاري والتي يسكنها مسلمون كفار) * .

ثانياً : إرسال ولده فيصل إلى لندن بلد الشرك .

ثالثاً : استخدام السيارات والتلغرافات والتليفونات . (وكلها عبارة عن بدع نصرانيه ، من عمل الشيطان)

رابعاً : الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد .

خامساً : الاحتجاج على اذنه لعشائر وشرق الأردن بالرعي في أراضي

(٢) وهبه ، الجزيرة ، ص ٢٨٩ .

* ما بين قوسين زيادة من المؤلف عما هو موجود في النص العربي للمرجع الذي أخذ عنه . (المراجع)

المسلمين (الجزيرة العربية) .

سادساً : الاحتجاج على منع المتاجرة مع الكويت ؛ لأن أهل الكويت ؛ إن كانوا كفاراً حاربوا ، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة ؟ (٣) *

ورداً على انتقادات ومظالم الإخوان تلك ، عاد ابن سعود إلى نجد من الحجاز ليعقد اجتماعاً مع زعماء الإخوان ورؤساء القبائل ؛ وقد حضر هذا المؤتمر حوالي ٣٠٠٠ شخص (٤) . وفي الاجتماع الذي انعقد في الرياض ، في شهر يناير من العام ١٩٢٧ الميلادي ، أكد ابن سعود من جديد ولاءه للشريعة ، وكرر ثانية أنه هو الذي يعهدونه من قبل لم يتغير . وأنهى الاجتماع بإصدار فتوى من العلماء تم الرد فيها على اعتراضات الإخوان التي ذكرناها آنفاً ، والتي كانت تستر في حقيقة الأمر مشكلات أخرى لم يثرها الإخوان .

وفيما يلي بعض ما جاء في الفتوى ، التي أصدرها خمسة عشر من العلماء ** :

" أما مسألة البرق (التلغراف اللاسلكي) فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان . ولا نعلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسألته ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالاباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته . وأما مسجد حمزه وأبي رشيد فأفتينا الإمام - وفقه الله - بهدمهما على الفور . وأما القوانين : فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً . ولا يحكم إلا بالشرع المطهر . وأما دخول الحاج المصري بالسلاح والقوة في بلد الله الحرام : فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن إظهارهم الشرك وجميع المنكرات وأما المحمل : فأفتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام ، ومن تمكين أحد أن يتمسح به أو

(٣) * رجعنا إلى النص العربي الذي أخذ عنه المؤلف وأثبتناه هنا ، انظر : حافظ وهبه ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٩١ ، ط ٣ ، ١٩٥٦ ، النهضة المصرية ، القاهرة .

(٤) أم القرى ، العدد ١٢٦ ، ١٠ مايو ١٩٢٧ . حضره فيصل الدويش وابن بجاد ، وكل مشايخ قبيلته مطير ، وعتيبه ، وقحطان وشمّر ، حرب ، والعجمان ، ومره ، وعنزة نجد ، والدواسر وسبيع ، والسهول ، بنى هاجر ، وبنى خالد والعوازم .

** نقلاً عن النص الوارد في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ، حافظ وهبه ، ص ص ٢٩٢ - ٢٩٣ . وقد أوردته المؤلف عنه ملخصاً فأثرنا بإيراد النص الأصلي (المراجع)

يُقبله ، وما يفعله أهله من الملاهي والمنكرات يمنعون منها . وأما منعه من مـسـكـة بالكلية : فإن أمكن بلا مفسدة تعين ، وإلا فاحتمال أحد المفسدتين لدفع أعلاهما سائغ شرعاً (٥) .

وعملًا بالتوصيات التي أورها العلماء في الفتوى ، قام ابن سعود على الفور بتنفيذ التوصيات ووصل إلى حد تحريم استعمال الراديو والتلغراف في أجزاء محدده من المملكة ؛ علما بأن العلماء لم يحرموا استعمالهما بصورة قاطعه ومحددة . كان ابن سعود ، يرمى من وراء ذلك إلى إرضاء الإخوان وإزالة الأسباب التي أدت إلى اعتراضاتهم ، أو يؤجل ، على أقل تقدير ، يوم التمرد الذي أصبح أمرا لا مفر منه . وعندما انتهى الاجتماع تعهد قادة الإخوان والأفراد من جديد بمناصرة ابن سعود والولاء له بأن صافحوه ، وقبلوه ، على الطريقة البدوية ، من خديته ثم من طرف انفه ، قائلين له : "عاهدناك بالاخلاص لك قولا وفعلًا" . ومع ذلك لم يرضى الاخوان عن أى من هذه الاعمال الايجابية . وما أن انفض المؤتمر حتى استأنف الاخوان غزوهم ضد القبائل على حدود العراق ، لثقتهم أن ابن سعود الذي عاد إلى الحجاز سيكون من الصعب عليه الحيلولة بينهم وبين ما يفعلون ؛ ومع ذلك ، فقد كانت تلك الغزوات بمثابة العامل المساعد في النزاع الطويل الذي دار بين ابن سعود والاخوان .

وبعد غزو حائل هرب عدد كبير من قبائل شمر من نجد إلى العراق ، ولكنهم كانوا يعبرون الحدود أحيانا إلى نجد ليرعوا قطعانهم أو لغزو بعض القبائل الأخرى ، ثم يعودون بعد ذلك إلى ملتجئهم في العراق . وقد إنضمت بعد ذلك إلى أفراد قبيلة شمر جماعات أخرى من الإخوان النجديين الذين اشتركوا مع الشمريين في الغزو ولكنهم كانوا يبقون في العراق خوفا من ان ينتقم منهم ابن سعود على وجه السرعة . وأصبح يطلق على هؤلاء الاخوان إسم الإخوان اللاجئين ، وقد كونوا مع الشمر النجديين الموجودين في العراق شوكة في ظهر ابن سعود نتيجة مواصلتهم لعملية الغزو . ولم تنجح الجهود التي بذلها ابن سعود ولا المحاولات القليلة التي قام بها البريطانيون في وقف هذه الغزوات . وبحلول العام ١٩٢٦

(٥) المصدر السابق ص ص ، ٢٩٢ - ٢٩٣ .

الميلادى ، كانت تلك الغزوات قد توقفت إلى حد بعيد . وبرغم ذلك ، كان الإخوان ، فى ذلك التاريخ قد عادوا من الحجاز ؛ وطالما كان الإخوان مشغولين بغزو مجالات أخرى ، فقد كانوا راضين عن غض البصر عن الغزوات التى كان يقوم بها الشمر والإخوان اللاجئين . وعندما لم يعد لدى الإخوان انشغالات من هذا القبيل ، بدأوا يتطلعون إلى العراق باعتباره أقرب الأهداف المشروعة التى تستحق الغزو والسبب فى ذلك أن قبائل العراق كانت كافرة ، كما أن الإخوان اللاجئين كانوا خونة . وتحول ذلك الذى بدأ على شكل تحرشات حدودية إلى غزوات جريئة داخل العراق تماما ، وكانت القبائل التى لا حيلة لها والتى تعرف باسم القبائل الرعوية ، التى كانت تعيش فى مناطق الحدود وترعى قطعانها فيها ، من بين ضحايا تلك الغزوات . ولم تكن تلك القبائل شهيرة بشجاعتها العسكرية فضلا عن انها كانت بلا سلاح فى معظم الأحيان . وعلى أثر ذلك بدأت القبائل الرعوية الهرب إلى العراق مما تسبب فى إحداث دفع إضافى من اللاجئين لا يمكن للبريطانيين أن يعضوا الطرف عنه بعد ذلك . وبحكم تعود القبائل على رعى قطعانها فى الأماكن التى تتحول إلى مراعى على إثر سقوط الأمطار ، كانت القبائل بصفة عامة ، والقبائل الرعوية بصفة خاصة ، تنظر إلى الحدود باعتبارها خطا عرفيا . ولم تكن تلك القبائل تستطيع العيش على الجانب العراقى فقط والسبب فى ذلك أن مراعى هذه القبائل كانت تقع على الجانب النجدى أيضا ، ولكن جانبى الحدود أصبحا الآن غير آمنين بسبب الغزوات التى يقوم بها الإخوان .

وقد استطاع النقيب جون باجوت جلوب ، الضابط البريطانى الشاب ، الذى عين مؤخرا فى المنطقة ، بسبب جده واخلاصه ، أن يستثير فى بغداد - التى كانت معنية بمشكلات العراق الداخلى الحضرى ، والعراق الزراعى أكثر منها بالشئون الحدودية القبلية - رعاية وحماية القبائل فحسب وإنما حماية سيادة العراق من غزوات الإخوان أيضا . وبتوجيه من النقيب جلوب ، حاول البريطانيون تهدئة المنطقة أولا عن طريق استعمال الطائرات فى الاستطلاع ، ثم بعد ذلك عن طريق الضربات الجوية ضد جماعات الإخوان التى تقوم بالغزو . ورداً على ذلك النشاط العسكرى البريطانى أصدر ابن سعود أمرا إلى صحيفته *أم القرى* بالاحتجاج عن طريق هيئه

تحريرها ، على الهجمات البريطانية التي كانت تُشن على الإخوان الغزاه ، وأن يحتوى مضمون الرد أيضا على تنويه مفاده أن تلك الهجمات إنما تعد جزءاً من مؤامرة استعمارية ضد حكومته . ومع ذلك ، فقد كان ابن سعود على علم تماماً أن الإخوان هم المخطئون ، وأنه إن عاجلاً أو آجلاً ، سوف يتحتم عليه وضع حل لهذه المشكلة معهم ، وليس مع البريطانيين .

وقد أدت غزوات الإخوان الوحشية ، وقتلهم للذكور ، والأطفال وكبار السن على حد سواء ، وقتل النساء في بعض الأحيان والأطفال من البنات - وهو أمر غريب تماماً على الغزو العربى والعمليات الحربية العربية التقليدية - إلى تفاقم المشكلة ، كما كانت هذه الوحشية عنصراً أساسياً ، ولكنها لم تكن السبب الرئيسى للقرار الذى اتخذته حكومة العراق بإنشاء مركز للشرطة عند آبار بُصَيَّه Busaiya ، وذلك بناء على توصيات من النقيب جلوب . وكان الهدف من إنشاء هذه المراكز هو منع الغزو على جانبي الحدود عن طريق يقظه الدوريات المسلحة . والغريب فى الأمر ، أن اتخاذ قرار ببناء تلك المراكز جاء بعد أن قامت مجموعة كبيرة من شمر العراق بنهب عدد كبير من الإبل المملوكة للقبائل الكويتية . وفى شهر سبتمبر من العام ١٩٢٧ انتقل اثنتى عشر منهم إلى البُصَيَّه لإنشاء مركز للشرطة فيها . وقد ترتب على ذلك احتجاج مباشر من ابن سعود الذى زعم أن بناء ذلك المركز يعد انتهاكاً لبرتوكولات العقير التى تقول فى بعض أجزائها :

توافق الحكومتان ألا تستعمل أى منهما مياه الآبار الموجودة فى إقليم الحدود فى الأغراض العسكرية التى منها إنشاء القلاع ، وألا تقوم أى منهما بوضع قوات لها فى المنطقة . . . (٦)

أو مثلاً قال النقيب جلوب :

كانت احتجاجات ابن سعود مقبولة . والمسألة العراقية تعتمد فى الأصل على

(٦) مجموعة ، مرجع سابق ص ٦ .

الحقيقة التي مفادها أن بُصَيَّة تبعد ثمانين ميلا عن حدود نجد وليست مجاورة لها . يضاف إلى ذلك ، أن المركز لم يكن قلعه عسكرية وإنما مركزاً للشرطة ، سيقوم على أمره عشرة من رجال الشرطة . ومع ذلك هناك بعض الإعتبارات الأخرى التي كانت تقلل من أصالة هذه الحجج في نظر ابن سعود عن الأوربيين . من ذلك على سبيل المثال ، أنه لم يكن هناك ، في نجد ، فارق بين الجنود والشرطة ومن هنا فإن النقطة التي كانت تعد غاية في الأهمية عند العراقيين والبريطانيين لم يكن لها أي معنى عند الملك . . . وهناك عامل أساسي آخر هو أن حكومة نجد ، في تلك الأيام ، لم تكن تستفيد من الخرائط . من هنا فإن المسافة الحقيقية التي تبعد بها بُصَيَّة عن الحدود ، والتي كانت أمراً واضحاً تماماً لكل من بغداد "والهوايت هول" لم تكن لها الأهمية ولا الحيوية نفسها في الرياض (٧) .

ولم يستغرق رد الإخوان على الاستفزاز البريطاني في بُصَيَّة وقتاً طويلاً ، فقد أعطاهم ذلك الاستفزاز عذراً للهجوم على تلك المراكز . إذ يستطيع الإخوان مهاجمة تلك المراكز واتهام البريطانيين بخرق المعاهدة ، وبذلك يظهرون بمظهر الأبطال أمام المسلمين وهم يقاومون هجوماً عسكرياً كافراً . وفي اليوم الخامس من شهر سبتمبر قام خمسون فرداً من أفراد قبيلة مطير بالهجوم على العاملين في المراكز وقتلواهم جميعاً ، باستثناء عامل واحد تركوه لأنه كان قد مات بالفعل . وبرغم ذلك أصر البريطانيون على مواصلة بناء المركز ، وقد أعيد تأكيد هذا القرار في ضوء الهجمات التي بدأ الإخوان يشنونها من جديد على القبائل الرعوية التي قررت ، بعد عامين من الهدوء النسبي ، العودة إلى مناطق الرعي في نجد . أدى استمرار غزو الإخوان للعراق إلى أن يتخذ انتقام البريطانيين منهم شكل الغارات الجوية جيدة التخطيط والتنفيذ . ومع ذلك ، فعندما أصدرت الحكومة البريطانية أمراً إلى قواتها الجوية الملكية بمطاردة الإخوان الغزاه داخل نجد ، لم تعد المشكلة مجرد مسألة داخلية مع الإخوان وإنما تطورت إلى مشكلة دولية تتعلق بالتعدى على سيادة نجد .

(٧) جون باجوت جلوب ، الحرب في الصحراء ، (لندن : هولدر آند ستوتون ، ١٩٦٠)

ص ١٩٣ - ١٩٥ . يورد هذا الكتاب روايه ممتازة ومفصلة للغزوات التي شنها الإخوان على العراق .

وقد استنكرت صحيفه ابن سعود الأسبوعية *أم القرى* هذه الغارات بوصفها استفزازات بريطانية وخرقا لمعاهدة العقير ، وعندما راحت المقالات الإفتتاحيه تستنكر الهجمات الجوية البريطانيه على الخيالة البدائيين المسلحين بالبنادق فقط ، لم تتطرق تلك المقالات الإفتتاحيه مطلقا إلى الخسائر الثقيله التى كان الإخوان ينزلونها بالقبائل الرعويه (٨) المجردة من الدفاع .

وقد عجل فشل الإحتجاجات التى تقدم بها البريطانيون إلى ابن سعود على أمل إعادة الهدوء إلى الحدود عن طريق وقف الغزوات التى يقوم بها الاخوان ، عجل هذا الفشل بإصدار الحكومة البريطانيه أمرها بمطاردة الغزاه داخل أراضي نجد . وقد جاءت ردود ابن سعود على تلك الإحتجاجات غريبه وغير مقتعه . فبينما كان يقوم ، من ناحية ، برفض تلك الإحتجاجات عن طريق تقديم احتجاج مضاد مفاده أن الغارات الجوية كانت تستفز الإخوان ، كان يقوم ، من الناحيه الأخرى ، بإرسال برقيه خاصه إلى الإخوان يلومهم فيها على القيام بالغزو دون ترخيص بذلك . وفى أحيان أخرى ، كان ابن سعود يقبل الإحتجاجات ، ويعد بإنزال الجزاء النظامى بالإخوان ، فى حين انه كان يعبر لهم ، سرا ، عن سروره بالغزوات التى كانوا يقومون بها . وقد كان الدافع وراء تصرف ابن سعود المتوازن هذا هو رغبته فى تحاشي المواجهه المباشرة مع البريطانيين ، مع ممارسة أكبر قدر من الضغط على حكومة العراق المتأثره بالملك حسين . ومع ذلك فقد كان ينوى تحاشي حدوث تمرد بين الإخوان إذا لم يسمح لهم بالحرية المطلقة فى العمل . كان ذلك السلوك بمثابة عمل من أعمال التوازن المتوتر الذى لم ينجح إلا لفترة قصيرة .

ومنذ أن أسس ابن سعود الإخوان ، حذرهم مختلف مستشاريه بأنهم قد يسببون له مشكلة كبيرة . وقد أكد المراسلون البريطانيون بصورة قاطعه أن الإخوان بدأوا يخرجون عن السيطرة ، ومكتب السجلات العامة يحتوى على الكثير من التقارير

(٨) *أم القرى* ، الفترة من ١٩٢٧ - ١٩٢٨ ، مقالات الصفحه الأولى .

التي من هذا النوع . وقد أبدى ألويس ميوسيل ^(٩) ملاحظة دقيقة بعد رحلة قام بها في نجد ، مفادها "لا بد من فرض سلامة الحدود . لم تعد فرصة كسب الغنائم تستهوي الجنود المجندين ، وسوف يتحول الإخوان الذين استعملهم ضد أصدقائه من جيرانه ، إلى مصدر للمتاعب الداخلية" . وقد توقع المراسلون البريطانيون وقوع هذه المتاعب ؛ كما تعرض ميوسيل لهذه المسألة بالتوضيح أيضا .

أما جلوب الذي لم يتردد قط في التعبير عن كراهيته الشديدة للإخوان فقد كان متعاطفا مع ابن سعود . ولذلك حاول تحليل رد فعل ابن سعود المتوازن ، بعد أن تناول المشكله بالوصف والتحديد :

في السنوات الماضية كان خوف ابن سعود من الإخوان رعاياه الخصوصيين يمثل واحداً من العوامل الرئيسية ، وكذلك حاجته الماسة إليهم ، أو السياسة التي حبذاها ، والتي تقوم على الانحناء عنوة أمام التشدد . ومن الصعب أن نقطع بمدى خضوع ابن سعود لهذه السياسة نتيجة ضغط الرأي العام النجدي عليه ، كما يصعب أيضا أن نحدد مدى استفادة ابن سعود من هذه السياسة باعتبارها عذرا ينتحله عند معارضته الاحتجاجات البريطانية ، بل وحتى تجاوزاتهم التي كان يخشاها ^(١٠) .

وقسم جلوب بعد ذلك ، الدوافع التي تقف وراء موقف ابن سعود من الغزوات التي يقوم بها الإخوان إلى أربعة أنواع :

- (١) خوف ابن سعود بحق من تمرد الإخوان عليه إذا ما اعترض على الغزوات التي يقومون بها .
- (٢) الطموح الشخصي الذي كان يتغذى دوما على هجمات الإخوان ، مع أنه ربما لم يكن يصرح بها .

(٩) ألويس ميوسيل ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

(١٠) جون باجوت جلوب ، العلاقات مع نجد ، ١٩٣١ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ١٣٧٣٦ ، الوثيقة رقم إي ٣٢٧٣ .

(٣) عدم ثقته بالحكومة البريطانية .

(٤) إحساس حقيقى بالفخر بالجولات التى كان اتباعه القساة يقومون

بها (١١) .

ومع ذلك فقد كان ابن سعود رجل دولة حصيف عندما أدرك أن تعايشه مع البريطانيين أمر ضرورى إذا أراد أن يحتفظ بسيطرته على مملكته التى حارب من أجلها وكسبها فى النهاية . وتأسيسا على ذلك وافق ابن سعود على الدخول فى مفاوضات مع كل من المسئولين البريطانيين والمسئولين العراقيين فى مدينة جدة التى قبلت الأطراف المختلفة أن تكون مقرا للمفاوضات . كان الوفد البريطانى - العراقى بقيادة السير جلبرت كليتون ، والنقيب جون ب جلوب الذى حضر بوصفه مراقبا صحراويا . وكان الجانب السعودى يضم مستشارى ابن سعود غير السعوديين ، وعلى رأسهم وفى مقدمتهم حافظ وهبه ، المصرى الجنسية . وانعقدت الجلسة الأولى فى اليوم السابع من شهر مايو من العام ١٩٢٨ الميلادى . وبعد أكثر من عشرة أيام من المفاوضات ، انتهى المؤتمر دون أن يتوصل إلى نتائج ملموسة ، ولم يتفق حتى على الموضوعات الهامة . فقد أصر السعوديون على تفكيك القلعة التى انشئت فى بُصَيَّة Busaiya ، بينما حاول الوفد الإنجليزى - العراقى ، دون جدوى ، اثبات أن الموقع إنما هو لفائدة الأمن السعودى . ولم يكن المركز هو العقبة الوحيدة أمام الاتفاق . فقد كان السعوديون يطالبون بمعاهدة لتسليم المجرمين يدخل ضمنها المذنبين السياسيين فى حين كان الوفد الإنجليزى العراقى يصر على استبعاد المذنبين السياسيين من تلك المعاهدة ، برغم أن المعاهدة عبرت عن استعدادها لتقديم تعهد منفصل مفاده أنها لن تسمح لفصيل الدويش بحق اللجوء السياسى إذا ما قرر ابن سعود معاقبته .

وعاد كل من الوفد البريطانى والعراقى إلى العراق بنهاية شهر مايو من العام ١٩٢٨ وكرس النقيب جلوب اهتمامه لقفل منطقة الحدود تحسبا لزيادة حدة الغزوات المتوقعة ليس على أثر فشل المؤتمر فحسب وإنما لأن الإخوان أنفسهم

بدأوا يكشفون المزيد عن عدائهم لابن سعود . وبينما كان الإخوان يركزون جهودهم بصفه أساسيه على الكفار كانوا يتهمون ابن سعود ، بلا حياء أو خجل ، بأنه قد باع نفسه للنصارى الإنجليز ، وأنه تحالف معهم ، على حساب التزامه من قبل بنشر الإسلام ومحاربة الكفار .

ووافق ابن سعود على الاجتماع إلى رؤساء الإخوان الثلاثة في مدينة بريده ، ولكن عندما حان موعد اللقاء تخوف الإخوان وابن سعود من لقاء بعضهم بعضا ؛ فقد كان كل جانب يتشكك في الآخر . وتم الاتفاق بعد ذلك على تأجيل الاجتماع حتى يتمكن ابن سعود من التباحث مع البريطانيين في خلافاتهم مع الإخوان . وبعد فشل المفاوضات التي جرت في جده ، تزايد تهديد الإخوان لابن سعود كما تزايدت أيضا حدة الجرح المفتوح الذي ظهر في الأفق . وأصبح ابن سعود مقتنعا أن الدافع الرئيسي وراء تصرفات قادة الإخوان الثلاثة لم يكن غيرتهم على الدين وإنما تطلعاتهم الشخصية إلى السلطة . وكان يظن أنهم قد اتفقوا فيما بينهم على الغنائم بعد أن يطيحون به : يصبح فيصل الدويش حاكما لنجد ، ويتولى سلطان بن بجاد حكم الحجاز ، ويصبح ضيدان بن حثلين حاكما للأحساء . وهذا التوزيع كان منطقيا من وجهه نظر توزيع القبائل ونفوذ كل شيخ من الشيوخ في المنطقة التي تخصه من تلك المناطق . ومع ذلك ، وبرغم ازدياد الموقف سوء في نجد لم يعد إليها ابن سعود من الحجاز إلا في شهر نوفمبر من العام ١٩٢٨ . وفي ذلك التاريخ ساد التمرد العام بين الإخوان . فقد بدأوا يقومون بالغزو على هواهم ، مما أدى إلى شل حركة ابن سعود في اتخاذ أي إجراء من الإجراءات . لم يكن بوسع ابن سعود أن يعترف بان الإخوان كانوا يقومون بالغزو بدون إذن أو تصريح منه ، نظرا لأن ذلك سيكون اعترافا صريحا منه بعدم قدرته على السيطرة عليهم ؛ ومع ذلك لم يستكن ابن سعود للهجمات الشرسة القاسية التي كان الإخوان يشنونها على القبائل التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولم يرض عن الانتهاكات الصارخة التي قام بها الإخوان للاتفاقات التي أبرمها ابن سعود مع الحكومة البريطانية . وعندما همّ ابن سعود بالقيام بعمل ما كان الأوان قد فات .

نفذ عند هذا الحد ، صبر ابن سعود على الإخوان ممثلين في فيصل الدويش وابن بجاد . لقد حرم ابن سعود استعمال الراديو ، واللاسلكى والسيارات واختراعات أخرى حديثه في الرياض نزولا عند إرادة الإخوان . ومن الواضح أن أيا من تلك الاعمال لم يرضى الإخوان . ومع ذلك فقد أدرك ابن سعود أن الإخوان كانوا يتمتعون بشعبية بين كثير من رعاياه ، نظرا لنجاح كل من فيصل الدويش وابن بجاد في حملة الهمس التي قاما بها بين القبائل والتي مفادها أنهما يمثلان مصالح الإسلام الشرعيه ، وأنهما كانا يدافعان عن قضية الدين ، في حين أن ابن سعود بعد أن أستولى ، بفضل شجاعتهم ، على الحجاز باع نفسه للإنجليز وللنصارى . ومما لا شك فيه أن ابن سعود أدرك أن مواجهة الإخوان أصبحت أمرا لا مفر منه . ومع ذلك ، فقد كان ابن سعود يريد ، عندما يحين موعد هذه المواجهة ، أن يحظى بمسانده أكبر عدد ممكن من رعاياه له ، وأن تكون قضيته واضحة لهم تماما . ورد ابن سعود على المطالب التي قدمها له الإخوان بأنه قادم خلال معركتهم مع الكفار في العراق وفي الأردن بأن عقد اجتماعا حضره ممثلون عن كل العناصر السكانية في نجد (١٢) . وأطلق على هذا الاجتماع اسم *الجمعية العمومية* ، والذي يشار إليه أيضا باسم مؤتمر أعيان الرياض . وقد بدأ المؤتمر في الخامس من شهر نوفمبر من العام ١٩٢٨ (١٣) في الرياض وسط جو من الشك ، وانتهى بعد ذلك بعدة أيام بتقوية قبضه ابن سعود إلى حد كبير .

وتلبية لنداء ابن سعود إلى الاجتماع وصل الى الرياض آلاف القرويين والحضر والعلماء ومشايخ القبائل ، ومشايخ القرى والإخوان من *الهجر* . ونقلنا عن تقرير كتبه النقيب جلوب فقد وصل إلى الرياض ما بين ١٢٠٠٠ و

(١٢) *أم القرى* ، العدد ٢٠٨ ، ١٨ ديسمبر ١٩٢٨ .

(١٣) حافظ وهبه في *الجزيرة* ، يحدد التاريخ على أنه ١٩ أكتوبر ١٩٢٨ ميلادي الموافق الجمعة الأولى من العام ١٣٤٧ هـ ؛ وعلى كل حال فإن التاريخ الصحيح هو ٢٢ جمادى الأولى . بعض المؤلفين الآخرين أمثال بنو ميشان Benoit mechin ، *المصير العربي* ، يورد تواريخ غير صحيحة . كينيث وليامز ، *ابن سعود* يورد الخامس من شهر نوفمبر على أنه التاريخ الصحيح ، والتقرير السري الذي أعده جلوب عن الاجتماع يحدد أيضا مطلع شهر نوفمبر من العام ١٩٢٨ .

١٦٠٠٠ (١٤) زائر . ونقلنا عن ذلك التقرير أقام البدو في خيام خارج المدينة ، في حين أقام الحضر في منازل داخل المدينة نفسها ، ووزعت عليهم البنادق والذخيرة لحماية أسوار المدينة . وأغلقت بوابات المدينة عند الشفق وقامت فرق المدينة بحراسة أسوارها حتى طلوع الفجر ، وكان الحراس يطلقون أعيرة نارية من حين لآخر ليثبتوا أنهم كانوا يقظين ومستعدين في مواقعهم . واحتجز ابن سعود كبار المشايخ ورؤساء هجر الإخوان في الرياض إلى ما بعد انتهاء التراسل الذي حدث بين ابن سعود وكل من فيصل الدويش وابن حميد (١٥) .

الوصف السابق محتمل تماما . ذلك لأن البدو جرى العرف ألا يجرى الاعتماد عليهم إلا قليلا ، لأنهم أقل صلابه من الحضر ، كما أن ولاءهم في تلك الفترة مثار شك في ضوء الدعاية النشطة التي قام بها كل من فيصل الدويش وابن بجاد بين البدو ، ومن هنا يصبح من المنطقي أن يبقوهم ابن سعود خارج أسوار المدينة . وعلى العكس من ذلك ، استضاف ابن سعود أهل الحضر ، الذين يؤيدونه منذ زمن طويل ، داخل المدينة . وقد خسر أهل الحضر الكثير نتيجة التمرد الذي قامت به قوه همجيه من البدو : فلم يكن الحضر يخشون فقط عبارة البدو الدينية المتشدده ، وإنما كانوا يخشون أيضا الفوضى والسلوك غير المسئول اللذان أحدثاهما في النظام العام . وأخيرا فإن الاحتفاظ بقيادة الإخوان رهائن ، تحت ستار الضيافه والكرم ، كان يتناسب مع التقاليد القبليه . وقد أدى ذلك الإجراء العملي إلى إبعاد رؤساء الإخوان عن التآمر مع كل من فيصل الدويش وابن حميد ومن تنسيق جهودهم مع جهودهما . وبناء على ذلك ، فقد كانت الصورة تشبه من جديد ذلك الموقف الذي ساد في فترة ما قبل العام ١٩١٢ أي قبل تأسيس حركه الإخوان : البداوة ، عدم التحضر ، حب النفس ، وعدم الولاء إلا للقبيله فقط ؛ في حين كان الحضر يبحثون

(١٤) تقرير جلوب من بوسيه ، ١٩٢٩ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، المجلد رقم ١٣٧١٣ ، الوثيقه
إى ١١٤ . قالت أم القرى إن أكثر من ٢٥٠٠٠ شخص تشرفوا باستضافه الملك لهم خلال تلك الفترة .

العدد ٢٠٨ (١٨ ديسمبر ١٩٢٨)

(١٥) جلوب ، مرجع سابق .

عن حاكم قوى وبحاجه ماسه إليه كى يشكل شكلا من أشكال الحكومة المركزيه ويفرض سيطرته على البدو .

وفى اللحظة نفسها التى كان بعض ممثلى قبيله مطير والعجمان ، وعتيبه يتعهدون فيها بالولاء لابن سعود فى الجمعيه العموميه ، كان هناك ممثلون آخرون قد التزموا بالفعل بالقتال تحت لواء رؤسائهم المتمردين من الإخوان ، وعندما آن أوان ذلك لم يترددوا فى خوض القتال .

وبرغم وصول مئات المندوبين ، فإن الكثيرين من المؤيدين المخلصين لابن سعود ، الأغلبيه بلا شك ، حضروا الإجتماع بلا أى التزام مسبق ، انتظارا منهم للوقوف على مدى قوة ابن سعود ، وليقيموا فرص انتصاره على المتمردين . والبدو لديهم القدرة على استشعار نبض القوة بسرعة كبيرة . ففى الأراضى التى يكون الحرمان من الماء فيها ناتجا عن منع استعمال الآبار وهو ما يتساوى بانتحار القبيله الجماعى ، تصبح المرونه السياسيه هى الموضه السائدة . ويمكن لنا أن نقول عن اقتناع إن البدو متقلبين نظرا لأن بيئتهم وأسلوب حياتهم يتطلبان ذلك حتى يبقوا على قيد الحياه . لقد كان ابن سعود مدركا لذلك تماما ؛ ولذلك سمح بشيئ من الاستعراض اللائق بعصر أكثر تحديثا .

ولم يكن بالإمكان إتاحة الفرصة لكل من وصلوا إلى الرياض لحضور المؤتمر أو التحدث اليه نظرا لكثرة عددهم . ولذلك أعد القائمون على أمر المؤتمر قائمه تضم حوالى ثمانمائيه مندوب وتم عرضها على ابن سعود للموافقه عليها . وفى ضوء وصف تجهيزات المؤتمر ومحاضر الإجتماعات التى نشرتها جريدة أم القرى يتضح أن ابن سعود اتفق وقتا طويلا فى التخطيط للمؤتمر . فقد اختار شرفه كبيرة من شرفات قصره لتكون مكانا للإجتماعات . وبعد أن وافق ابن سعود على القائمه التى قدمت إليه ، أمر بتوجيه الدعوة إلى كل منهم على حده ، وتحدد تاريخ وموعده عقد الإجتماع بالساعة الثانية صباحا من اليوم الخامس (١٦) من شهر نوفمبر من العام ١٩٢٨ الميلادى . وقد خصصت غرف انتظار خاصة لكل جماعة من

(١٦) حسب التوقيت الشمسى . هذا يوافق مرور ساعتين على طلوع الفجر .

الجماعات ، وروعى في ذلك وضع الحضر في غرفه واحدة ، والزعماء الدينيين في قاعه أخرى ، والإخوان في قاعه ثالثة . وقبل نصف ساعة فقط من بدء أعمال المؤتمر جلس ابن سعود في المكان المخصص له يحيط به أفراد عائلته . ثم استدعى بعد ذلك المندوبين طبقاً لمنازلهم : بدأ العلماء أولاً بشغل الصف الأمامي من ناحيتي الشمال واليمين (١٧) . وبعد أن جلس العلماء في أماكنهم ، أمر بإدخال الحضر والقرويين ، الذين جلس بعض منهم خلف العلماء ، وبعض آخر في الخلف وعلى جانبي الشرفه . ثم أمر بعد ذلك بإدخال الإخوان ورجال القبائل . وجلس الإخوان ورجال القبائل حسب الهجرة والقبيلة ، وجلسوا صفاً بعد صف في مواجهة الملك . وقد استغرقت عملية الجلوس حوالي خمس عشرة دقيقة تقريباً .

وقد زودت الغرف المؤدية إلى الشرفه بالسجاد والمساند ، شأنها في ذلك شأن مكان الاجتماع الرئيسي ، حتى يستفيد منها الأشخاص الذين سيستمعون إلى محاضر الاجتماع . كما جهزت غرفة أخرى مماثلة في الطابق الثاني للأشخاص الذين لن يستمعوا إلى محاضر الاجتماع أو يتكلموا فيها .

ثم نهض ابن سعود ، بعد تقديم القهوة ، للتحدث إلى المؤتمر . وبعد أن حكى ابن سعود كيف نصره الله بعون منه ومن أربعين من أصدقائه المقربين ، وكيف وجد هؤلاء الأربعين متفرقين ، يقتل كل منهم الآخر ، وبعد أن حكى كيف جمعهم إخواناً وكيف حقق المجد لهم ولقبيلتهم ، عرض أن يستقيل من منصبه . وأوضح للجميع تماماً أنه لم يفعل ذلك خوفاً من أي واحد منهم ، أو من أي جماعة منهم ، وإنما لأنه لا يريد أن يحكم أناس لا يريدونه حاكماً لهم ؛ والأهم من ذلك كله أنه لم يكن يود أن يرتكب خطيئته الكبرى . لقد كان راضياً عن أن يخلو إلى نفسه ليتفرغ إلى عبادة الله . وأشار إلى أفراد الأسرة المالكة الذين كانوا يحضرون الاجتماع ، وطلب إلى المجتمعين أن يختاروا واحداً منهم لتولى الحكم ، وأنه سوف يوافق على قرارهم . كان ابن سعود يعلم علم اليقين أنه يتحدث إلى مجموعة من الناس الذين لا

(١٧) أم القرى ، العدد ٢٠٨ .

يثقون ببعضهم بعضاً أكثر من عدم ثقتهم به هو شخصياً . كان ابن سعود يعرف أن أحداً أو جماعة لن تقبل العرض الذي تقدم به ، باستثناء مندوبى كل من فيصل الدويش وابن بجاد اللذان لم يحضرا المؤتمر . لو يوافقوا على عرضه فإنهم سيخسرون الكثير ؛ فسوف يعرض كل حزب منهم نفسه لأحقاد وعداوات الحزب الآخر دون أن يكون هناك درع قوى مثل ابن سعود يقوم بفصل كل منهما عن الآخر ، ورفض المندوبون العرض رفضاً قاطعاً وهم يصيحون قائلين : "لن نرضى بغيرك بديلاً يحكمنا" . وبعد ذلك مباشرة ، وفيما يشبه الاداء المنظم ، طلب ابن سعود من الحاضرين أن يقولوا ما يريدون . ووعد بالآل يعاقب أحداً مطلقاً على ما سيقوله في المؤتمر .

وبرغم أن المؤتمر كان قد دعى من الناحية الشكلية لمناقشة الأخطار التي ترتبت على انتهاك البريطانيين لبرتوكولات العقير ، وانتهاكهم لسيادة نجد عن طريق الغارات الجوية التي قاموا بها على القبائل ، فإن كل من حضروا المؤتمر كان يعرف أن موضوع المؤتمر كان ابن سعود نفسه . هل استطاع ابن سعود أن يبرر موقفه من كل من الإخوان والبريطانيين ، وبخاصة أن هذين الموقفين لا يمكن التوفيق بينهما ؟

وتكلم ممثلوا العلماء في البدايه . وأقسموا أنهم لم يكتشفوا قط أى فتور فى غيرة ابن سعود على الدين ، أو اخلاصه لنشر الإسلام . وأردف العلماء قائلين إنه إذا كان قد ارتكب بعض الأخطاء ، فذاك شئ طبيعى لأن محمداً (ص) هو الوحيد المعصوم من الخطأ . إن الأخطاء التي ربما يكون ابن سعود قد ارتكبها ، لا تتيح لشعبه أن يدير له ظهره ، أو أن يدير هو ظهره لشعبه . واختتم العلماء حديثهم قائلين : إنهم لم يتحدثوا خوفاً من ابن سعود ، لأنهم بوصفهم علماء يتعين عليهم إرشاد الناس وتوجيههم . لقد كان قرار العلماء أميناً وصادقاً .

ثم تكلم بعد ذلك أعضاء من الإخوان ، وكان المتكلمون الرئيسيون يمثلون نواب عن فيصل الدويش نيابة عن قبيله مطير ، وتكلم نيابة عن مشايخ قبيله حرب كل من البحيماح ، والفرم والطويبي وابن بخيت ، كما تكلم ابن الربيعان ممثلاً لقبيله عتيبه وابن عمار وابن خسر ممثلاً لقبيله قحطان . وأقر الجميع بمساعدة ابن سعود

لهم ، وأعترفوا بقيادته واحترامه لضعافهم ومسنينهم ، كما نسبوا إليه فضل بناء مساجد لهم في **الهجر** وإرسال دعاة لهم لتعليمهم الدين الصحيح . لم يشكوا أبداً في كل ذلك . ولكنه يتعين عليه ألا ينسى أنهم تخلوا عن أساليبهم الرعوية الترحالية ، وهجروا قبائلهم ، واثروا في بعض الأحيان تلبية لندائه لهم باتباع الدين الصحيح ، وأن يجاهدوا في **سبيل الله** ، وأن سيوفهم ودماءهم هي التي جلبت له النصر .

وبعد أن قطع بهم ابن سعود تلك المسافة من الطريق ، فإنهم يريدون الآن أن يستوضحوا منه بعض النقاط قبل أن يتبعوه دون قيد أو شرط ، والسبب في ذلك أنهم كانوا يخشون غضب الله أكثر من ابن سعود . وتم الرد على بعض الأسئلة التي كانوا قد طرحوها على ابن سعود من قبل ؛ واقتنع بعض الإخوان بهذه الردود ، ولكن بعضاً آخر منهم لم يقتنع . وهم الآن يودون طرح الأسئلة التالية على ابن سعود ، وعلى العلماء مجتمعين ، وأقسموا على أن يتبعوا ما يقول به العلماء :

- (١) مسأله التلغراف (الأتيل) . هي من وجهه نظرهم نوع من الشعوذه والسحر ، ولما كان الإسلام يحرم السحر . فهل يمكن للمسلم الحقيقي أن يستعمل التلغراف دون أن يضر بالدين ؟
- (٢) مسألة حض القرآن على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . هل كان ابن سعود يوفد الدعاة الدينيين إلى المناطق التي كانوا يفتحونها لهداية أولئك الذين كانوا يزعمون أنهم مسلمين ، إلى الدين الصحيح ؟ لقد كانوا يخشون أن يكون ابن سعود متساهلاً في تلك المسألة .
- (٣) مسألة القلاع التي انشأها البريطانيون في المناطق الحدودية بين نجد والعراق . لقد نفذ صبر الإخوان في هذا الصدد . هل من رأى ابن سعود أن دينه أعطاه الحق لترسيم الحدود في المناطق التي كانت مملوكة لهم ولأجدادهم على مر الأجيال ؟ وبعد أن تعهد ابن سعود على عمل مثل تلك الحدود مع النصارى ، كيف له أن يسمح لهم بخرق

المعاهدة التي أبرمها معهم وتحكم انشاء القلاع في مناطق الآبار ؟ إن النسوة أيضا في المناطق التي كن يعشن فيها يطلبون من ابن سعود إجابته عن هذا السؤال . إن مسألة القلاع لا يمكن السكوت عليها أكثر من ذلك . لقد كانوا على استعداد لقبول حكمه في هذا الموضوع ولكن بالشروط التالية :

(أ) أن يحصلوا من العلماء على حكم مؤسس على الشريعة مفاده أن الإخوان إذا ما سكتوا عن ذلك الأمر ، وترتب على ذلك إضرار بالدين ، أو بالمسلمين ، فإنهم سيكونون أبرياء من الملامة أمام الله .

(ب) أن يضمن لهم ابن سعود شخصا أنه لن يسمح بحدوث أي أذى لهم نتيجة لإنشاء تلك القلاع ، أو لدينهم أو لبلددهم . وأردفوا قائلين : إنه إذا لم يستطع ذلك "فإننا نقسم بالله أننا لن نسمح بقيام تلك القلاع طالما استمرت دقات قلوبنا ، أو بقيت الحياة في واحد منا ، لأننا نفضل أن نموت وأن نقتل جميعا على أن نرى خطرا يهدد ديننا وبلدنا ونسكت عليه (١٨) " .

(٤) مسألة وقف الناس عن القيام بالجهاد . لماذا فعل ابن سعود ذلك وأوقف نشر كلمة الله (١٩) ؟

وبعد إنتهاء المندوبين من إلقاء خطبهم ، طالب ابن سعود بالمزيد ؛ ولكن أحدا لم يرد ، فنادى مرة ثانية وثالثه ، ورد عليه المتحدثون بأنهم قد أفرغوا صدورهم

(١٨) أم القرى ، العدد ٢٠٨ .

(١٩) في تقرير جنوب ، المجلد ١٣٧١٣ ، الوثيقة رقم إي ١١٤ ، يوضح أن المتحدثين أعترضوا على قيام

القبائل بدفع ضريبة الزكاة ، أم القرى ، لم تورد ذلك باعتباره مظهرا من مظاهر استياء المؤتمر .

من جميع المشكلات التي بداخلها . ثم بدأ ابن سعود بعد ذلك في الرد على تلك المشكلات . وفيما يتعلق بمسألة التلغراف والاختراعات الحديثه الأخرى ، طلب ابن سعود من العلماء أن يتحدثوا في هذا الموضوع ، عندئذ بدأ العلماء يقرأون من فتوى سبق إعدادها من قبل وتعبير عن قرارهم في ذلك الشأن ومفادها أنهم طالما لم يجدوا لذلك سابقه في القرآن أو الحديث ولا حتى عند علماء الإسلام المتخصصين في ذلك الموضوع فإنهم يكونوا قد برءوا أنفسهم من هذه المشكله أمام الله . ومع ذلك ، فطالما أن من يعارض ذلك لم يقدم بعد دليلا اسلاميا على ما يقول فإنهم لا يرون حرجا في استعمال التلغراف والاختراعات الحديثه . وفيما يتعلق بالمسلمين المنحرفين عن الدين الصحيح ، كرر ابن سعود على مسامع المتكلمين انه أرسل دعاة إلى كل مدينة وبلده ، بل انه أرسل مؤخرا أيضا دعاة إلى قبيلة في شمال الحجاز هي بني مالك . وقال للحاضرين ، إذا كان مشايخ القبائل لا يؤدون ما عليهم في هذا الصدد ، فإنهم يتعين عليهم إبلاغه بذلك ، وسوف يتصرف بناء على التوصيات التي سيرسلونها إليه . وعن مسألة القلاع ، أبلغ ابن سعود المتكلمين أن تلك القلاع إنما أنشئت بسبب الغزوات التي كان الإخوان يقومون بها . فقد كان البريطانيون يتهمون فيصل الدويش وأتباعه بقتل رجال الشرطه . "أنا ، ابن سعود ، لم أفعل ذلك ، والبريطانيون يقولون إنهم أقاموا تلك القلاع خوفا منكم" .

ورد الإخوان على ذلك قائلين : "أننا بريئون فعلا من أفعال فيصل الدويش ونحن على استعداد لمقاتلته بشرطين :

(أ) أن تقوم أنت بتدمير القلاع التي انشئت مؤخرا والتي نعد وجودها مسألة حياه أو موت بالنسبه لنا .

(ب) أن يعد البريطانيون ألا يحولوا بيننا وبين أولئك الذين يودون معاقبتهم من أمثال يوسف السعدون الزعيم العراقي" .

وأردف الإخوان قائلين : إن القلاع تجرى تقويتها كل يوم "ونحن نصارك أن ديننا وحياتنا في خطر وأن البريطانيين هم الذين بدعوا بالشر" .

وعند هذه المرحلة أدلى العلماء برأيهم في مسألة القلاع . وبناء على هذا الرأي وقف العلماء إلى جانب الإخوان ، وأبلغوا ابن سعود أن القلاع إنما تشكل خطراً على العرب ، والمسلمين وبخاصة أهل نجد ، وأنه لا بد أن يفعل كل ما في وسعه لإزالة تلك القلاع ، وأن الجهد الموجه لإزالته تلك القلاع لا يدخل في حكم الجهاد وإنما الدفاع عن الدين .

وصاح الإخوان ابتهاجا برأي العلماء قائلين : "هل سمعت ما يقولون . نستحلفك بالله أن تقول لنا رأيك في تلك القلاع ؟ ورد عليهم الملك قائلاً : أنا أقول إن ما قاله العلماء صحيح ، وأقسم أنني سوف ابت في الموضوع . وفيما يتعلق بمسألة الجهاد ، فأنا أريد التحدث عنها في مكان آخر وعلى انفراد . ثم طلب إليهم ابن سعود أن يختاروا من بينهم خمسين شخصاً يمثلونهم ويلتقون به . وعندئذ سيقول لهم رأيهم في موضوع الجهاد ، وأنهم سيتوصلون إلى بعض القرارات للبت في الموضوع . وفي ختام المؤتمر قال ابن سعود للحاضرين : "أقول لكم جميعاً ، كباراً وصغاراً إن حياتنا لن تكتمل إلا بالسلام الذي يضمن لنا حقوقنا الكاملة في الدفاع عن حقوقنا وتحقيقها . فإما الانتصار وإما الإحتضار دفاعاً عن مقدساتنا وأمتنا ؛ وأنا أقطع على نفسي عهداً بذلك أمام الله (٢٠) " .

وانتهى المؤتمر بأن وقف سعود الإبن الأكبر للملك ، يقدم له الحاضرين من الضيوف ، ليقوم كل منهم بتقديم قسم الولاء والطاعة من جديد . وبعد تناول العشاء ، اجتمع إلى الملك خمسون شخصاً من الساعة الثانية مساءً حتى الساعة السادسة (٢١) . ولم تذع محاضر هذا الاجتماع ولا المحاضر التي تلت ذلك عن موضوع الجهاد ، اللهم باستثناء القول إن المجموعة والملك قد توصلا إلى قرارات إجماعية عن كيفية تناول موضوع الجهاد .

وانتهى المؤتمر بحصول ابن سعود على تأييد كل من العلماء والإخوان له في مواجهته كل من فيصل الدويش وابن بجاد ؛ ومع ذلك ، فقد خفف ابن سعود من

(٢٠) أم القرى ، العدد ٢٠٨ .

(٢١) طبقاً للتقويم الشمسي فإن ذلك الموعد يكون قد بدأ بعد ساعتين من غروب الشمس .

تحديد إقامتهما بشروط قبلها هو شخصيا ، وهي تخلص الحدود من القلاع ، عن طريق المفاوضات الناجعة أو بالقوة العسكرية ، وأن يلبي طلب الإخوان للجهاد .

الفصل الحادى عشر

تمرد الإخوان

إحتفظت أغلبية الإخوان ، والعلماء والجماعات الأخرى ذات التوجه الدينى ، فى فترة ما بعد اختتام جمعيه الرياض العموميه (مؤتمر الرياض) بشكل من اشكال الحيادية الحذرة فى النزاع الدائر بين كبار زعماء الإخوان الثلاثة ، الذى أوشك أن يتحول فى ذلك الوقت إلى تمرد صريح . وبرغم بقاء الولاء صادقاً لابن سعود بين هذه الأطراف الثلاثة إلا أنها كانت تتساعل بحق عن الحكمة التى تقوم عليها نشاطاته . لقد كانوا على علم تماما بالنعم المادية التى أصابتهم منذ وصول ابن سعود للسلطة ، إلا أنهم كانوا مقتنعين تماما بأن المتمردين كانت لديهم مظالم شرعية لم يحلها ابن سعود حلاً مناسباً ؛ وقد انتقلت تلك المظالم إلى هجر الإخوان حيث نوقشت مناقشه صريحة وعلمية . وكانت عناصر الرياض غير الإخوانية قد أدركت تلك المظالم أيضاً ، كما كانت تشكل موضوعاً للمحادثات الهامسة التى كانت تدور بين طائفة من أشد الناس إخلاصاً لابن سعود . وكان أصل تلك المشكله يتمثل فى قصور هؤلاء الناس غير المتحضرين عن فهم الضغوط التى كانت تواجه ابن سعود ، وقصورهم أيضاً عن تصور ذلك العالم الأوسع الذى لم يقدمهم اليه وحدهم وإنما معهم أيضاً المملكة كلها . وعلى الجانب الآخر ، فإن ابن سعود لم يقدم حلاً كافياً للمصيبة التى كانت تواجه الإخوان وبخاصة تلك المصيبة التى برع فيصل الدويش فى تقديمها فى رسالة أرسلها إلى الأمير سعود ابن الملك عبد العزيز :

... لقد منعنى أيضاً من غزو البدو . وعليه فنحن لسنا مسلمين نحارب الكفار ولا عرب وبدو يغزو بعضنا بعضاً ونعيش على ما يحصل عليه بعضنا من البعض الآخر . لقد باعدت بيننا وبين اهتماماتنا الدينية واهتماماتنا الدنيوية . صحيح أنك لم تفشل فى أن تفعل كل ما فى وسعك من أجلى ومن أجل أهلى وناسى ولكن إلى أين تذهب بقيه قبائلى ؟ إنهم سيموتون وكيف لنا أن نرضى عن ذلك ؟ لقد كان من عادتك فى الماضى أن تصفح عن كل واحد منا يرتكب خطيئة من الخطايا ،

ولكنك الآن تعاملنا بالسيف وتتغاضى عن النصارى ، وعن دينهم وقلاعهم التى انشأوها من أجل تدميرك يا سعود (١) .

ولم تنجح الجهود المتكررة التى بذلها ابن سعود لحل الخلافات مع المشايخ المتمردين ، وبخاصة ابن بجاد والدويش . ويرجع السبب فى ذلك إلى حد كبير إلى الحقيقة التى مفادها أن كل واحد من المشايخ الثلاثة المتمردين كانت تحرك دوافعه الأساسية مظالم مختلفة عن الاثنين الآخرين ، ولم يكونوا متحدين سوى فى معارضتهم لابن سعود . ومما لا شك فيه أن ابن بجاد كان مسلما آمينا مخلصا يشعر بالقلق البالغ إزاء إتجاه البلاد نحو التحديث ، والإتجاه نحو التعاون الوثيق مع النصارى (٢) . أما فيصل الدويش فقد كانت تحدوه بالقطع مطامح سياسية وسلطوية ، وقد كانت مزاعمه عن الإهتمام بمصير المسلمين الخالصين على العكس مما ينادى به (٣) . أما ضيدان ابن حثلين وقبيلته العجمان لم يكونوا على وفاق قط مع ابن سعود ، ولم ينضوا تحت لواء ابن سعود إلا بعد أن هزمهم هزيمة منكرة فى معركتين رئيسيتين ، ولأن جميع القبائل خضعت كلها لابن سعود . لم يكن أمامهم سوى أن يحذو حذو غيرهم ، اللهم إلا إذا كانوا يريدون من الملك أن يصب عليهم كل عقوباته .

ولم تثمر قط سلسلة الرسائل المتبادلة بين الزعماء ولا المحاولات العديدة لترتيب اجتماعات تلتقى الأطراف فيها وجهها لوجه . وفى الوقت نفسه ، لم يستمر غزو الإخوان فحسب وإنما زاد معدله أيضا . وبينما كان ابن سعود ينشد تسوية عن طرق المفاوضات - أقل كلفة من حيث المال ، والعلاقات القبلية وخطر الصراع على السلطة - اكتشف أن الفرص تفلت من بين يديه ، لتختفى نهائيا عندما غزا

(١) ترجمه رسالة أرسلها فيصل بن سلطان الدويش إلى الأمير سعود ، مكتب الوثائق العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ١٣٧٣٦ - ٣٧١ ، الوثيقة رقم إي ٣٤٥٧ .

(٢) هذا هو الرأى الذى عبر عنه بعض الإخوان ، من أمثال ماجد ابن خثيلة وبعض أعضاء الأسرة المالكة السعودية ، مثل عبد الرحمن بن عبد الله . مقابلات ، الرياض ١٩٦٩ .

(٣) تهديده بالهرب إلى العراق يعد دليلا على ذلك ، ناهيك عن محاولاته الفعلية لطلب اللجوء السياسى إلى الدول نفسها التى وصفها بأنها أعداء الإسلام .

الإخوان ، فى شهر ديسمبر من العام ١٩٢٨ تجار الجمال النجديين العزل فى الجميمة ، فضلا عن غزوهم أيضا لبعض قطاعات الشمر النجديين ، التى كانت عن بكره أبيها رعايا لابن سعود . لقد ذبح الإخوان تجار الجمال . ولم يعد بوسع الإخوان أن يزعموا أنهم كانوا يهاجمون الكفار ؛ وفى المقابل ، لم يطق ابن سعود أن يقف مكتوف الأيدى أمام تحدى زعامته وسلطته عن طريق شن هجمات ، لا يطالها العقاب على رعاياه .

وبحلول شهر يناير من العام ١٩٢٩ الميلادى أفصح ابن بجاد عن نيته فى شن حرب مقدسه ضد العراق - تحدى صارخ لكل من ابن سعود ومؤيديه فى مؤتمر الرياض . وتحرك مع قواته فى اتجاه العراق حيث انضم إلى عناصر فيصل الدويش من إخوان مطير ، وعناصر ابن حثلين من قبائل العجمان التى كانت تشن غزوات متقطعة (٤) على قبائل المنتفق الرعوية .

واستمر الموقف على تدهوره وفسر كثير من البدو الحذرين وكثير من النجديين الذين كانوا يتلقون المسروقات ، سلبية ابن سعود على إنها ضعف منه (٥) . وانتقل ابن سعود إلى القصيم لمواجهة هذا اللفظ من ناحية ولإعداد وتجهيز نفسه لمواجهة عسكريه سافرة ، واتخذ لنفسه جنوداً من الحضر وسكان الواحات الذين كان الكثيرون منهم يتطلعون الى مقاتله الاخوان ليس انتقاما لآخواتهم الحضر الذين قاسوا من غزوات الاخوان فحسب ، وإنما لضمان أمن مستقبلهم وسلامته . وقد شكل هؤلاء الجنود نواة جيش ابن سعود ، وكانوا مثلما قال عنهم جلوب "بالقياس إلى البدو الراكبين الأكثر همجيه شيئاً شبيهاً إلى حد ما بعصابات لندن المدربة أيام الحرب الأهليه الإنجليزيه ، فيما يتعلق بالأفراد المتهورين التابعين للخيالة الهمجيين (٦) " . وانضمت إلى هؤلاء المقاتلين عناصر مواليه لها من مطير ،

(٤) السيد / هنرى بيركت ، أحد المبشرين الأمريكيين فى البصرة الذى كان يركب سيارة مع السيد / شارلز ر . كرين ، وقتل عندما فتحت إحدى جماعات الغزو التابعة لقبيله عتيبه النار على السيارة التى كانا يستقلانها . راجع ، ديكسون ، الكويت ، ص ٣٠٠ .

(٥) تقرير جلوب من بصيّه .

(٦) جلوب ، الحرب فى الصحراء ، ص ٢٨٥ .

مجموعات من قبائل هيثم ، ومعظم قبيله حرب واغلبه شمّر نجد تقريبا وبعضاً من الظفير وبعض الأفراد من عنيزه . وفى الوقت نفسه ، كان ابن سعود قد حصل على تأييد قبيله عتيبه بقيادة الشيخ الربيعان ، وجاء ذلك التأييد بمثابة انتصار حاسم رجّح كفه الميزان ناحيه ابن سعود . ولو انضم الشيخ الربيعان إلى زميله ابن بجاد شيخ قبيله عتيبه ، لجاءت النتيجة الأخيرة لمعركة السّبله مختلفة تماماً . الأكثر من ذلك ، أن المشايخ الثلاثة المتمردين تبادلوا الرسائل مع ابن سعود أثناء استعراضه لجيشه ، على أمل التوصل معه إلى تسوية عن طريق التفاوض ؛ وقد استمرت تلك الجهود إلى ما قبل الليلة السابقة لمعركة السّبله .

وبعد أن اتخذ ابن سعود لنفسه جنداً من منطقة القصيم ، اتجه ناحية الشرق فى اتجاه قوات الإخوان التابعة لكل من ابن بجاد وفيصل الدويش والتي كانت قد تحركت بدورها صوب المنطقة العامة فى الأوطاوية . وبقي ضيدان ابن حثلين هو والعُجْمان فى الأحساء ، متمردين من ناحية الشكل ولكنهم لم يبذلوا أى جهد استهدافاً للمشاركة فى مواجهة عسكرية مكشوفة . وتمركزت قوات الإخوان والقوات الموالية على بعد عدة أميال من بعضها بعضاً فى مساحة منبسطة لا يعترضها سوى ارتفاعات طفيفة فى سطح الأرض . وقد أطلق على هذه المنطقة اسم السّبله ، فقد كانت تقع بين عاصمة الإخوان فى الأوطاوية وبلدة الزلفى القديمة المستقرة . وبدأت الجماعتان المتعارضتان تستقران كل فى معسكره . وعند هذا الحد لم يكن هناك أى تصريح بأى شكل من أشكال الإشتباك ، ويبدو أن الجماعتين إنجرتا إلى العمليات الحربية المكشوفة عن طريق الإهمال أكثر من الحسابات . كان انجرافاً ناحية حرب حاول كل طرف من طرفيها أن يحتكرها لنفسه . فى البدايه أرسل ابن سعود شيخاً وقوراً هو الشيخ عبد الله العنقري ، أحد علماء نجد البارزين إلى معسكر الإخوان لمحاولة اقناع الإخوان بالرضوخ للتحكيم القائم على الشريعة . وباءت هذه المحاولة بالفشل . ثم أرسل ابن بجاد مساعده الشيخ ماجد ابن خثيله ومعه رسالة إلى ابن سعود . وانتهت هذه المحاولة أيضاً إلى لا شئ ، ومعها انسحاب شديد للقوة الإرتجاعية غير المتوقعة . ونقلنا عن بعض الروايات المكتوبة ، فقد دخل ماجد ابن خثيله إلى خيمة ابن سعود ، وأتباعاً لطريقة الإخوان

فى عدم رد السلام على أولئك الذين لا يعتبرونهم مسلمين حقيقيين ، امتنع ماجد عن رد تحية ابن سعود (٧) . وغضب ابن سعود من هذا الإزدراء وأحزنه مضمونه ، وعلى الفور أبلغ ماجد ابن خثيلة أن يبلغ ابن بجاد إنه هو واتباعه أمامهم خيارين لا غير : إما الإستسلام بلا قيد أو شرط ويخضعوا أنفسهم لحكم الشرع أو القتال فى الميدان فى اليوم التالى . وبعد أن فشلت كل من زيارة العنقرى وابن خثيلة ، ذهب فيصل الدويش بنية أن يطلب من ابن سعود أن يأذن له بالنوم فى خيمته ممهدا بذلك لإتهام مفاده أنه تم احتجازه هناك . ويزعم جلوب (٨) إن الدويش تام بالفعل فى خيمة ابن سعود ، وإن ابن بجاد لم ينجح فى محاولة إقناع نجل الدويش ، عبد العزيز أن والده كان أسيرا وأن الإخوان يجب أن يقوموا بهجوم مفاجئ . تزعم بعض الروايات الأخرى أن فيصل الدويش وعد ابن سعود أنه سوف يرسل إليه رد الإخوان المتمردين على مطالبه فى تلك الليلة ولكن لم يصل أى رد (٩) . وهناك بعض ثالث من الروايات يقول : إن الدويش لم يقسم على الولاء لابن سعود فحسب وإنما وعد بمحاولة إقناع ابن بجاد بالتخلي عن التمرد ، وإنه إذا لم ينجح فى ذلك ، فإنه سوف يعود مسالما إلى الأوطان (١٠) . أما روايه جلوب التى تقول إن الدويش بقى فى المعسكر السعودى فهى روايه غير صحيحة . وبدأت معركة السبله فى صباح اليوم التالى ، عند شروق الشمس ، وعندما بدأت المعركة كان الدويش فى جانب المتمردين . ويحتمل أن يكون وهبه صادقا عندما يقول : إن ابن سعود أبلغ الدويش أن "يفك نفسه من الآخرين ، وأنه إذا لم يفعل ذلك فسوف

(٧) عندما سألت ماجد ابن خثيلة عن هذا الموضوع ، بدى مترددا فى البدايه ؛ وعندما الحثت على الإجابة ،

قال انه ألقى تحية السلام على ابن سعود عندما دخل الخيمة .

(٨) جلوب ، الحرب فى الصحراء ، ص ٢٨٦ .

(٩) أم القرى ، العدد ٢٢٤ ، ١٢ أبريل ١٩٢٩ .

(١٠) جلوب ، الحرب .

ينزل به أكبر قدر من العقاب (١١) . ولم يزعم أى مصدر من مصادر الإخوان المعروفة للمؤلف أن الدويش قضى الليل فى معسكر ابن سعود . ومن المؤكد أن الدويش عاد إلى المعسكر فى تلك الليلة والتقى ابن بجاد والزعماء الآخرين . ويسجل وهبه * أن الدويش أبلغ الإخوان أنه شاهد فى معسكر ابن سعود جيشاً من الطبّاحين والرجال الناعمين الذين اعتادوا النوم على الوسائد . وبينما يسجل جلوب أيضاً أن تلك القصة شاعت أيضاً بين الناس فإنه يصدّق تماماً عندما يقول إننا ربما لن نعرف مطلقاً ذلك الذى قاله الدويش بالضبط للإخوان . والمؤكد أن فيصل الدويش عندما عاد إلى الإخوان قرر عدم الرضوخ واتخذ قرار الحرب .

وفى صباح اليوم الثلاثين من شهر مارس تواجه الجيشان (١٢) ، والمؤسف أن عدد الإخوان كان يفوق عدد المؤيدين لابن سعود بنسبة لا تقل عن ثلاثة إلى واحد (١٣) . ومع أن الإخوان كانوا فى الماضى يحققون انتصارات كبيرة أمام عدو كان يفوقهم عدداً ، فإن عدوهم فى ذلك الحين كان القبائل الحجازية وقوات الشريف

(١١) أورد كل من وهبه وصقر هذه الرواية ، وأضافا عليها إن ابن سعود أبلغ الدويش بأن يعود إلى معسكره وأن يقضى الليل فيه ، لأنه توقع أن تكون محاولة الدويش فحاشة . وهبه ، الجزيرة ، ص ٣٠٤ ، العطار ، صقر ، ص ٤٢١ .

* كانت الرواية التى نقلها حافظ وهبه عن "بعض الإخوان الذين كانوا مع العصاة" كما يلى : "رأيت حضرباً ترتعد فرائضه من الخوف ، وليس حوله إلا طبّايخ (طهارة) لا يعرفون إلا النوم على الدواشج (المراتب) ابشروا يا إخوان . لقد وجدت لديهم خللاً كثيراً وأموالاً عظيمة ، فابشروا بالكسب والغنيمة ، وسنقهر هذا الطاغوت غداً ونستولى على ماله" (انظر : حافظ وهبه جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٩٦ ، ط ٣ ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ القاهرة النهضة المصرية) (المراجع)

(١٢) ديكسون ، الكويت ، ص ٣٠٣ يزعم أن ابن سعود قام بهجوم صباحى مفاجئ عندما كان الإخوان يزالون تحت تأثير استمرار المفاوضات . ولم يتقدم أحد من الإخوان الذين التقاهم المؤلف بهذا الاتهام ، وبدلاً من ذلك ، وصفوا للمعركة بنفس الوصف الذى أوردته لها جريدة أم القرى ، العدد ٢٤ ، ١٢ أبريل ١٩٢٩ .

(١٣) العطار ، صقر ، يورد تقريراً مفاده أن قوات ابن سعود زادت على ٢٨٠٠٠ رجل ، منها ٨٠٠٠ من الحضر ، ٢٠٠٠٠ من الإخوان والبدو . ويتباين تقدير عدد الإخوان ، ولكن يتفق الجميع أن قوات الملك كانت أكثر منهم عدداً بدرجة كبيرة .

حسين ، وليس أبناء عمومتهم التجديين الأشاوس . وقد وصفت جريدة أم القرى المعركة على النحو التالى :

. . . أمر الملك بإحضار فرسه ، وامتطى صهوته ، وتناول بندقيته ولف حزامه من حول خصره وقاد حصانه إلى المقدمة تحيط به حاشيته الراكبه أيضا . كان مشهد المعركة غريبا . وقد اصطفت القوات على شكل خط واحد طوله ثلاثة أميال أو ما يزيد على ذلك وترفرف راياتها فى الهواء . وتولى صاحب الجلالة قيادة المنطقة المركزية ، ووضع أخيه الأمير محمد قائدا للخيالة عن يساره وعين ابنه الأكبر الأمير سعود قائدا للخيالة عن يمينه . ثم أمر صاحب الجلالة القوات أن تتقدم إلى الأمام . كان الخصوم قد اتخذوا تحصينات يحمون بها أنفسهم . وعندما اقترب الطرفان كل من الآخر ، وبدأت المعركة بين المشاه ، تقدم أبناء صاحب الجلالة ، وأبناء إخوانه وأبناء عمومته إلى مقدمه الخياله وأبلوا فى القتال بلاء حسنا إلى أن دحروا خيالة الخصم وحطموا مقاومة المشاه . وبعد نصف ساعة فقط هرب المذبذون وفى أعقابهم قوات الملك تطاردهم . ولم يقتل أولئك الذين تخلوا عن أسلحتهم وبعد مرور ساعة واحدة انهزم المذبذون وأجهزت قوات الملك عليهم . وبعد أن أنتهت المعركة عاد صاحب الجلالة على حصانه وهو يشكر الله على عونـه له ، وبعد ذلك قام بالتفتيش على القوات ثم أمر بعد ذلك بتسريحها (١٤) .

استغرقت أهم مراحل المعركة حوالى نصف ساعة فقط ، أتضح بعدها أن الإخوان لا يمكن لهم أن ينتصروا فيها . واستسلم بعض المتمردين . وبعد ذلك بساعة واحدة انتهى القتال تماما مع ابن بجاد وفيصل الدويش الذى هرب من ميدان القتال بعد أن جرح جرحاً بليغا . وفى صبيحه اليوم التالى أرسلوا وفدا يطلب العفو

والسماح (١٥) . ووعد ابن سعود باتقاذ حياتيهما ، ولكن على أن يخضعا لحكم الشرع . ونظرا لأن فيصل الدويش كان قد اصيب إصابه بالغة ، فقد سمح له ابن سعود بالعودة إلى الأرطاوية شريطه أن يسلم نفسه للرياض عندما يشفى . وفيما يتعلق بابن بجاد ، لم يسمح له بالدخول إلى معسكر ابن سعود والسبب فى ذلك أن القوات كانت غاضبه منه تماما ، وكان الملك يخشى على حياة ابن بجاد من القوات ؛ وأمره الملك أن يستسلم إما فى الرياض أو فى شقراء بدلا من معسكر ابن سعود (١٦) .

ولم يشارك ضيدان بن حثلين مشاركته فعالة فى التمرد واحتفظ بقواته فى الأحساء ، ومن هنا أمكنه أن يتحاشى الصدام المباشر مع ابن سعود . وبعد المعركة التقى ابن سعود العلماء الذين كانوا يصاحبونه ومن بينهم الشيخ عبد الله العنقرى ، والشيخ عبد الله ابن زاحم ، الشيخ أبو حبيب الشثري ، إضافة إلى القادة ورؤساء القبائل المهمين والذين بلغ عددهم حوالى ٢٠٠٠ رجل . وقد ابلاغهم الملك فى الخطاب الذى القاه عليهم أن :

- (أ) إن القرآن والسنة يجب أن يكونا الأساس الذى تبنى عليه القرارات الخاصة بالدين وليس التفسير الشخصى .
- (ب) يجب طاعة الملك طبقا لما ورد فى الشرع .
- (ج) يجب ألا يسمحوا لرجالهم بعقد اجتماعات لمناقشه الدين أو المسائل الدنيويه بدون موافقه من الملك .

(١٥) كان وفد فيصل الدويش مكون من النساء اللاتى كن من بينهن والدة عبد الرحمن الدويش ، التى كانت مصدرا من مصادر المؤلف فى الأرطاوية . (كانت شقيقه فيصل الدويش وكان اسمها ولهاء) . يطلق على النساء المحجبات لفظى مغسّطايه . وصف جريدة أم القرى ، العدد ٢٢٤ وصول النساء قائله : " . . . عندما يشاهد صاحب الجلالة النساء وهن يطلبن العفو والسماح بكى وبكى معه الحاضرون لذلك المنظر المؤسف . وتأثر قلب صاحب الجلالة وتحركت قلوب القوات وقبل استعطاف النساء . . . " (١٦) أم القرى ، العدد ٢٢٤ .

(د) يجب أن يحترموا المسلمين وأولئك الذين يحميهم المسلمون (١٧) .

لقد خرق الإخوان هذا المبادئ وخرجوا عليها ، وأوضح الملك للمجتمعين توضيحا لا لبس فيه ، إنهم يمكن أن يتعرضوا لنفس المعاملة التى عامل بها الاخوان إذا ما أخلوا بتلك المبادئ أو خرجوا عنها .

وبعد أن أنتهت معركة السبله ، قرر ابن سعود عدم مطاردة المتمردين (١٨) على أمل أن يعدلوا من سلوكهم فى الفترة التى عاد خلالها إلى الحجاز لأداء فريضه الحج ، وأن يتدبروا أيضا خلال تلك الفترة أخطاءهم ويقفون عليها . ومع ذلك ، فإن فشل ابن سعود فى استعمال النصر واجتثاث مشكلة التمرد من جذورها اضطره أن يعود فورا لاختماد تمرد ثان . ولكنه فى هذه المرة دفع بكل جهوده وإمكاناته العسكرية إلى المعركة ، مستفيدا طول الوقت من تنسيق خطته العامة وعملياته مع البريطانيين .

وبينما كان ابن سعود فى الحجاز أدى حادث يخص قبيله العجمان إلى اضرام النار فى المنطقة الشرقية بكاملها ووحد كلا من عناصر البدو الإخوان فى مواجهه ابن سعود ، ولم يكن لدى الكثيرين من هؤلاء البدو الإخوان نية مبيتة للإشتراك فى تمرد آخر . وليس معنى ذلك أنه كان سيحول دون وقوع التمرد الثانى . ومهما يكن من أمر ، فإن ما حدث للعجمان كان بمثابة عامل مساعد للثورة الجديدة فضلا عن انه وسّع مجال المشاركين وزاد من أعدادهم .

سبق أن قلنا ، إن ضيدان بن حثلين لم يشارك فى المعركة التى جرت فى السبله . لقد كان فى حالة تمرد سلبى ومن المنطقى أن نصدق إنه بعد نكبة الإخوان فى السبله لم تكن لدى ابن حثلين أية خطط لمواجهه ابن سعود عسكريا . والأكثر من ذلك ، أن ابن سعود نجح فى تقسيم العُجمان مثلما فعل بالعتبان وذلك عن طريق مناصرته لمشايخ القبائل المتصارعين . إن مساندته لـ - نايف ابن حثلين فى مواجهة ضيدان أضعفت القوة المقاتلة فى القبيله . وفى ذلك الحين ، أرسل أمير

(١٧) المرجع السابق .

(١٨) أم القرى ، العدد ٢٣٩ ، ٣١ يوليو ١٩٢٩ .

الأحساء عبد الله ابن جلوى ، ابنه فهد وبصحبه نايف ابن حثلين وقواتهما لأسر ضيدان الذى كان قد استقر فى هجرته فى الصَّرَّار . كانت قوات فهد تتكون فى معظمها من الحضر من أهل الهفوف ، فى حين كانت قوات نايف من العجمان بطبيعة الحال . وقبل أن يصل فهد إلى الهجرة أرسل مذكرة إلى ضيدان يقول له فيها : إنه يريد أن يتحدث معه فى أمر إمكانية غزو بعض المتمردين فى المنطقة ؛ ودعى ضيدان فهد إلى دخول الهجرة ولكنه رفض الدعوة ، وطلب إلى ضيدان أن يقابله فى المعسكر . وعلى العكس من نصيحة مستشاريه ، ذهب ضيدان إلى معسكر فهد ، حيث قيده بالسلاسل والأغلال بعد تناول القهوة العربية التقليدية ؛ وعندما لم يعد ضيدان فى تلك الليلة حتى العشاء ، تألب العجمان على كل من فهد ونايف . وشهدت المعركة التى دارت على أثر ذلك على فشل فهد وقواته فيها ، وفى تقدير سيئ منه ، أمر واحداً من رجاله أن يقتل ضيدان والذى قام بقتله فوراً . وبعد أن شاهد نايف واحداً من أسرته وقبيلته يقتل ظلماً ، وخروجاً على القواعد العربية التى تحكم الضيافة ، انقلب على فهد وانضم إلى العجمان مرة ثانية ، وتولى القيادة التى خلت بعد اغتيال ضيدان . وقتل فهد بعد ذلك بيدي واحد من العجمان الذى استولى على كل مؤن وخيول قوات فهد ، التى قتل معظمها . واتجهت قوات العجمان الموحدة صوب الشمال للإبضام إلى اتباع فيصل الدويش من إخوان مطير (١٩) .

وعندما علم ابن سعود وهو فى الحجاز ، بمقتل ضيدان والطريقة التى أُغتيل بها ، كان يعلم أن تمرداً سوف ينشأ على أثر ذلك . وكانت قد وصلتته بالفعل تقارير عن شفاء فيصل الدويش ، وعن تزايد حبه للحرب ، والغزو ، وقرر ابن سعود وضع حد فاصل لتمرد الإخوان باستعمال كل ما لديه من قوة عسكرية ، وتأييد دبلوماسى ، والوسائل الآلية والحديثة المتاحة له . ولا يمكن لأى حملة من الحملات التى يشنها على الإخوان أن تنجح بدون التعاون مع البريطانيين . ومن ثم ،

(١٩) محمد ابن عبد الله العبد القادر الأنصارى الأحسائى ، تاريخ الأحساء ، شركة الرياض للنشر ،

١٩٦٠ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ . راجع أيضاً ديكسون ، الكويت ، الذى يورد نصاً مختلفاً اختلافاً طفيفاً .

استطاع قبل مغادرته الحجاز ، أن يحصل من البريطانيين ، عن طريق التفاوض ، على وعود بأنهم لن يسمحوا لأى من البلدان الثلاثة التى يحكمونها ، الكويت ، الأردن ، والعراق أن تعاون الإخوان أو تساندهم أو تأويهم ، وإذا ما سمح للإخوان بعبور الحدود والبقاء فى أى من الدول الثلاث باعتبارها ملجأ ، فإنه سيكون من حقه مطاردتهم داخلها مطاردة ساخنة . واشترط البريطانيون على ابن سعود شرطاً واحداً ، هو ألا يقتل أحد من الإخوان الذين يكونون قد لجأوا الى البريطانيين وأعادهم البريطانيين إلى ابن سعود . وقبل ابن سعود بذلك الشرط ، غير أن ابن سعود استدرك إنه بغض النظر عن حياتهم التى سيقى عليها ، فإنهم سيحاكمون طبقاً للشريع .

وبمجرد أن أصدرت حكومة صاحب الجلالة قراراً بعدم مسانده الإخوان سرّاً على الوقوف فى وجه ابن سعود وذلك فى محاولة من بريطانيا لإضعاف الجزيرة العربية حتى يمكنها السيطرة عليها ، وحتى لا تهدد اتباعها الهاشميين فى كل من العراق والأردن وأسرة آل صباح الحاكمه فى الكويت ، بمجرد أن أصدرت حكومة صاحب الجلالة ذلك القرار جاء منسجماً مع المصالح البريطانيه وتأييد ابن سعود فى تصديه للإخوان . كانت الدوائر الهاشميه فى كل من الأردن والعراق وكذلك آل صباح فى الكويت جميعاً يساندون الإخوان ، على أمل تنصيب فيصل الدويش أميراً على إمارة صغيرة تسيطر على المثلث الذى يربط بين الدول الثلاث . ومما لا شك فيه ، أن بعض الأسلحة والمعدات والأموال والمؤن التى وصلت فيصل الدويش ، جاءت من هؤلاء المتعاطفين معه ، ولكن الخطط التى من هذا القبيل لا يمكن أن تكون حقيقة واقعة فى غياب المساندة البريطانية المستمرة (٢٠) .

وعملًا بالتقاليد التجديده قام ابن سعود بتسريح قواته كلها بعد معركة السبله ، ولم يبق منها سوى بعض المفارز المستقله التى كانت تحت قياده شقيقه مساعد

(٢٠) محمد أسد ، الطريق إلى مكة ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ ، يقدم النظرية التى تأسست على نشاطاته السريه ،

التي يزعم فيها انه كان نائباً فيها عن ابن سعود ، والتى تقول إن "قوة أوربيه كبيره" كانت تقف وراء ذلك التمرد ، ويشير بقوة إلى بريطانيا العظمى . ومعلومات محمد أسد تورد دليلاً مقنعاً على أن

الكويت كانت تساند التمرد .

وعبد الله آل - جلوى ، والسبب فى ذلك أن الجنود كانت تجرى تعبئتهم للقيام بمهمة محددة ثم يعاد تسريحهم ثانية بعد اكتمال المهمة . ولم يعد لعناصر الإخوان المقاتلة فى الأرطاوية والغطط وجود نظرا لأنهم أصبحوا أعداء . واضطر ابن سعود إلى العودة إلى نجد ، ليجند جيشا ويبحث عن المال والسلاح . وقصد البريطانيون يطلب منهم سلاحا ، إذ طلب منهم ما لا يقل عن ٣٠٠٠ بندقية لى - انفيلد" و ١٠٠٠ صندوق من الذخيرة . كما طلب منهم أيضا إمداده بسفينة نقل جنود لينقل بها ١٠٠٠ من رجاله من جده إلى العقير (٢١) .

وبعد أن اتخذ ابن سعود تلك الاحتياطات توجه إلى الرياض ، بعد أن أوفد إلى مشايخ قبائل عتيبة الموالية ، مراسلين يطلبون إليهم ومعهم أعيان القبائل الآخرين الحضور إلى مدينه الدوادمى لحضور اجتماع مع ابن سعود . كان الجزء المتمرد من قبيلة عتيبة فى السبله . وكان البعض منهم لم يتم إخضاعهم بعد ، أما البعض الآخر ، الذى لم يكن فى حالة تمرد نشطة ، لم يكن قد صالح نفسه بعد مع الهزيمة ؛ وكان هناك بعض ثالث خارجا على النظام نظرا لهروبهم من ابن سعود بعد المعركة ، ولكنه لم يكن قد عفا عنهم بعد . ووصل ابن سعود إلى الدوادمى فى اليوم التاسع من شهر يوليو من العام ١٩٢٩ . وفى خيمة كبيرة ، نصبت لهذه المناسبة ، التقى حوالى ٢٠٠٠ من قبيلة عتيبة بقيادة مشايخهم : عمر ابن عبد الرحمن ابن الربيعان ، شيخ الروقه ؛ جحيج بجاد ابن حميد ، شقيق سلطان ابن بجاد الذى سجن بعد هزيمته فى معركة السبله . كان جحيج شيخا للمقاطه ؛ مناحى الحيضل الذى كان شيخا للبرقه ولكنه أصبح الآن شيخا للدعاجين ؛ سلطان أبا العلا شيخ الأسماح ؛ خالد ابن جميع ، شيخ الروضان (٢٢) . وفى الاجتماع كشف ابن سعود عن خططه للهجوم على العجمان ، وطلب مساندة إن لم تكن إيجابيه فلتكن سلبيه على أقل تقدير ؛ كان العتيبان موزعين على أكثر المناطق حساسية فى مملكه ابن سعود ، بمعنى أنهم كانوا موجودين فى أقصى الجزء

(٢١) المساعدات العسكريه لابن سعود ، مكتب السجلات العامة ، ١٩٢٩ ، مخطوطات ، المجلد ١٣٧٣٦ ،

رقم الوثيقيه . إي ٢٣٨٠ ، ٨ مايو ١٩٢٩ .

(٢٢) /م القرى ، العدد ٢٣٩ ، ٣١ يوليو ١٩٢٩ .

الشرقى من الحجاز وفى الجزء الغربى من نجد . ومن الممكن أن يؤدى عداوة العُتبان لابن سعود عندما كان يقوم بإخضاع العُجمان فى الاحساء إلى تهديد سيطرته على الحجاز والأرض الواقعة بين الرياض والغرب . ونظرا لأن ابن سعود كان يتطلع إلى إصلاح سياساته ، فقد طلب إليهم أن يساعدوه . وفى حديثه إلى المجتمعين ، أبلغهم أن بينهم ثلاثة مجموعات ، واحدة مخصصة لدينها ، وموالية له . والمجموعة الثانية انتهازيه . أما المجموعة الثالثة فهى أصغر المجموعات الثلاثة ، وتشتمل على نواة المتمردين . ثم أوضح لهم بعد ذلك أن أصبح فى ورطه بعد معركة السبله : فإما أن يفوته الحج ، (وسوف يكون ذلك من قبيل عدم الحكمة بوصفه إماما) حتى يتسنى له البقاء فى نجد ويحاول تأديب الإخوان ، أو يعود إلى الحجاز . ومع ذلك استشعر ابن سعود أن مسأله تمييز المتمردين الذين كان الحقد يملأهم عن أولئك المتمردين المضللين كانت صعبه تماما ، ومن هنا قرر الذهاب إلى الحجاز لأداء الحج . وعلى أية حال ، كان العُجمان قد رفعوا لواء الثورة وخطط ابن سعود "للهجوم عليهم عند طلوع هلال ربيع الأول (٧ أغسطس) . ولن أوافق على بقاء أى واحد على قيد الحياة من أولئك الذين يكونون قد اشتركوا فى معركة السبله وقاتلوا المتمردين فيها . إن من يحارب إلى جانبنا ينتمى إلينا ، ومن سيتخلف عن القتال بدون سبب شرعى سوف يقتل ، أو تسحب منه أسلحته وحصانه (٢٣) " . ثم عفا الملك بعد ذلك عن أولئك المتمردين من قبيله عتيبه الذين حضروا الاجتماع ، واستجابة لرجائهم وسع الملك عفوه ليشمل الغائبين أيضا شريطة :

(أ) إنه إذا كان من بينهم مجرما بالقول أو الفعل فسوف تبذل الجهود لإصلاحه ؛

وإذا ما رفض ذلك ، فسوف تتم محاكمته ومقاضاته طبقا للشرع .

(ب) إن الدولة لها الحق فى معاقبة المجرمين الذين ينهبون المسافرين ويداهمونهم ويقطعون الطرق .

(ج) إن أى إنسان يتخلف عن الجهاد بدون سبب شرعى لا بد أن يعاقبه

المسلمون قبل أن يواجهوا العدو (٢٤)

واستأنف ابن سعود مشواره عودته إلى الرياض ، بعد انتهاء المؤتمر الذى انعقد فى الدوادمى مقتنعا بأنه قد أفلح فى النهاية ، فى كسب عتيبه إلى جانبه . ولكنه أخطأ فى زعمه هذا . فقد تمرد العتبان مرة ثانية ، واضطروه إلى إخضاعهم بشده وفاعليه ترتب عليها عدم قيامهم بأى متاعب بعد ذلك . ونتيجة لخيانته عتيبه لابن سعود مرة ثانية طلب عقد مؤتمر آخر ، ولكن هذه المرة فى مدينة الشَّعْرَاء ، التى تقع بين مكة والرياض ، والتقى فيها ، فى اليوم السادس من شهر سبتمبر ، بمشايخ القبائل الأخرى ، فضلا عن الثَّقَائِهِ أيضا بالقطاعات الموالية من قبيلة عتيبة . وكرر ابن سعود أمام الحاضرين كيف أنه عفا عن عتيبه عدة مرات ، وكيف كانت تتمرد عليه بعد أن تتعهد له بالولاء فى كل مرة . وأعرب عن مرئياته فيما يجب عمله ، ثم طلب إلى المندوبين أن ينصرفوا إلى حال سبيلهم ، وأن يتفكروا فيما قال ، ويتشاوروا مع أهلهم ، وأن يعودوا فى اليوم التالى وقد اتخذوا قرارهم . وشهد صباح اليوم التالى مناقشة استمرت أربع ساعات اتخذت خلالها القرارات التالية (٢٥) :

- (١) لا بد من ائزال الهزيمة بكل من (متمردى) عتيبه وفرع بنى عبد الله من مطير ، حتى لا يستطيع أى منهم الاشتراك فى أى عمل غير شرعى .
- (٢) سيتم تجريد كل أولئك الذين شاركوا فى التمرد ولا يزالون أحياء من أسلحتهم ومعدات الحرب وستتم محاكمتهم طبقا للشَّرع .
- (٣) سيتم تجريد أولئك الذين اتهموا بمساندة الفاسدين (المتمردين) ولم يقاتلوا إلى جانب المسلمين من الجمال والخيول التى يركبونها ومن بنادقهم .
- (٤) يوافق الإمام على أن يحتفظ المقاتلون بما استولوا عليه من المتمردين حتى يتمكنوا من تقوية أنفسهم .

(٢٤) المرجع السابق . راجع نص خطاب ابن سعود عند عبد الرحمن الخطيب ، الإمام العادل ، (القاهرة ، مطبعة مصطفى البنا ، بدون تاريخ ، ص ١٧٤ - ١٧٧ .

(٢٥) الخطيب ، الإمام ، ص ١٧٤ - ١٧٧ . راجع أيضا /القرى ، العدد ٢٥٢ ، ١٨ أكتوبر ١٩٢٩ .

(٥) يتم إرسال أمير وبصحبته قوات إلى شقراء (التى تضم الناس الفاسدين) لإصلاح ذلك الفساد طبقا للشرع والصالح العام .

(٦) يتم إخلاء كل هجرة من الهجر التى خضعت للفساد : يتم توزيع سكانها بين القبائل ولن يسمح لأى منهم بالتجمع فى مكان واحد .

(٧) سيتم إرسال قوة لواء لتنفيذ هذه القرارات أثناء وجود الملك فى الشعراء ، وخلال مدة لا تزيد على عشرة أيام .

(٨) تقوم جميع الفصائل بعد تنفيذ كل هذه المراسيم بالتجمع فى منطقة الحدود التى احتشد فيها العجمان المتمردون هم وآل - الدويش .

وقبل الذهاب إلى الشعراء ، كان ابن سعود قد أمر الجنود جميعا الذين جاءوا من المدن والهجر بالتجمع فى مكان محدد ، وينتظروا عودته من الشعراء ، وعندها سوف يبلغهم بموعد التحرك . وقال إن التحرك لن يتأخر عن منتصف الشهر الذى كان يوافق اليوم الرابع من شهر نوفمبر من العام ١٩٢٩ الميلادى .

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، وقفت سيارة ابن سعود الخاصة أمام قصره ، ومن خلفها أكثر من ثلاثين سيارة أخرى . وركب سيارته ومن بعده إخوانه ، وبعضا من أطفاله ، وأمراء عائلة الرشيد ، والموظفين فى الديوان الملكى ومجموعة من الحراس والخدم . وتحركت القافلة فى اتجاه الشمال لتقف فى مكان اسمه الخفس (٢٦) ، على بعد ١١٥ كيلا من الرياض . وفى هذا المكان كان أخوه الأكبر محمد فى انتظاره ؛ وخيم الملك وحاشيته لقضاء الليل ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الشوكى ، التى تبعد ثمانين كيلا عن الخفس . وبعد أن استشعر فيصل الدويش انه يواجه جيشا لا يهزم ، أرسل إلى ذلك المكان وفدا برئاسة الحميدى بن مفلوح يطلب الصفح والسلامة . وفى الرسالة التى أرسلها فيصل الدويش مع مفلوح ألقى على ابنه عبد العزيز باللائمة فى الورطة التى تورط فيها ، والذى قُتل ابن مساعد ، أمير حائل ، مؤخرا فى معركة أم رضة (٢٧) . واستقبل ابن سعود الوفد ،

(٢٦) بعد الان من أماكن الصيد الشبيبة التى تمارس الأسرة المالكه فيه هوايه القنص .

(٢٧) /م القرى ، العدد ٢٩٣ ، ١٨ يوليو ١٩٣٠ م

وبعد دراسة استمرت يوما واحداً أرسل إلى فيصل الدويش الرد التالى الذى أبلغه فيه أن دوافعه كانت واحداً من الدوافع التالية أو كلها مجتمعة :

- (أ) أنك تطلب العفو منى بعد أوصدت كل الأبواب فى وجهك من جديد ؛ وأنا أفهم حقيقة ضعفك وأرثي له ؛ وليس أمامك من ألعيب أخرى تتلاعب بها معى سوى أن تجيئ إلى مهرولا تطلب منى العفو .
- (ب) أنت بارع ومخادع ، وسوف تقول للناس فيما بعد أنك تفعل ما تشاء ، وأنت بوسعك أن تعود إلى صف ابن سعود وتطلب منه ما تريد .
- (ج) أنت تريد أن تكسب إلى جانبك أولئك الذين طلبت منهم أن يساعدوك ، وأنت تقول لمن لم يساعدوك إنك سوف تتصالح معى .
- (د) أنت تريد من بقائك على قيد الحياة ، أن يغضب أولئك المسلمين الذين قتلوا بعضهم بعضا بسببك ، وتريد منهم أن يعفوا عنك .
- (هـ) ربما كان من الأفضل لك ألا تصلنى رسالتك ولا الوفد الذى أرسلته ، ولكن طالما حضر الوفد ، فأنا أضمن لك ومن معك أن تشملكم حمايتى ، وأنى لن أهدر دمك (٢٨) .

وعندما تسلم فيصل الدويش رد الملك ، كتب له يقول : "أشكرك على ردك ، وعلى كل حال ، أود أن أبلغك إن الأبواب لم توصل فى وجهى كما تظن ، لأن حكومات بعينها كتبت لى تعرض على فرصة أن أصبح واحداً من رعاياها ، وبوسعى أن أقبل هذه الدعوة باستثناء أن دينى لا يعطينى الحق فى أن ألبأ إلى بلد يحكمه الكفار ؛ فالعودة إليك ، يا إمام المسلمين أفضل من العودة للآخرين ، فى أى حال من الأحوال (٢٩) " . وقطع الدويش على نفسه عهدا بالسفر قريباً إلى ابن سعود ليعلن طاعته وولاءه له . ولم يرد ابن سعود على الرسالة قط بقدر ما كان ينتظر مجيئ الدويش ، ولكن الأخير لم يحضر قط . هناك رسائل أخرى جرى تبادلها بين

(٢٨) الخطيب ، الإمام ، ص ١٨٠ .

(٢٩) المرجع السابق . ص ١٨١ .

ابن سعود وفيصل الدويش ولكنها لم تصل إلى شىء . ولم يكن هناك أى احتمال لأى حل من الحلول الوسط .

واستمر تدهور الموقف فى الأحساء . فقد قطعت غزوات الإخوان على الناس سلامهم ، كما أسبغ تحرك الجماعات الإخوانية المختلفة مع إبلها وقطعانها جواً من النشاط والإثارة العظيمين . وكانت أشد تلك الغزوات خطورة تلك الغزوة المشتركة التى قام بها كل من العجمان - الفرحان وابن مشهور مجتمعين على العوازم ، ولكن عندما وصلت معسكرات الإخوان المتمردين أنباء مفادها أن جيش ابن سعود بدأ يتحرك صوب الأحساء ، كان إشغال الإخوان بالغزو أقل من إنشغالهم بالإتفاق على الطريقه التى سيتعاملون بها مع الغزو القادم . ورفض البريطانيون الجهود التى بذلها الإخوان من أجل إرسال نسائهم وأطفالهم إلى الكويت للجوء إليها . وأجبر البريطانيون أمير الكويت أن يبر بوعده فى عدم مساعدة المتمردين . وباعت بالفشل الجهود التى بذلها فيصل الدويش نفسه ، من أجل الإلتقاء بأمر الكويت . وبعد انزال الهزيمة بعثية فى غربى نجد ، ورفض البريطانيين طلب الدويش بتوفير الحماية لنساء المتمردين وأطفالهم فى الكويت ، اثناء قيامه هو والإخوان بمهاجمه نجد ، أو حماية النساء والأطفال من قصف البريطانيين لهم بالقتابل ، أصبح من الواضح تماماً أن التمرد سيتم إخماده . وبدأت الطائرات البريطانية تطارد الإخوان لإخراجهم من الكويت فور دخولهم إليها طلباً للحماية ، بينما كانت قوات ابن سعود تقترب يوماً بعد آخر من المثلث القريب من الحدود الكويتية الذى حشر الإخوان أنفسهم فيه . وبعد أن رفض البريطانيون مساعدة الإخوان بأى شكل من الأشكال ، ولو بطريقة سلبية ، سمح الدويش للمتمردين الإخوان الذين كانوا يودون طلب العفو من ابن سعود أن ينصرفوا عنه ويذهب كل منهم إلى حال سبيله . وانتهز الكثيرون منهم تلك الفرصة ، وطلبوا العفو وحصلوا عليه . وأدرك فيصل الدويش قوات الأوان بالنسبة له . ولم يكن أمامه سوى الحرب أو الفرار !

ومع مطلع شهر نوفمبر من العام ١٩٢٩ الميلادى غادرت الكويت البقية الباقية من الإخوان الذين هربوا إليها بناء على أوامر من البريطانيين . ويوماً بعد يوم بدأ

يتزايد عدد الإخوان المتمردين الذين كانوا يتركون جانب الدويش لينضموا إلى صف ابن سعود ويطلبون منه العفو ، فى حين غادر آخرون منهم الكويت على شكل خليط من البشر بلا زعامة . ونظرا لنقص إمدادات الماء والغذاء لدى الإخوان أنفسهم ، فإنهم لم يتمكنوا من رعاية ابلهم ودوابهم التى نفقت المئات منها بسبب العطش . وعندما اقترب جيش ابن سعود ، كان البريطانيون قد أرسلوا طائراتهم وعرباتهم المدرعة لاستطلاع الإخوان ووضعهم تحت الملاحظة المستمرة لعرقله هروبهم إلى العراق أو الأردن اللذان كانا تحت الإدارة البريطانية . وفى يناير من العام ١٩٣٠ الميلادى استسلم نايف ابن حثلين لطابور مدرع تابع للقوات الملكية المدرعة ، بعد أن أقتنع أن ليس هناك أمل فى الهرب أو القتال . وفى اليوم العاشر من شهر يناير استسلم كل من فيصل الدويش وجاسر * ابن لامي ، الزعيمان البارزان الآخريان من الإخوان . وفى غياب الزعامة الاسمية اختفى تمرد الإخوان . وبدأ البريطانيون يواجهون مشكله إعادة تنظيم جماعات الإخوان ، وطى قيد الزعماء الرئيسيين ، وإعداد قائمة بالغنائم والمسلوبات والمنهوبات التى لا تزال فى حوزتهم والتى كان لا بد من إعادتها لأصحابها الأصليين ، ثم فى النهاية تسليم هؤلاء الزعماء إلى ابن سعود .

كان البريطانيون قد عاهدوا ابن سعود من قبل على أنهم سيسلمون إليه المتمردين الإخوان شريطة أن يبقى على حياتهم ويعاملهم معاملة إنسانية . وبعد أن أصبح الإخوان فى قبضه البريطانيين فعلا حاولوا أن يحتثوا فى وعدهم . وفى اليوم السابع عشر من شهر يناير من العام ١٩٣٠ الميلادى ، أصدرت وزارة الخارجية تعليمات للعقيد بسكو (٣٠) المندوب المقيم فى الخليج أن يصحب كل من ديكسون وبيرنت لمقابلة ابن سعود ومناقشته فى مصير المتمردين الذين أصبحوا الآن فى أيدى البريطانيين . وأعطى ابن سعود العقيد بسكو الخطوط الإرشادية التالية :

* ربما يقصد المؤلف بهذا الاسم الإشارة إلى جاسر ابن لامي . وقد يكون استعمال اسم غير الاسم الحقيقى للتقليل من شأن صاحب الاسم . (المترجم) .

(٣٠) برقيه من العقيد بسكو ، ١٧ يناير ١٩٣٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ،

المجلد ١٤٤٤٩ ، الوثيقة رقم إى ٢٧٥ .

- (أ) لا بد من الإبقاء على حياة زعماء الإخوان المتمردين هم وأقاربهم .
 (ب) لن يكون العقاب مفرطاً أو مبالغاً فيه ، أو مستثيراً للمشاعر العربيه أو متعارضاً مع التقاليد البريطانیه .
 (ج) سيتم اتخاذ إجراءات فعالة للقضاء على إحتمالیه معاناه كل من الكويت والعراق زيدا من الآلام جراء غزوات الإخوان .

وكانت قد صدرت للعقيد بسكو ، قبل تقديم تلك الشرط ، تعليمات بمحاولة إقناع ابن سعود بالموافقه على نفى زعماء الإخوان إلى قبرص أو إلى أى مستعمرة بريطانية أخرى . وتم نقل كل من الدويش ، والحثلين وابن لامي بالطائرة إلى البصرة ومنها تم نقلهم إلى البارجة لوين Lupin التابعة لبحرية صاحب الجلالة ، والتي كانت ترسو فى ميناء شط العرب . أما بقية المتمردين من العجمان ومطير فقد صدرت إليهم تعليمات بالتجمع على مسافة خمسة عشر ميلا من الحدود الكويتية فى منطقة صفوان حيث قامت بحراستهم العربات المدرعة التابعة للقوات الجوية الملكية إلى أن يتم تسليمهم لابن سعود (٣١) . وما أن تأكد العقيد بسكو من وصول الزعماء الثلاثة إلى متن البارجة حتى طار فى إحدى طائرات القوات الجوية الملكية البريطانیه من الكويت قاصدا معسكر ابن سعود ، الذى وافق بعد شئى من النقاش ، على تسليم المتمردين له على أساس من الشروط الثلاثة المذكورة أعلاه . وبرر العقيد بسكو عدم الحاجه إلى نفى المتمردين بما يلى :

- (أ) إن بريطانيا زودت ابن سعود بالأسلحة ، والذخيرة وبالطائرات بل وبالأفراد أيضا مساعدة منها له على إخضاع المتمردين .
 (ب) إن بريطانيا اتخذت إجراءات صارمة لضمان عدم تقديم أية تسهيلات للقبائل المتمرده .
 (ج) إن موقف بريطانيا هو موقف الاستعداد للمساعدة فى مقاومة المتمردين .
 (د) إذا كان رفض تسليم المتمردين لن يشكل تغييرا فنيا فى النوايا ، فإن ذلك كان سيثير غضب ابن سعود عندما يعود إلى نجد ، ويعطيه مبررا كافيا لغض

(٣١) ديكسون ، الكويت ، ص ٣٢٠ .

الطرف عن استئناف غزو الحدود من جانب القبائل الموجودة هناك بمجرد ظهور مشايخ جدد يقومون بقيادتها (٣٢) .

وقد زود ابن سعود البريطانيين بالضمانات المكتوبة التالية التى تضمن حياة المتمردين :

"(١) إنه برغم العقاب الذى يستحقه الزعماء الثلاثة ، فيصل الدويش ، نايف ابن حثلين ، جاسر ابن لامى ، هم وأتباعهم جزاء ما ارتكبوه فى حق الحكومات المجاورة وتمردهم علينا ، فإننا سنبقى على حياتهم وحياة قبائلهم تنفيذاً لرغبة الحكومة البريطانية .

(٢) نحن نعتبر حق توقيع العقاب على هؤلاء الناس امتيازاً لنا ، لنردعهم مستقبلاً ونردع الآخرين الذين قد تسول لهم أنفسهم فعل الشر ؛ والعقاب الذى سيكون من هذا القبيل سيكون مفعماً بروح العدل والرحمة التى اشتهرنا بها ، ولكننا نحفظ لأنفسنا بأن نأخذ منهم أية ممتلكات أو متعلقات يكونوا قد أخذوها من الغير .

(٣) فيما يتعلق بالغزو ، نتعهد بمنع وقوع أية غزوات على الحكومات المجاورة ، العراق والكويت ، سواء كانت هذه الغزوات من مطير أو العجمان أو أية قبيلة أخرى من قبائل نجد ؛ وإذا ما حدث شئ من هذا القبيل مستقبلاً ، فسوف نكون مستعدين لتطبيق اتفاق بحره بدون توان فى حالة العراق ، وأن نعيد على الفور كل ما ينهب من الكويت ونجد .

وإذا ما أراد حاكم الكويت أن يدخل فى اتفاق يتعلق بالغزوات ، مشابه لإتفاقيه بحره ، فنحن على استعداد للدخول معه فى اتفاق من هذا القبيل . (٤) وفيما يتعلق بالممتلكات والمتعلقات التى أخذت من الرعايا العراقيين فى الماضى ، نحن على استعداد لتطبيق الإجراء المنصوص عليه فى اتفاق بحره ، وبالنسبة للكويت ، فنحن على استعداد للتوصل إلى تسوية الدعاوى طبقاً للإجراءات السارية حالياً شريطة ألا يبقى أحد من مطير المتمردين والعجمان وأتباعهم والذين فى أيدي السلطات البريطانية الآن ، أو أى من

(٣٢) القنصل العام بسكو إلى اللورد بسفيلد ، ٢٦ فبراير ١٩٣٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ،

وزارة الخارجية ، المجلد ١٤٤٥١ ، الوثيقة رقم إى ١٩٨١ .

ممتلكاتهم ومتعلقاتهم فى العراق أو الكويت (٣٣) .

وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير نُقل المتمرّدون إلى أحد المهابط الجوية بالقرب من خَبَارِي وَضْحًا فى إحدى الطائرات الحربية البريطانية . وكان بصحبته العقيد ديكسون والتقى الجميع حافظ وهبه ، ونقلوا بالسيارة إلى خيمة الملك . ويسجل ديكسون أن اللقاء بين "المتمردين والملك كان مؤثرا . وبعد أن انهمرت الدموع على خدي ابن سعود سمح لكل أسير من الأسرى أن يقبله فى أنفه ، على الطريقة البدوية (٣٤) . وقد تأثر حافظ وهبه أيضا تأثر بالتناقض الواضح بين هذا اللقاء واللقاءات السابقة التى التقى الملك والدويش فيها كأصدقاء . وقد أورد وهبه ملاحظة مؤداها أن الدويش ، فى الماضى ، كان يصاحبه حوالى ١٥٠ رجلا مسلحا وكان يدخل دوما إلى مجلس الملك بصفته عظيما من أصحاب المقام والمنزلة العالية ويجلس بالقرب من الملك . وعندما كان يتجه عائدا إلى الأرطاوية ، كان يأخذ معه دوما مقدارا كبيرا من الأسلحة ، والذخيرة ، الطعام والمواد التى كان يعطيها له ابن سعود . أما الآن ، فها هو قد تجرد من مكانته ومنزلته ويمثل أمام الملك مثول الخونة .

ونقلا عن وهبه رد فيصل الدويش على تساؤلات وجهها له ابن سعود قائلا (٣٥) :

يعلم الله ، يا عبد العزيز أنك لم تقصر معنا ، وقد فعلت كل ما يبيض وجهك ، وقد قابلنا معروفك بالإساءة ، لقد قررنا من وجهك إلى الكفار . فحملونا إليك فى طيارة من طياراتهم ، ويكفى ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعد ما كنت عزيزاً محترماً . قاتل الله الشيطان ! لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا . فأوصلنا إلى ما أصبحنا فيه الآن ! (٣٦) .

(٣٣) المرفق رقم المجلد ١٤٤٥١ ، الوثيقة رقم إى ١٩٨١ .

(٣٤) ديكسون ، الكويت ، ص ٣٢٤ .

(٣٥) انظر نص هذه التساؤلات فى : وهبه ، الجزيرة ، ص ٣٠٨ .

(٣٦) المرجع السابق .

وبعد أن شعر ابن سعود بالسرور البالغ لاستسلام الإخوان وخضوعهم خضوعاً كاملاً لخص مشاعره فى تلك اللحظة قائلاً : "من الآن فصاعداً ، سنحيا جميعاً حياة جديدة (٣٧) " ولم يُضَيِّع ابن سعود وقتاً فى ربط البلاد إلى بعضها بإستعمال التليفون واللاسلكى ، والتلغراف ، ولم يستطع الإخوان أن يفعلوا أى شئٍ إزاء ذلك .

وأودع كلاً من ابن بجاد ، فيصل الدويش ، وابن حثلين ، المتمردون الثلاثة الرئيسيين السجن فى الرياض . وأبقى ابن سعود على حياتهم برا بوعده الذى قطعه على نفسه ، وقد أصاب ذلك التصرف بعض المراقبين البريطانيين بكثير من الدهشه ، وبخاصة أن هؤلاء المراقبين كانوا يظنون أن ابن سعود سوف يحنث فى وعده . وإذا كان من المؤكد أن هؤلاء المتمردين الثلاثة لم تساء معاملتهم ، ولم يُضْرَبُوا ، أو يُهَانُوا بأى شكل من الأشكال ، فمن المؤكد أيضاً أن الظروف التى أمضوا فيها الأيام الأخيرة التى تبقت لهم من الحياة كانت بعيدة عن المثاليات (٣٨) .

وإذا ما استعدنا الأحداث الماضيه وتأملناها ، نجد أننا يتحتم علينا أن نفكر فى حالة التطور الإجتماعى التى كانت تسود الجزيرة العربية فى ذلك الوقت الذى أودع المتمردون خلاله فى السجن ، كما يجب أن نستفيد أيضاً من المعاناه الفظيعة ، وكذلك التقتيل الذى تسبب فيه هؤلاء الإخوان ، لا بين المقاتلين فحسب وإنما أيضاً بين رجال القبائل العزل ، والنساء والأطفال . وإذا ما استعدنا كل ذلك ، وضروره إيجاد سابقه ثابتة أمام المتمردين المحتملين الذين قد يدور بخلداهم محاولة القيام بنشاط مماثل نجد أن معاملة ابن سعود لهم كانت معاملة هينة نسبياً .

وإضافه إلى مساعدة البريطانيين لابن سعود عندما سلموه المتمردين الثلاثة الرئيسيين ، فقد ساعدوه أيضاً فى مطاردة معظم المتمردين الثمانية عشر الآخرين الذين كانوا على قائمة المطلوبين (٣٩) :

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(٣٨) ديكسون إلى المندوب السياسى ، الكويت ، ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد ١٤٤٥٢ ، الوثيقه رقم إى ٥٧٧٦ .

(٣٩) ملحق لتقرير عن عدد ونوع الغنائم التى عثر عليها فى خيام الإخوان ، ١٦ إبريل ، ١٩٣٠ ، مكتب

السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة الخارجيه ، المجلد وزارة الخارجيه ١٤٤٥١ ، الوثيقه رقم

إى ١٩٩١ .

استسلم طواعيه واختيارا لابن سعود كل من :

(١) مطلق الصور

(٢) محار ابن عاسام

وهرب إلى العراق ، كلاثنين مع الظفير كل من :

(٣) أبو حفته المتلقم

(٤) محمد ابن جويد

(٥) مذكر ابن حضران

(٦) عبد الله الضامر

(٧) محمد ابن حضران

(٨) شعيفان أبو شقره

(٩) خالد المحمد

(١٠) عبد الله بن مخيال

وعثرت إحدى مجموعات البحث البريطانية على بعض من شخصيات الإخوان وأعادتها إلى ابن سعود وهم :

(١١) ناصر ابن جمعه وأبناء ابن طفلان

وقد جازى ابن سعود أتباع المتمردين الثلاثة عقابا لهم على نشاطاتهم التخريبية بأن يدفع كل منهم ما يلى :

(أ) فيصل الدويش : كل إبله بما فى ذلك الشرف الشهيرة ، ذلك القطيع

الأسود ، إضافه إلى كل خيوله .

(ب) عشيره الدوشان من قبيله مطير : نصف إبلهم بما فى ذلك جميع جمال

"الركوب" ، إضافه إلى خيولهم جميعا .

(ج) عامة رجال مطير : ثلثى إياهم بما فى ذلك جمال وخيسول "الركوب" جميعها .

(د) العُجَمان : لا تفاصيل دقيقة ؛ ولكن معاملتهم كانت أقسى من معاملة مطير (٤٠) .

أورد جلوب أن ابن سعود صادر من إيل الشرف البالغ عددها ١٢٠ جملا ، حوالى مائه جمل أعطاها ابنه ، محمد ، ولم يترك للدوشان سوى ٢٠ جملا (٤١) . وقد أكد محمد ابن جبع الدويش للمؤلف أن الدوشان احتفظوا ببعض إيل الشرف ، إذ لا يزال أحد أبناء فيصل الدويش يمتلك بعضا من هذه الإبل على مزرعة لا تبعد كثيرا عن الأرطاوية .

ولم تنته مشاكل ابن سعود كلها بانتهاؤه من قمع الإخوان . أما الإخوان الذين لم يستدعوا قط للمشاركة فى التمرد أو قمع كل طرف للطرف الآخر ، فقد بقوا فى هجرهم ، وإذا كانوا لم يغفروا للتمرد أو يتغاضوا عنه ، فإن الكثيرين منهم أحسوا أن ابن سعود قد خانهم هم ودينهم ، وتأكد لهم أن ابن سعود استعملهم أداة لتحقيق أهدافه الشخصية الطموحة . وتوصل ديكسون إلى نتيجة مفادها أن الإخوان زاد استيائهم من ابن سعود لأنهم كانوا يظنون :

(أ) أن ابن سعود لم يقف إلى جانب الإخوان ؛ وأنه هو الذى أوصلهم إلى ما كانوا عليه ، وأنهم أيضا كانوا مسلمين خالصين .

(ب) أنه استدعى البريطانيين الكفار لمساعدته ، واستطاع بفضل مساعدتهم له أن يسحق رعاياه المسلمين .

(ج) أنه عامل كل من فيصل الدويش ، ونايف ابن حثلين ، وسلطان ابن بجاد ، وهم ثلاثة من أعظم المشايخ فى الجزيرة العربية ، بغلظة وقسوة ليس لها مثيل ، فى الوقت الذى كان يكفى فيه اللجوء إلى أساليب الفروسية

(٤٠) المرجع السابق . ملحق مستقل ، غير مرقم ولا يحمل أحرفا .

(٤١) اقتباس من تقرير أرسله جلوب ، ٢٠ مايو ١٩٣٠ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، وزارة

الخارجية ، المجلد ١٤٤٥١ ، الوثيقة رقم إى ٢٥٧٨ .

فيما يتعلق بالبند (أ) ، من المسلم به أنه كان بمثابة النقطة الجوهرية فى عملية التمرد كلها ، ومن ثم ليس من المعقول أن نتوقع من الإخوان الذين لم يكونوا مقتنعين بمركز ابن سعود قبل التمرد ، أن يقتنعوا به بقوة السلاح . وفيما يتعلق بالبند (ب) ليس هناك شك فى أن ذلك كان يعتمل داخل صدور الإخوان ، لا لأن هزيمتهم بدونه كانت مستحياله وحسب وإنما لأن إمامهم استعان بأولئك الذين قال للاخوان عنهم إنهم العدو المشترك لكل منهما . وفيما يتعلق بالبند (ج) فإن معاملة ابن سعود لهؤلاء الأسرى لم تكن موثقة توثيقاً جيداً ، وبالتالي لا تخضع للتحليل . على كل حال ، يجب ألا تغيب عن البال هنا ، المعاملة التى كان الإخوان سيعاملون بها أسراهم لو قدر لهم الانتصار . لم يكن من حق الإخوان أن ينتظروا معاملة أفضل من تلك التى كانوا سيعاملون بها ضحاياهم .

وإذا ما نحينا الإخوان أنفسهم جانبا ، نجد أن المتمردين على ابن سعود كانوا موجودين فى الجزء الشمالى الغربى من شبه الجزيرة وتحت قيادة شيخ القبيلة ابن رفاة . كان هؤلاء المتمردون يدعمهم - أو يثيرهم الحكام الهاشميون فى كل من العراق والأردن ، وبخاصة الأمير عبد الله . وبينما كان هؤلاء المتمردون لا يشكلون مطلقاً تهديداً خطيراً لسيطرة ابن سعود على بقية شبه الجزيرة ، فقد جعلوه ينشغل بالأمور العسكرية إلى نهاية العام ١٩٣٢ تقريباً ، وقد أجبروه على الدخول فى مواجهه عسكريه مع البريطانيين مرة ثانية بسبب الأردن ، وليس بسبب إخوان ابن سعود الذين كانوا يحاولون إطلاق أنفسهم على الهاشمين ، وإنما بسبب الهجمات التى كانت تأتى من الجانب الآخر من الحدود ، وهذا موقف مضاد لذلك الموقف الذى كان سائداً منذ ما يقل عن عقد من الزمان (٤٣) .

(٤٢) ديكسون ، الكويت ، ٣٢٩ .

(٤٣) يشكل تمرد ابن رفاة ، بحد ذاته ، قصة مستقلة . والوثائق المتصلة بهذا الموضوع هى التقرير الذى

كتبه السير ف . همفرى فى ١٥ أغسطس ١٩٣٢ ، مكتب السجلات العامة ، مخطوطات ، ١٩٣٢ ،

ملخص برقيات من وزير الداخلية إلى المستعمرات .

بعد القضاء على المتمردين ، تحول ابن سعود إلى تنمية مملكته الموحدة اقتصاديا وتجديدها إداريا . وعفى عن الكثير من أعدائه ، واسند إلى الكثير منهم مراكز مسئولة وأدخلهم ضمن مكرماته . فيصل الشبلان ، على سبيل المثال ، شيخ من مشايخ الإخوان فى مطير ، استسلم لابن سعود ، وعفا عنه الملك ووصل فى النهاية إلى مقام رفيع وأصبح مسئولا عن إيل الملك كلها (٤٤) . ماجد ابن خثيلة ، الرجل الذى سلم رسالة ابن بجاد المشثومة إلى ابن سعود فى السبلة ، أسند إليه مؤخرا مركزا حكوميا مسئولا وخولت له ، ترتيبا على ذلك ، سلطة تشكيل بقايا الإخوان فيما يعرف الآن بإسم الحرس الوطنى . كان الجزاء الذى وقع عليه هو أن يخلق لحيته وشاربه "وينفى" نفسه عدة أسابيع بالقرب من ضرمه (٤٥) . هذا ولا يزال أعضاء أسرة الدويش يحكمون الأرطاوية إلى يومنا هذا ، فى حين احتفظ شعاليين الروالة بمناصبهم فى الجوف برغم الحقيقة التى مفادها أن بعض كبار الشعاليين كانوا قد انضموا إلى التمرد . ويمكن إلى حد كبير ، رد مقدرة ابن سعود على تقوية قبضته على البلاد ، بعد التمرد ، إلى قدرته على الترفع عن الخلافات الصغيرة ، وترفعه أيضا عن الصراعات الكبيرة ، والعفو عن أعدائه وأن يعطيهم نصيبا من الحكم الجديد ويجعلهم يهتمون به . وإذا ما سلمنا أن أهداف ابن سعود كانت براجماتية أكثر منها أنانية ، فإن ذلك بحد ذاته كان يتطلب رجلا صاحب رؤيا وبعد نظر . وبرغم مقدرة ابن سعود على أن يكون قاسيا مع أعدائه إذا تطلب الأمر ذلك ، فإن شخصيته لا تدل على أنه كان رجلا يحب العنف أو كان يتمتع به ، أو أنه كان يستعمل السلطة حبا فيها لذاتها . فقد شعر ابن سعود منذ طفولته أن له دورا لا بد أن يلعبه ، ألا وهو استرداد ذلك الذى ضاع من عائلته ؛ ومن الصعب أن نعرف متى رأى تلك الرؤيا التى تضم شيئا بهذا الكبر ، وهو على وجه التحديد ، بلد حديث ، مستقل ، مرموق يقوم على تلك الأرض التى تعرف حاليا باسم المملكة ؛ لا بد أن يكون ابن سعود قد رأى هذه الرؤيا فى مكان ما . وهؤلاء الذين يعيشون فى

(٤٤) ديكسون ، الكويت ، ص ٣٢٥ .

(٤٥) مقابلة شخصيه فى الغنط ، مارس ١٩٦٨ .

اليباب الشاسع للمملكه العربيه السعوديه هم القادرون على الوقوف على قوة تلك الرؤيا ، إن الرغبه فى إنشاء مملكه حديثه من هذا البلد المقسم المحروم لا بد أن تكون دوافعها مستفاده من إلهام عميق .

الفصل الثانى عشر

خاتمة

كانت حركة الإخوان الإداة الفريدة التى استعملها ابن سعود فى توحيد شبه الجزيرة . وإذا ما نحينا جانباً شخصيه ابن سعود ، وعبقريته وقدرته على الحث والإثارة ، نجد أن حركة الإخوان كانت بالقطع العامل الوحيد المهم فى توحيد الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربيه لتصبح بلداً واحداً مستقلاً . وبرغم وجود الحركة التاريخى القصير ، فإن إسهاماتها العملاقة فى قضيه الوحدة لا تتناسب مطلقاً مع قواتها المسلحة ، أو كلفتها من الموارد البشرية والموارد المادية . وبرغم توقف تلك الحركة ، فإن تأثيرها فى شخصية البلاد التى ساعدت على تأسيسها استمر إلى ما بعد توقفها بفترة طويلة كحركة ذات طابع مادى فعلى ، بل إن قوة هذه الحركة لا يزال الناس يحسونها فى كل أنحاء البلاد إلى يومنا هذا .

واسهامات الإخوان فى وحدة البلاد كثيرة ويسهل فصلها عن بعضها إذا ما أردنا دراستها ، وأهم تلك الإسهامات ما يلى :

(أ) دانت المناطق الإستراتيجية المهمة كلها لوحدات الإخوان بما فى ذلك الخرمة ، تربه ، الطائف ، مكة والمدينة ، كما شاركت وحدات الإخوان بشكل ملحوظ فى غزو كل من حائل والجوف . يضاف إلى ذلك أن الخوف من انتقام الإخوان هو الذى جعل الكثير من تلك المناطق التى تم غزوها ، تنأى بنفسها عن العصيان أو التمرد الصريح ، وبخاصة منطقة حائل .

(ب) أحبط الإخوان المحاولات الهاشمية الرامية إلى إضعاف وتدمير الأسرة المالكة السعودية التى بعثت من جديد ، بأن بدأوا هم أنفسهم بالهجوم على مناطق الحدود فى كل من الأردن ، الكويت ، والعراق .

(ج) بث الإخوان فى الحياة اليومية شكلاً جديداً من أشكال الزهد

والتقشف ، مزاجا اسبارطيا متقشفا حاداً يزيد الدين حدة ، إضافة إلى تفاخر وطنى شرس ، وإخلاص لم يوجد قط من قبل بين العناصر القبلية فى شبه الجزيرة . فى حين أن ذلك التفاخر والولاء الوطنيين لم يتخللا قط مستويات المجتمع فى الحجاز ، وبرغم ذلك فقد استشعر الناس آثار التفاخر الوطنى فى الحجاز أيضا .

وإذا ما تهورنا وقلنا : إن توحيد ابن سعود لشبه الجزيرة كان أمرا مستحيلا فى غياب الإخوان ، فمن المؤكد أن التكلفه البشريه والمادية ، وطول الفترة اللازمة لتحقيق هذه الوحدة ستكون أعلى بكثير فى حالة تضاعل فرص النجاح التى قد تترتب على ذلك .

وأعمال الإخوان العسكرية الفذه غير العادية هى أبرز كل ما فى الأمر إذا ما تدبرنا ذلك عندما كانوا أكثر من الناحية العددية فى حين أن عددا صغيرا فقط منهم هم الذين شاركوا فى المعارك والغزوات مشاركة فعلية . كان هناك حزب من قبيلة عتيبة بزعامة ابن بجاد يتمركز فى الغطط ، وعناصر من قبيلة مطير بقيادة الدويش فى الأرطاوية يعاونها مشايخ مستقلين من أمثال خالد ابن لوى من الخرمة ، هذه العناصر هى التى تحملت الدور الرئيسى فى مسئوليات الإخوان العسكرية . أما بقيه الإخوان فقد كانوا يعيشون فى هجر صغيرة داخل البلاد وأسهموا بنصيب قليل فى نشاط الإخوان ؛ بمعنى أنهم كانوا حراسا على المناطق الهلامية من المناطق المستقرة ، بأن أصبحوا مواطنين مطيعين لا يحتاجون إلى يد حاسمة تنشر النظام بينهم ، علاوة أيضا على أنهم كانوا يشكلون قوة احتياطية مستعدة دائما لشد أزr النشاط من الإخوان ، إذا ما تطلب الأمر ذلك . وعلى سبيل التهكم ، فإن أكبر تجمع تجنيدى للإخوان ، ذلك التجمع الذى كانت كل الهجر والقبائل ممثلة فيه ، لم يفرض على الإخوان استهدافا لإخضاع الكفار أو للقتال فى الحجاز ، وإنما لقمع رفاق الإخوان المتمردىن فى السبله ثم بعد ذلك فى المواجهات التى جرت بالقرب من حدود الكويت .

وفيما يتعلق بالتكاليف ، لا بد أن نعترف بأن قوة الإخوان تندرج ضمن القوات الرخيصة جداً التى جرت تعبئتها لغزو رقع كبيرة من الأرض . فقد قام أولئك المقاتلون ، الذين كانوا يتسلحون فى معظم الأحيان ، ببنادق عتيقة ، أو رماح بدائية محلية الصنع ، ويقتاتون بحفنة أو إثنين من التمر ، وصاع من الدقيق ، قاموا بحملات عسكرية لم تكلف الخزانة العامة شيئاً يذكر ، وقليلاً من المساعدات اللوجستية والأسلحة ؛ يضاف إلى ذلك أن النقود العامة القليلة التى كانت تنفق عليهم كانت أكثر مما كان يدفع من القوائم على شكل حيوانات ، فضة ، ذهب ، وأشياء أخرى ثمينة كانوا يجلبونها إلى الخزانة العامة بعد انتصاراتهم . ومع ذلك ، لم يكن هؤلاء المقاتلون يتسلمون مرتبات فردية ، ولم يكونوا يحصلون على إعانات ، لأنفسهم ولا لعائلاتهم ، فى حالة الوفاة . والشكل الوحيد من المدفوعات الذى كانوا يعرفونه كان يتمثل فى مدى مشاركتهم فى مزايا الحياة داخل الهجر التى كانت تتلقى معونات من الحكومة .

على صعيد التكلفة البشرية ، سواء بالنسبة لهم أو لضحاياهم ، فقد كانت مرتفعة جداً . فقد ماتت أعداد كبيرة من الإخوان فى القتال بسبب تشددهم الدينى ، من ناحية ، والذى دفعهم إلى طلب الشهادة فى ميدان القتال ، ومن الناحية الأخرى ، بسبب عدم تدريبهم تدريباً عسكرياً كافياً وافتقارهم إلى المعدات الجيدة ، كما كان يرجع ، من ناحية ثالثة ، إلى الاستراتيجية الجديدة التى أدخلوها هم أنفسهم ، وهى بالتحديد ، القتال حتى الموت بدون أى تراجع أو انسحاب . وبصفه عامة ، لم يرحم الإخوان الكفار ، ولم يبقوا على أسرى الحرب ، كما كانوا يصادرون بضائعهم وسلعهم الدنيوية . ويجب ألا ننسى أن الإخوان كانوا قساة فى أغلب الأحيان ، ولم يكن لمبالغاتهم سوابق فى تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ومع ذلك ، فنحن قبل أن تدافع عما فعلوا ، يتعين علينا أن نتفهم الأسباب التى دفعتهم إلى فعله ؛ ومبالغات الإخوان لا يمكن لنا أن نقارنها ببساطه بمبالغات مقاتلى المجتمعات الأخرى التى تتمتع بمستوى حضارى أكثر تقدماً . تجاوزات الإخوان لم تكن تجاوزات قوات منظمة متعلمة تحارب من أجل أهداف وطنية توسعية ، ولا كبر يقوم على الحقد والجشع والمكاسب المادية الأخرى ، مثل تكبير الإستعماريين الذين

كانوا يُخضِعُونَ الشعوب الضعيفة ثم يستغلونها بحثًا عن كسب المزيد من الأرض وتحقيق الثروة المادية . صحيح أن الإخوان ، كسبوا أيضا ؛ وجمعوا غنائما ، ولكن هذه الأشياء كانت أهدافا عارضة ولم تكن هدفا رئيسيا ، لمحاولتهم الخاصة التي كانوا يرمون من ورائها إلى استعادة الإسلام الصحيح ونشره بين أولئك الناس الذين كانوا يعدونهم مسلمين مارقين وغير حقيقيين . وخلصه القول ، إن حياة الإخوان شخصيا بعد الغزوات التي قاموا بها لم تتغير عن تلك التي كانوا يحيونها قبل القيام بالغزوات ، إضافة إلى أنهم لم يستغلوا موارد الأراضي التي فتحوها لصالحهم .

وإذا كانت تجاوزات الإخوان خطيرة ومؤسفة ، فقد كانت تتميز بالحدة التي توارثوها ، وانفصالهم عن تقاليد القتال البدوي المعروف لهم ، أكثر من تميزها بعدد الضحايا الذين سقطوا بسببها أو تكرار حدوثها . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبارنا الأراضي الواسعة الشاسعة التي تشمل عليها الجزيرة العربية ، والخلافات القبلية والعرقية التي كانت موجودة فيها في ذلك الوقت ، لوجدنا أن ما حدث لم يكن يدخل في عداد التجاوزات . أما فيما يتعلق بالغنائم ، الأغنام ، الماعز ، الإبل والماشية الأخرى التي كانوا يستولون عليها ، أو التي كان يجري إعدامها ، فهذا لم يكن جديدا على الجزيرة العربية . ومع ذلك ، لم يخرب الإخوان أية منطقة من المناطق تخريبا اقتصاديا ، ولم يئلفوا المحاصيل كيدا وحقدا ، ولم يحرقوا أو يدمروا أية مدينة من المدن . وباستثناء الحالات المؤسفة التي وقعت في الطائف - والتي لا يمكن أن نلقى بمسئوليتها كلها على كاهل الإخوان - فقد ترك الإخوان المدن ، والبلدان ، والقرى والمستقرات الأخرى بلا مساس . ذلك أن الإخوان إنسابوا خلال الجزيرة العربية مثل مبضع الجراح ، إذ راحوا يجثثون بمهارة الخبائث ويتركون الأجزاء الصحيحة بلا مساس .

ومع كل إحترامنا للإخوان ، لولا ابن سعود لدخلت حركة الإخوان مرحلة الفوضى ، وأخذت تنشر الدمار ليس عبر الحدود وحسب وإنما في الداخل أيضا ، محطمة بذلك الكثير ، إن لم يكن كل ، المكاسب التي حققتها . وقد استطاع ابن سعود بمهارته وحنكته وبعد نظره ، وبدون متاعب خطيرة ، ألا يسمح للإخوان قط

أن يلزموه بطريقة عمل يمكن أن تؤدي إلى كارثة فى النهاية . فقد نجح ابن سعود فى مقاومة محاولات الإخوان التمييز بين المهتدين الجدد الذين كانوا يعيشون فى الهجر والسكان الآخرين الذين لا يعيشون فى الهجر ، ولو حدث ذلك التمييز لأضعف الوحدة الداخلية فى البلاد ؛ كما أستطاع ابن سعود أن يتبين المضامين العكسية التى قد تترتب على استمرار غزو الإخوان للمسلمين غير الملتزمين فى العراق ، الكويت ، الأردن ، تلك المناطق التى كانت خاضعة للإدارة البريطانية . لقد وعى ابن سعود متى يضع حداً لغزو أراضى الغير ، كما رفض ضم أراضى كان يعلم أن ضمها إلى مملكته لن يكون مسألة سهلة ، وبخاصة اليمن الشمالى والكويت اللذان يعدان مثالين على الأراضى التى كان يوسع ابن سعود أن يجتاحها بسهولة . لو أن الإخوان تركوا على هواهم ، واستمروا فى ألا يرون سوى عقيدتهم الدينية ، ومضوا فيما هم فيه ، غافلين عن الأبعاد السياسية للتصرفات التى يأتونها ، واستولوا على هذين البلدين ، لشكل ذلك ذريعة لعمل عسكري غير مناسب يقوم به أعداء ابن سعود ضده .

قلة من الدول هى التى استطاعت أن تبنى وحدتها على شقاق وتدمير داخليين أقل من ذلك الذى حدث فى المملكة العربية السعودية . وباستثناء قليل من التغييرات فى الإدارة الدينية ، وتنفيذ الالتزامات الإسلاميه عن طريق القسر (صلاه الجماعة ، الحضور إلى المسجد . إلخ) نجد أن الحكومة الجديدة لم تغير أسلوب حياة الناس فى المناطق التى فتحتها تغييراً جذرياً . وفى مقابل تلك التغييرات الأصولية ، فإن الحكام الجدد أنشأوا نظاماً إدارياً أكثر كفاءة ، وفر قدراً من الأمن لم تشهد المنطقة من قبل ، وشجع الحريات الإقتصادية المؤدية إلى النمو والتوسع . وأزدهرت مراكز الحجاج مثل مكة والمدينة ؛ ولم يعد هناك مجال للتحرش بالحجاج أو استغلالهم ، نظراً لأن أعداداً كبيرة من المسلمين بدأت تسافر لأداء فريضة الحج ، الأمر الذى أفاد منه التجار المحليون والشخصيات الأخرى الداخلة فى تجارة الحج . ولم يقتصر الاستفادة على أهل الحجاز فقط ، وإنما شملت أيضاً أسر نجد الأستقرائية التى تم غزوها . فقد تعهد ابن سعود بعض أطفال آل الرشيد ورباهم مع أطفاله ، وذلك بعد أن غزا حائل وتوفى عن هؤلاء الأطفال آباءهم . وتزوج الملك عبد العزيز بعضاً من

نساء الرشيد فى حين تزوج ضباطه بعضا آخر منهم ، ولم يكن ذلك من قبيل تضميد الجراح الناتجة عن المعركة واستقطاب الولاء السياسى وحسب وإنما إحتكاما أيضا إلى التقاليد البدوية التى مفادها أن قاتل رب الأسرة هو الذى يتحمل مسئولية إعاشة الزوجة والأطفال الباقون على قيد الحياة . كما صرف الملك معاشا شهريا لبعض نسوة عشيرة الدوشان من قبيلة مطير ، برغم الحقيقة التى مفادها أن رجال هؤلاء النسوة حملوا السلاح مرتين فى تمرد خطير على ابن سعود . كما ترك الملك الأرطاوية نفسها ، ليقوم على حكمها أفراد من العشيرة نفسها . عفا ابن سعود نفسه عن ماجد ابن خثيلة الذى سلم بنفسه الملك الرسالة الأستفزازية التى أرسلها ابن بجاد إليه عشية معركة السبلة ، وعينه ابن سعود فى النهاية وزيرا للثروة الحيوانية وأصبح واحداً من مستشارى ابن سعود الثقات ، وقد رافق الملك عند سفره إلى مصر ليجتمع إلى الرئيس فرانكلين د . روزفلت على بارجة أمريكية كانت ترسو فى المياه المصرية خلال الحرب العالمية الثانية .

وبعد أن أنتهت الصدمة التى نتجت عن المتمردين الإخوان وبعد أن برز ابن سعود زعيما لا ينازع ، عاد الإخوان مرة أخرى إلى صوابهم . ومع أن حركة الإخوان انتهت ككيان مستقل ذو مغزى فى العام ١٩٣٠ الميلادى ، وبخاصة بعد أسر كل من فيصل الدويش وبعض زعماء الإخوان الآخرين ، واصلت فرق الإخوان غزوها داخل الأردن الذى كان يساند ابن رفاذه فى شمال غربى الجزيرة العربية . فقد كان عبد الله ، نجل الملك حسين ، وحاكم الأردن يحاول إحداث ثورة فى المملكة العربية السعودية حتى يتمكن من الإطاحة بالحكم فيها ، أملا فى إستعادة الحكم الهاشمى على شبه الجزيرة .

ومشاركة الإخوان فى قمع ثورة ابن رفاذه أقل فائدة فى دراسة أصول وتطور الإخوان بوصفهم حركة منها فى دراسة ذلك الذى صار إليه الإخوان فى النهاية والسبب فى ذلك (١) إن وحدات الإخوان هذه استعملت لأول مرة فى الدفاع عن وحدة الأراضى السعودية وحمايتها ، لا لكسب أراضى جديدة ؛ (٢) إن تلك الوحدات كانت تؤدى عملها تحت قيادة ابن سعود مباشرة باعتباره رئيسا لدولة مستقلة معترف بها دوليا . أن الإخوان كانوا ، بناء على ذلك ، طليعة ما يعرف باسم

الجيش الأبيض ، أو الحرس الوطني ، وأنهم كانوا يشكلون وحداته غير النظامية التي يطلق عليها اسم *الليواس* Liwas . ولا يزال الإخوان *الليواس* موجودين في هجرهم ، ويخضعون لقيادة أمير المنطقة مباشرة ، وهم يشكلون في وحدات قبلية ولا يلبنون سوى نداء الطوارئ فقط ، ويحضرون معهم ، كما في الماضي ، بنادقهم التقليدية ، والذخيرة والمؤن الأخرى .

أخيرا ، وبعد توقف الحركة ظل الإخوان يشكلون عاملا سياسيا دينيا مهما في البلاد . وبدلا من أن يرتد معظمهم إلى البداوة استقروا في *الهجر* وارتبطوا بها . لقد كانوا فقراء ولكنهم كانوا فخورين بأنفسهم ، وحافظوا على إخلاصهم للدين والتزامهم *بالشريعة* . وبرغم عدم فتور تشددهم ، بدأ الناس لا يستشعرونه مثلما كان من قبل . وبعد أن أصبح الإخوان لا يشكلون تهديدا عسكريا لنظام الحكم شقوا طريقهم تدريجيا نحو كسب ثقة الحكومة . وعلاوة على حمل الإخوان للسلاح ، وعلاوة على أنهم كانوا يشكلون العمود الفقري للمليشيا الوطنية (الوحدات غير النظامية للجيش الأبيض) ، فقد اسندت الحكومة لهم ولائهم من بعدهم بعض مراكز الثقة والمسئولية داخل الحكومة المتنامية ، والسبب في ذلك أن الحكومة كانت تنظر إلى الإخوان باعتبارهم أشجع المواطنين ، الذين يلتزمون بالاسلام *القرأنا* شديدا باعتباره مذهبيا فضلا عن التزامهم أيضا بنظام الحكم الملكي الديني بوصفه النظام المناسب . وفي مقابل خدمتهم للملك وولائهم له ، كانوا يطلبون الدخول إلى مجلسه ولم يكن طلبهم يرد . ولا يزال ذلك التقليد معمولا به إلى يومنا هذا .

واعترافا بإسهامات الإخوان في تأسيس الدولة السعودية ، يتسلم قدامى الإخوان معاشات شهرية من الحكومة ، مرتبات فردية تتدرج من عدة مئات إلى عدة آلاف من الدولارات كل عام . وتشمل هذه المزايا بدرجة أقل أطفال قدامى الإخوان ، وذلك تذكيرا لهؤلاء الأطفال بأن آبائهم وأجدادهم مضوا قدما ترفرف راياتهم مع ابن سعود ، عندما كان شابا فقيرا ليس له قاعدة سياسية قوية ، مسلحين ببنادق قديمة ، وكلهم عزم وتصميم على استرداد تركة أجداده .

الملاحق

- الجداول بأسماء الهجر ، وزعماء الإخوان من ١ - ٩ .
- الخرائط : مناطق القبائل الرئيسية ، ومناطق الهجر .
- رسالة إلى حاكم الكويت من صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز .
- الوهابية - التاريخ والإصطلاح .
- الصور من ١ - ٧ .
- قائمة المراجع .

ملحق

الصفحات التالية عبارة عن قوائم بأسماء الهجر حسب القبيلة ، بناء على ما استسقيناها من كل من فيلبي ، ابن ناصر ، ديكسون ، جريدة أم القرى ، مصادر أخرى ، وأيضا المصادر الشفهية التي أجرى معها المؤلف بعض المقابلات .

وتسهيلا لنعرف هذه الهجر بالشكل الذي وردت عليه في تلك المراجع آثرنا إدراج إسمها بالشكل الذي دونت به ؛ ومع ذلك ، فإن مقارنة هذه الهجر بالهجر الأخرى التي تحمل الأسماء نفسها ليست عملية صعبة . وقد أدى تباين لهجات البدو ، وتباين النطق اللفظي الإقليمي ، فضلا عن تباين الهجاء العربي إلى ورود عدة تدوينات للإسم الواحد من قبل مختلف المؤلفين . ومن عادة البدو أن يلجأوا إلى صيغة التصغير عندما يلفظون اسما من الأسماء ، برغم أن الإسم بعد تدوينه تكون قراءته سهلة تماما ، وبالتالي يجيئ هجاؤه مختلفا ، ومثال ذلك "عسيه" وكذا "الحفيرة" . والطريقة الوحيدة الدقيقة للحصول على النطق الصحيح هي أن يتوفر للمؤلف مواطن من كل هجره يلفظ له الإسم بصوت عال ، وهذه مسأله شاقه للغاية .

وثمة مشكله أخرى تتعلق بتعرف الهجر تنجم عن تسجيل مؤلف من المؤلفين لهجرة من الهجر على أنها منسوبه لقبيلتين منفصلتين كما هو الحال عند الريحاني ، على سبيل المثال ، في القائمة التي أوردها في النص الإنجليزي ، وفي النصوص العربية لمؤلفاته . وهذا يرجع من ناحيه إلى حقيقة أن كثيرا من الهجر كانت مختلطة ، ومن ثم إذا سأل إنسان مواطنا عن هجرة بعينها عن الأصل القبلي لتلك الهجرة ، وكان ذلك المواطن حريبيا على سبيل المثال فإنه يميل إلى أن تكون حارب هي الإجابة ، برغم أن بعض الشرر يسكنون الهجره نفسها أيضا . ويترتب على ذلك أن تكون هناك هجر كثيره تحمل إسم واحد ؛ من ذلك مثلا روضه أو رويضه ، بعد اسما شائعا ، على سبيل المثال ، وأن هذا الإسم معناه حديقته أو بوستان

صغير . وإذا ما دون مؤلف الروضه على إنها تنتمى إلى قبيلة بعينها ، ويقوم مؤلف آخر بتدوينها على أنها تنتمى إلى قبيلة مختلفة قد يكونا صادقين بالمصادفة ، ولكنهما يعنيان هجرتين مختلفتين .

الجدول الأول

أسماء الهجر نقلا عن مصادر أم القرى (١)

القبيلة :

مُطِير

الأرطاويه ، الفروثي ، الثامرية ، الجعلة ، أم حزم ، مَبَايِض ،
الحسنو ، دابان ، بوضا ، الأثلة ، الأرطاوي ، مَلِيح ، وضاح ،
المطوي ، الشفلحية ، العمار ، قاربا ، الثامرية ، قرية السفلى ،
قرية العليا .

عُتَيْبَة

الداهنة ، الحفيرة ، اللبني ، أم سعدة ، ستام ، الرويضه ، عُسَيْلَة ،
ساجر ، عروفي ، الروضة ، كبشان ، المكات ، الصّوح ، عرّجة ،
نفي ، الحيد ، أبو جلال ، القرارة ، القرين .

حَرْب

القرين ، البرود ، البعاث ، المحلّتي ، الفوّارة ، قطن ، الدليمية ،
بقينة ، الشبيكية ، الذيبية ، الفيضة ، البذع ، دُخْنَه ، الخشبي ،
القرارة ، الشبئية ، المحلّتي ، النحيتية ، عقلة ، الصقور ،
البصيري ، الداث ، الجرذوية ، غسل ، الدليمية ، الصمغورية ،
ثادق ، النيمرية ، قُبَه ، خُصَيَّة ، ضيدا ، كحيله ، أبو مغير .

شَمَر

الأجفر ، الصفراء ، أم القليان ، جبّه ، الحفير ، التّيم ، الخبّه ،
السّنا ، النيفي ، العظيم ، المكحول ، الصهوه ، الشفّيق ، القصير ،

(١) أم القرى ، الأعداد ٢٠٨ و ٢٩٢ .

الفَيْضَةُ ، الْعُقْلَةُ .

عَنْزَه

خَيْر ، الْفَيْضُ ، بِيضًا نَثِيل ، الشَّعْبِيَّةُ ، الشَّمْلِي ، الشَّعْبِيَّةُ الثَّانِيَّةُ ،
الْبَلَّازِيَّةُ .

قحطان

الرَّيْنُ السُّفْلَى ، الرَّيْنُ الْعُلْيَا ، الْجَفِيرُ ، صَبْحًا ، الْهَيَاثُ ،
الْحَصَاةُ السُّفْلَى ، الْحَصَاةُ الْعُلْيَا ، الْمُتَنَصِّفُ ، لَبَن

الدواسر

الْحَمْرُ ، مُشِيرِفُهُ ، الْوُسَيْطَا ، الْحَزْمُ .

العجمان

الصَّرَارُ ، الْكَحْفَا ، الْوَتَانُ ، مَنَائِثُ ، يَاخَا ، الزُّغَيْنُ ، عُرْيَعْرَةٌ ،
الْعَيَّانَةُ ، غَنَوُهُ ، الْفَرَادَى ، الصَّحَافُ ، أُمُ رُبَيْعِهِ ، الْبَارَهُ ، مَتْنَانُهُ .

العوازم

عَتِّيقُ ، ثَاجُ .

آل مره

يَنْزِينُ ، السَّكَّاءُ ، نِيَّاءُ ، الْبُدُوعُ .

هَتِيم

بَتَّوَانُ ، الرُّوضُ ، الْعَمَائِرُ .

سبيع

الْحِسْنِي ، الضُّبَيْعَةُ ، الْخَضَرُ .

السهول

الْمُشَاشُ ، الرُّوَيْضَةُ ، الْبَذْعُ .

الظفير

الشّعيني .

بنى خالد

الدفى ، جلمودة .

بنى هاجر

عين دار (٢) ، يكرِب ، فوده ، صلاصيل .

الجدول الثاني^(٣)

أسماء الهجر نقلا عن مصادر ابن ناصر

القبيلة :

مُطِير

الأرطاويه ، مُبَيَّاض ، بُوْضَا ، فَرِيثَان ، مَلَيْح ، العَمَار ، الجُعَلَة ،
الأرطاوي ، مِسْكَة ، ضَرْبَة ، قَرِيه العَلِيَا .

عُتَيْبَة

الغُطُوط ، الرَوْضَة ، عَرَوَى ، سَنَام ، الدَّاهِيَة (برقَا) الصَّوُوح ،
عَرَجَة ، سَاجِر ، عُسَيْلَة ، كَبْشَان ، نَفَى .

حَرْب

دُخْنَه ، الشُّبَيْكِيَّة ، الدُّلَيْمِيَّة القَرِين ، السَّاقِيَّة ، حُلَيْفَة ، حَنْيَظَل ،
الْبُرُود ، خُصَيْبِيَّة ، كَحِيلَة ، الفَوَّارَة .

شَمَر

بَتَّوَان ، العُظِيم ، الحَقِير ، الْبَلَّازِيَّة ، خَبَه ، التَّيْم ، الْأَجْفَر ، الكَحْفَه ،
الْفَيْضَه ، بَيْضَا نَثِيل .

عَنْزَه

الشَّعْبِيَّة ، أُم الْقُلْبَان ، الشَّقِيق^(٤)

قحطان

الْهَيَّاثِم ، الْجَفِير ، الْحَصَاة ، الرَّيْن السُّفْلِي ، الرَّيْن الْعُلْيَا .

(٣) ابن ناصر : مرجع سابق .

(٤) أوردتها أم القرى على أنها تابعة للشَّعْبِيَّة ، وأوردتها فيلبس "عنزة" .

الدواسر

مُشَيَّرَفَه ، الوَسْتَيْطَى .

العجمان

صَرَّار ، حَنِيذ ، الصَّحَاف ، العَقِير ، نَيْتَاع ، غَرِيْعَرَه .

العوازم

الحَسِي ، ثَّاج ، الحَنَاء ، عَتِّيق .

بَنَى مُرَّه

شِيْبَاج ، أَبْيَرِيق ، عَيْن دَار (٥) .

مستقرات الخرج

ضُبَيْع ، البِذْع ، المَنِيصِف ، الأَخْضَر ، طَيَّيْسَم .

هَتِيم

خُرَيْقُط ، المَسَاع ، المَرُير .

(٥) أوردتها أم القرى على أنها تابعة لـ بنى هاجر .

الجدول الثالث

أسماء الهجر نقلا عن مصادر فيلبى (٦)

القبيلة :

مُطِير

الأرطاوية ، مُبَايِض ، بُوضَا ، فريثان ، مُلْنِج عَمَار ، الأثلة ،
أرطاوي ، مِسْكَه ، ضَرِيَّة ، قرية .

عُتَيْبِه

الغُطُوط ، البوضه ، عَرَوَى ، سَنَام من فرع برقه من القبيلة ،
الذَاهِنَة ، الصَّوَّح ، عَرَجَه ، سَاجِر ، عُسَيْلَه ، كَبْشَان ، نَفَى من فرع
برقه من القبيلة .

حَرْب

دُخْنَه ، الشُّبْنِيكِيَه ، الدُّلَيْمِيَّة ، قُرَيْن ، سَاقِيَّة ، حَلِيفَة ، حُنَيْظَل ،
بُرُود ، خُصَيَّة ، قِيَا ، نَثِيل .

شمر

بَنَوَان ، فُطَيْم ، حَفَيْر ، الْبَلَّارِيَّة ، خُـبَّه ، التَّيْم ، الْأَجْفَر ، كَحْفَه ،
الْقَيْضَة ، بِيضَا نَثِيل .

عَنْزَه

الشَّعْنِيَّة ، الْقُلْبَان ، شَقِيق (٧) .

هَتَيْم

خُرَيْفَط ، الْمَسَاع ، مَرْيَر .

(٦) فيلبى ، المملكة العربية السعودية ، ص ٢٦٢ ؛ فيلبى ، الربع الخالى ، ص ٦٠ .

(٧) أوردها أم القرى على أنها تابعة للشمر .

قحطان

الَهْيَاثِم ، الجَفِير ، الحِصَاة ، الرِّين .

الدواسر

مُشَيَّرَفَه ، الوَسَيْطَى .

العجمان

الصَّرَّار ، حَتِيذ ، العَقِير ، نَاطَا ، غَرِيْعَرَه .

العوازم

الحِسي ، ثَاج ، الحَنَّاة ، عَتِّيْق .

مستقرات مختلطه

الشَّقِيْق ، أَبِيرِيْق (٨) ، عَيْن دَار (٩) .

منطقه الخرج

(مختلطه من السهول - سبيع) : الضُّبَيْعَه ، البَنْدِع ، المُنْيَصِف ،

الأخضر ، طَيِّبَسَم ، الروَيْضَه .

(٨) أوردها ابن نصير تابعه للمره .

(٩) أوردها أم القرى تابعه لـ بنى هاجر .

الجدول الرابع

أسماء الهجر نقلا عن مصادر الريحاني (١٠)

القبيلة :

مُطير

الأرطاويه ، مَبَايِض ، فَرِيثَان ، مَلْنَح ، العَمَار ، الأَثَلَة ، الأرطاوي ،
مِسْكَة ، ضَرْبَة ، قرية العليا ، قرية السفلى ، الشَّعِيب ، سُدِير ، نَكِير .

عُتَيْبَة

الغُطُوط ، عَرَوَى ، سَتَام ، الرُّوضَة ، (من فرع برقة) الدَاهِيَة ،
الصَّوْح ، سَاجِر ، عَرَجَة ، عُسَيْلَة ، نَفَى من فرع الروقة من القبيلة .

حَرْب

دُخْنَة ، الشَّيْبِيكِيَّة ، الْقُرَيْن ، السَّاقِيَّة ، حُلَيْقَة ، حُنَيْظَل ، الْبُرُود ، قُبَّة
(تنطق أجبه) ، الْفَوَّارَة .

شَمَر

الأَجْفَر ، بَنَوَان ، الْقُطَيْم ، الْقُصَيْر ، الْحَفِير ، الْبَلَاذِيَّة ، الْخَسْبَة ،
الْفَيْضَة ، بِيضَا نَثِيل ، النَّيْم ، أُم الْقُلْبَان ، الشَّقِيق ، رَوْضَة الْعِيُون .

قحطان

الهِيَآثِم ، الْهِيَآثِم بَادِيَه ، الْجُفَيْر ، الْحَصَاة ، الرَّيْن الْأَسْفَل ،
الرَّيْن الْأَعْلَى .

(١٠) الريحاني ، نجد ، ص ٤٠٤ - ٤٠٦ ، ابن سعود ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

الدواسر

مُشِيرَفَة ، الوَسَيْطَى .

العجمان

الصَرَار ، حَتِيد ، الصَحَاف ، العُقِير ، عُرَيْعِرَة .

العوازم

نَاج ، الحَسِي ، الحَنَاء ، عَتِّيق .

مره

السِكَّك ، أَبْيَرِيق ، عَيْن دار (١١) .

مستقرات الخرج (١٢)

الضُبَيْعَة ، البُدْع ، المُنْيِيف ، الأَخْضَر ، طَيِّسَم ، الرُّوَيْضَة .

(١١) في نجد ، يعنيها الريحاني على أنها المره ، وفي ابن سعود يقول أنها بنى هاجس .

(١٢) فيلبس ، المملكة العربية السعودية ، يورد هاتان الهجرتان على أنهما "سحول - سبيعي" .

الجدول الخامس

أسماء الهجر نقلا عن مصادر ديكسون (١٣)

القبيلة :

مُطِير

الأرطاويه ، فرثيان ، أم غيضة ، مَلِيح ، العَمَار ، الأَثَلَة ؛ قرية العليا ،
قرية السفلى ، نَقِير ، نَقِيرَه ، الشَّعْب ، ضَرِيَّة ، مِسْكَة .

عُتَيْيَه

الغُطُط ، الدَّاهِنَة ، الصَّوَّح ، سَاجِر ، عَرَجَه ، عُسَيْلَه ، نَفَى ، هَجْرَه
خالد ابن لؤي ، عرمة الغابه ، الرَّوَضَه ، العَرَق ، الجَفَر ،
روضة العيون .

حَرْب

عَجِيَه ، دُخْنَه ، الشُّبَيْكِيَّة ، الدُّلَيْمِيَّة ، الصَّدِيقَه ، القُرَيْن ، حَنْيَظَل ،
الْبُرُود ، حَلِيفَه .

قحطان

الحِياضِين ، الجُفَيْر ، الحِصَاة ، الغِيل ، هَجْرَه ابن غَنَام ،
حيف زهران ، صَبْحَا ، العَبْرَا ، الرَّيْن (العليا) ، الرَّيْن (السفلى) .

الدواسر

مُشْتَرِفَه ، الوَسْتَيْطَى .

(١٣) ديكسون ، الكويت ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ؛ الهجاء كما ورد في النص .

العجمان

الصَرَار ، الشافى ، حَنِيذ ، عُوَيْنَه ، عَرَّيعَرَه .

العوازم

ثَاج ، الحَنَاء ، الحسى ، عُنَيْق .

بنى مُرّه

نَبَاك ، أَبْيَرِق .

بنى هاجر

الضهراء .

بنى يام

أهل نجران .

هُتَيْم

بَتَّوان .

مستقرات الخرج

الْمُنَيْصِف ، الضَّبَيْغَه ، الْبَدْع ، الْأَخْضَر ، إِسْم الطَّيِّب (طَبَيْسَم) ،

الرَّوَيْضَه .

أسماء الهجر نقلا عن مصادر ديكسون (١٤)

هُجَر :

الأَرْطَاوِيَّة ، مُبَايِض ، رُوَيْغَب ، الْحَسَنِ ، الدَّلِيمِيَّة ، الشُّبْنِيكِيَّة ، نَفَى ،
عَرْجَة ، سَاجِر ، الوُسْتَيْطَى ، عَزْوَى ، سَتَام ، رِيَّاض الْخَبْرَا ، الْخَبْرَا ،
الْغُطْفُط ، الْخَضَر ، الْهَيَّائِم ، الْوَصْلَه ، هَجْرَة بنى هَفِيف ، عَوِيرِض ،
هَجْرَة خَالِد ، هَجْرَة بنى صَوْلُول ، هَجْر آل أَبَا الْغَارِب ، هَجْر تَثْلِيث ،

(١٤) ديكسون ، مذكرة إلى المفوض المدني ، بغداد ، مخطوطات ، وزارة الخارجية ، المجلد ٥٠٦٢ .

العمّار ، الدبّينه ، الصّوّح ، الفّـوّارة ، دُخْتَه ، عَرَجَه ، عُسَيْلَه ،
الأثْلَه ، العمّار ، الأرْطَاوي ، الرّوَضَه ، السَّبْلَه ، الرّين الفوقى ،
الجُفَيْر ، ليبراح ، البذع ، الضَّبْيَغَه ، المُنْيَصِف ، الغَيْل ، هجرة الوام ،
هجرة ابن غنّام ، هجرة حيف زهران ، هجرة أهل الشُّبَيْكَه ،
هجر أهل نجران .

الجدول السادس

أسماء الهجر نقلا عن مصادر أخرى (١٥)

الإسم :

لينا :

حددها للمؤلف على إنها هجرة الشيخ محمد الصباحي ، وقد وردت أيضا في فتوح ، فرقة ، ص ٤٣ . وتقع هذه الهجرة بالقرب من الحدود الكويتية السعودية .

ساغو :

حددها للمؤلف مزارع من الدواسر على إنها هجره ، وقد رافق ذلك المزارع المؤلف أثناء مروره على خرائب القرية . وتقع ساغو على بعد حوالي ١١٠ ميلا جنوب غرب الرياض .

أم رضمه :

تحددت على أنها هجره في فرقة . ص ٤٣ .

المصدر :

تحددت على إنها هجره في كتاب العطار صقر (١٦) ، ص ٢٠٠ .

(١٥) كما هو وارد ومبين في النص .

(١٦) العطار ، صقر ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، يقدم قائمة تكاد تكون صورة طبق الأصل من القائمة التي أوردها

الريحاني في كتابه نجد . ويورد صقر عدد إجمالي للسكان في الهجر نقلا عن تفرقة القبائل .

حمد إبراهيم الحقييل ، عبد العزيز في التاريخ (بيروت : مؤسسة المعارف ، ١٩٦٨)

ص ٦٤ ، يورد قائمة تشمل على ٥٢ هجره غير أن تلك القائمة لا تحتوي على أسماء لم ترد عند

الريحاني أو عند فيلبس .

الجدول السابع

الإخوان الموالين ^(١٧) الذين حاربوا الإخوان المتمردين

القبيلة	الهجرة	الأمير
عُتَيْبَة	نَفَى	عمر ابن ربيعان
	الدَّاهِنَة	غازي البراق
	عُسَيْلَة	غازي التوم
	عَرْجَة	قطيم الحبيل
	سَاجِر	ناصر بن محيا
	الحَيْد	عقاد بن محيا
	مساعده	خالد بن جامع
	الرُّوَيْضَة	جمل المهري
	أبو جلال	محماس الثفار
	الرَّوَضَة	ماجد بن ضاوي بن فُهَيْد
	اللبيب	عبد المحسن الهیضل
	الحَفِيرَة	سجدي الهیضل
	سَنَام	سلطان أبا العلا
	عَرَوَى	جعجع ابن حميد
		(أخو سلطان بن بجاد)
	الْقَرَارَة	سلطان أبو سنون

(١٧) أم القرى ، العدد ٢٩٢ ، (١١ يوليو ١٩٣٠) .

كَبْشَان	سلطان أبو خَشْنِيم
شَبِيرْمَه	ناصر ابن رازن
الْقُرَيْن	خاتم ابن مسعد
الصَّوْح	سلطان الغزبي
حَرْب	
الفَوَّار	حجاب ابن نحيث
دُخْنَه	عايد البهيمه
الْقُرَيْن	عبد المنعم ابن نَافِي
الخشبي	عبيد الزُّغَيْبِي
الفَوَّارَة	على ابن هُدَيْب
الْبُرُود	نايف ابن مضيان
خُصَيْبِيَّة	ذعار ابن حماد
الْبَعَايْث	رباح ابن مطلق
الذَّيْبِيَّة	شاهر ابن مريخان
الشَّهْبَيْكِيَّة	هندي الذويبي
البُقَيْعَا	دويخ البشرى
المجَلَّاتِي	رشيد ابن رشيد
قَطْن	عبيد الديري
النَّحْيِيَّة	دبيان ابن غان
عُقْلَة الصَّقُور	صنهان الشطير
البصيرى	غازى أبى كلاب
الذَّات	دعار ابن ريس
الجِرْدَاوِيه	عقاب ابن خريص
غَسَل	هايس ابن سليمان
الدَّلَيْمِيَّة	زين ابن جديع
ثَادَج	بجاد ابن غميص

النيمرية	محمد ابن ثواب
البقيعة	سعد ابن غليفيص
مطير	مشاري ابن بصيص
الفروثي	نايف بن مزيد
الأرطاويه	يعقوب الحميداتي
الثامرية	على الخريبيط
الجعة	عوض المفهوي
أم حزم	طامي القريفة
مبايض	جميعان ابن ضاوي
الحسنو	دغيم بن هدبا
دابان	مطلق الهفتا
بوضا	خويل بن سمحان
الأثلة	سليم بن رجّاح
الأرطاوي	فيصل بن سقيان
مليح	تركي بن ضمنه
وضاخ	سليم بن مزنان
المطيوي	قعدان بن درويش
الشفلحية	عبد المحسن ابن جبرين
العمار	تريحيب ابن شقير
قرية (العليا)	
قحطان	خليل بن عمر
الرّين السفلى	هذال بن سعيدان
الرّين العليا	ناصر بن سدحان
الجفير	فنيص بن شوية
الحصاة	سعيد الروبيخ
صبحا	

السُّهول	البدع	صوار بن معدّل
	الرُّوَيْضَةُ	عبد الله بن مظهر
	المشاش	دليم بن جلود
سببيع	الحسي	فدغوش بن شويه
	الضُّبَيْعَةُ	بادي بن دبيان .

الجدول الثامن

زعماء الإخوان الذين حضروا الجمعية

العمومية (١٨)

هجر قبيلة عتيه

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الدَّاهِنَة	عمر بن ربيعان	نايف وخالد الحلاج ؛ ماجد البراق ؛ بدر ابن علوش ؛ الشقيري ابن حاف	
الحَفِيرَة	مناحي الهیضل	سلطان بن حشر ؛ صلال بن مناص الهیضل	مطوع/عبد الله الصميت
اللبیب	عبد المحسن بن بدر الهیضل	صلاح بن بدر ؛ عمر أبو رقبه	
مُصَدَة	خالد ابن جامع	مترك ابن جامع	
سَنَام	سلطان أبا العلا	هزاع ابن مغیریق	قاضي/محمد الشاولي
الرُّوَيْضَة	جمل المهري		
عُسَيْلَة	غازي التوم	ضيف الله التوم	قاضي / عبد الرحمن

(١٨) أم القرى ، العدد ٢٠٩ هكذا ورد في الأصل والصواب ٢٠٨ ، ٦ رجب ١٣٤٧ هـ /

١٨ ديسمبر ١٩٢٨ م . والطريف أنه حتى في صحيفه أم القرى ، وقع خطأ في كتابة السنة الميلادية

في رأس الصفحة الأولى ، حيث رُسمت ١٩٧٢ م ، بدلاً من ١٩٢٨ م . (المراجع) .

ابن عودان	مخيل الله بن وسني		
	ذعار ابن ربيعان	نايف بن تركسي ؛	ساجر
	وضيف الله بن تركي ؛		
	تركي بن فيحسان		
_____	_____	حشر بن مقعد	عروى
_____	_____	ابن حميد	
_____	فيحان ابن فـهيد	ماجد بن ضاوى	الروضه
_____		ابن فهيد	*
_____	جاعد بن سجاد	سلطان أبو	كباشان
_____	أبو خشيم	خشيم	
_____	_____	ماجد أبو خشيم	المكلات
_____	_____	سلطان الغربي	الصوح
مطوع / إبراهيم	طلق ابن جازع ؛	قطيم الحبيل	عرجا
السياري	عبد الله الوتيز		

هجر قبيلة مطير

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الأرطاوية	عبد العزيز الدويش	نايف ابن مزيد ، فيصل	
		ابن شبلان ؛ محمد ابن	
		بدر ؛ هزاع بن بدر ؛	
		مسير بن مزيد	

* هجرة (حميان) أميرها : بدر بن عكيل ، ومن رؤسائها : مناص بن عكيل كما ورد في "أم القسري"

العدد (٢٠٨) ، ولم يوردها المؤلف سهواً (المراجع)

قرية	هايف الفغم	سعود ابن كريدى الفغم ؛
السفلى		بندر ابن ضيدان الفغم
قرية	تريحيب ابن شقير	فلاح ابن شقير ، فيصل ابن
العليا		نايف ابن شقير ، حزام ابن
		زريبان ؛ ماجد الأصقه ؛
		غصاب ابن منديل .
الفروثي	مشارى ابن	قاعد ابن بصيص ؛ ماجد ابن
	بصيص	خشان ؛ تركي ابن بصيص ؛
		خالد ابن بصيص .
الثأمية	يعقوب الحميداني	محمد بن مئيج الحميداني ؛ قاضى/عمر خليفه
		بجاد ابن كنعان الحميداني ،
		ذعار ابن يعقوب الحميداني .
الحسو	جميعان ابن ضاوي	_____
بوضا *	مطلق الهفنا	_____
مئيج	علوش ابن شقيان	غازى ابن شقيان مطوع/محمد البيز
الأثلة	حويل ابن سمحان	مذكر ابن سمحان
وضاح	منيف ابن فطيم	_____
مبايض	طامي الكريفه	_____

* أم حرم : أميرها عوض المقهوي ؛ كما ورد في أم القرى . (المراجع) .

هجر قبيلة هُتيم

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
نبوان	دليم ابن براق	ذعار ابن عمير	_____
الروض	غازي ابن هادي	_____	_____
العمائر	شاكر ابن قعوب	_____	_____

هجر قبيلة السهول

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
المشاس	مناحي ابن جلعود	_____	_____
الرؤيضة	عبد الله ابن مظهر	_____	_____
البذع	صوان ابن معدل	_____	_____

هجر قبيلة قحطان

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
-------	--------	---------	-------

الرَّيْنُ العَلِيَا هَذَا ابْنُ سَعِيدَانَ حَزَامُ بْنُ صَقْرٍ ؛
 عَشَقُ بْنُ مَسْفَرٍ ؛
 قَبْلَانُ حَوِيرَى ؛

عبد العزيز بن لبده ؛			
فيصل بن لبده .			
الرَّين	سلطان ابن سفران	خليل بن عمر ؛ سعد بن	_____
السفلى		جليغم ، تركي بن صُلَيْم ؛	_____
		بداح العجاج	_____
الهَيَاتَم	فيصل بن حشر	خالد بن فيصل ؛ فهد بن	_____
		مريحا ؛ فيصل بن مجدل	_____
الحَصَاة	فئيس بن حُوَيْل	_____	_____
السفلى			
الحَصَاة العليا	سعد بن جلبان	_____	_____
الجَفِير	ناصر بن سدحان	_____	_____
المُتَصِيف	هلال بن عبود	_____	_____
لَيْن	رجي بن ناصر	_____	_____

هجر قبيلة عنزه

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
خير	محمد بن فرحان الأيدا	هزاع بن هابس الأيدا ؛	_____
		هزاع بن محمد الأيدا	_____
الْفَيْضَه	جريبيع بن سويلم	ناصر بن سويلم	_____
بيضا نثيل	خلف العواجي		_____
الشَّعْنِيَّة (١)	شارع بن مجلاد	_____	_____
الشَّمَلِي	عبد المحسن بن شامان	_____	_____
الشَّعْنِيَّة (٢)	فرحان بن مشهور	_____	_____

البَلَارِيَّة عبد الرحمن بن معتيق

هَجَر قَبِيلَة شَمَر

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الأَجْفَر	نائب الأمير عباد بن	حمدان بن جدي ؛	
	نهير	سلطان بن عايش	
الصفراء	مغيث بن جار الله		
أم القُلبان	غضبان بن رمال		
جُبّه	عدوان بن رمال	مر عيد بن رمال القاضي/حمد ابن مزaid	
الحفير	كاتب النمّاس		
التَّيم	فريج الحمزي		
الخَبّه	فريج الهريدي		
الصيننا	سعدون بن عباس		
النيفي	عبد الكريم الزيد		
العُظيم	جذيل بن الفصيم	غضيب بن الفصيم	
		شبيب بن الفصيم	
المكحول	مرزوق العديم		
الصهوة	منزل بن هایل		
الشقيق	ضافي بن معرف		
القصير	حواس بن خمسان	مقبل بن خمسان	
الفيضة	جادی بن فنيديل	ختلان فنيديل ؛	
		سلطان بن فنيديل	
العقله	حواس بن طواله	محمد بن ضاري بن	

طواله ، مشل بن

سالم ابن طواله

هجر قبيلة الظفير

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الشَّعْنِي	عجمي ابن سويط	هزاع بن عقاب بن سويط ؛	
		عبد الله بن عقوب ابن سويط ؛	
		حمدان بن ضويحي ؛ وكثير من	
		رؤساء قبائل الظفير	

هجر قبيلة حرب

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
آقبه	عبد المحسن الفرم	نافع بن فضليه	
دُخْنَه	عابد البهيمه	ذعار بن بتلا ؛ بدر	القاضي/عبد الله
		المشديق ؛ عيد بن عفراء	ابن زحيم .
القرارة	على بن هديب	فالح بن هديب ؛ عيد بن مخلف	
الخشبي	عبيد الزغبي	عبد الله الزغبي ؛ غانم الزغبي	
ضيده	حنول بن هديب		
خصيه	ذعار ابن حماد	سلطان ابن حماد	
كحيلة	نايف بن ناحل	شاكر بن صلف	

_____	_____	سعد بن ربيع	أبو مغير
_____	_____	ديان بن غادن	النحيثيه
_____	متعب بن غميص ،	بجاد ابن غميص	ثادج
_____	بجاد بن حوبان	_____	_____
_____	عبد الله ابن نافي	عبد المنعم ابن	القرين
_____	صلاح ابن نافي	نافي	_____
مطوع / وايل بن يحيى	فيحان ابن مضيان	نايف ابن مضيان	البرود
_____	ثلاب ابن صمير	_____	_____
_____	مخير ابن مطلق	رياح ابن مطلق	البعايث
_____	_____	رشيد بن رشيد	المحلاتي
_____	ضيف الله بن نحيث ؛	حجاب بن نحيث	الفرارة
_____	زيد بن نحيث ؛ حمود	_____	_____
_____	أبو العون ؛ سميح البشري	_____	_____
_____	_____	شديد الديري	قطن
_____	دعيج ابن جديع ؛	زين بن جديع	الدليمية
_____	ضحوي ابن جديع	_____	_____
_____	_____	مشعان البشري	بقيعه
_____	فيحان الذويبي ؛ محمد بن	هندي الذويبي	الشبيكية
_____	ناهس الذويبي ؛ نايف	_____	_____
_____	بن ناهس الذويبي	_____	_____
_____	ناصر ابن مريخان	طميميس ابن	الذبيية
_____	_____	مريخان	_____
_____	حمود الزهيري	عقيل الزهيري	الفيضة
_____	_____	جلوان البلحي	البدع

هَجَرَ قَبِيلَةَ سَبِيعَ

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الحسي	فدغوش بن شويه	وليد بن شويه ، غيثم	_____
الضَّبَّيْعَةُ	على بن هديهد	ثنيان بن هديهد ، فالح بن فيدا	_____
الخضر	الضويرى ابن جفران	سبيع ضرمان أبو اثنين ضيدان أبو اثنين	_____

هُجَرَ قَبِيلَةَ الْعَجْمَانِ

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الصَّرَّار	حزام بن حثلين	_____	القاضي/عبد الله بن حسن
الكهف	فهاد ابن حثلين	_____	_____
الونان	سالم بن وذين	_____	_____
حنيذ	منصور بن شافى	_____	_____
نجا	محمد بن حصه	_____	_____
(ليست هجره)			
الزغنين	خالد المتلقم	_____	_____
عريعره	مانع بن جمعه	_____	_____

_____	_____	نايف بن حثلين	العيينه
_____	_____	محمد بن عصيدان	عنوه
_____	_____	خالد بن حثلين	القرادى
_____	_____	فهد بن بجّاش	الصحاف
_____	_____	ملهي بن قضعان	أم ربيعة
_____	_____	مطلق بن زنيفر	البرّه
_____	_____	محمد بن ظبية	قطنانه

هجر قبيلة بنى خالد

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
_____	_____	_____	_____
_____	_____	_____	_____
_____	_____	_____	_____
_____	_____	_____	_____
_____	_____	_____	_____

هَجَر قَبِيلَة بَنِي هَاجِر

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
عَيِّدَار	محمد بن ناصر بن خليفه	عبد الله بن محمد ابن خليفه ؛	_____
		محمد بن مبارك ابن خليفه ؛	_____
يَكْرِب	شافي بن شافي	مذكر بن شافي ؛ حمود	_____
		بن شافي .	_____
فوده	محمد بن طغره	شايح بن سوده	_____
صَلَاصِل	علي بن عايد	حمد ابن عايد	_____

هَجَر قَبِيلَة بَنِي مُرَّة

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
يَيْرِين	حمد المرضف	صالح المرضف	_____
السكَّك	حمد بن حترب	فاضل بن فضل	_____
نَبَاك	سعود بن نقاون	_____	_____
البُدُوع	راشد بن نديله	لاهوم بن شريم ؛ صالح أبو	_____
		ليله ؛ متعب الصعاف .	_____

هَجَر قَبِيلَةُ الْعَوَازِمِ

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
عُتَيْق	فلاح بن جامع	_____	_____
ثَاج	مساعدة الملعبى	_____	_____

هَجَر قَبِيلَةُ الدَّوَاسِرِ

الإسم	الأمير	الأعيان	آخرون
الحمير	هَذَا بَنِ وَقِيَان	_____	_____
مُشْتَرِفَه	مَنَاجِي بَنِ حَفِيط	ابن قويد ؛ صقر ابن درعان ؛	_____
الْوَسَيْطَا	محمد بن وقيان	شيبان بن قويد ؛	
		صقر بن درعان ؛	
		محماس بن سويلمه	_____
الخُرْمَة	الشريف عبد الله بن	نايف بن هملان ؛ هاجد	_____
	ناصر	بن جروه ؛ صلال بن هملان	_____

الجدول التاسع

قوة المقاتلين فى الهجر

القبيلة الهجره الريحاني عربى^(١٩) الريحاني إنجليزى^(٢٠) ديكسون^(٢١)

مُطِير	الأرطاويه	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠
مُبَايَض	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٩٠٠
فَرِيثَان	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٦٠٠
العَمَار	٧٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٧٠٠
مَلِيح	٧٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٧٠٠
الْأَثَلَة	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٦٠٠
مِسْكَة	٨٠٠	٨٠٠	٨٠٠	٦٠٠
ضَرِيَّة	٨٠٠	٨٠٠	٨٠٠	٦٠٠
قَرْيَة الْعَلِيَا	١٥٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٨٠٠
قَرْيَة السُّفْلَى	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٦٠٠
نَكِير	—	—	١٠٠٠	١٢٠٠
الشَّعِيب	—	—	٤٠٠	٣٠٠
مِسْحَاء	—	—	—	٤٠٠
سَدِير	—	—	٧٠٠	—
الأرطاوي	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	—

(١٩) الريحاني ، نحد ، ص ٤٥٤ - ٤٥٦ .

(٢٠) الريحاني ، /ابن سعود ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢١) ديكسون ، /الكويت ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

إجمالي مطير	١١١٠٠	١٣٢٠٠	١٠٤٠٠
قحطان الهَيَاتَم	١٨٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠
الحَقْفِير	٣٠٠	٣٠٠	٨٠٠
الحَصَاة	٨٠٠	٨٠٠	٧٠٠
الرَّيْن السِّفْلَى	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠
الرَّيْن العُلْيَا	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٢٠٠
الغِيل	—	—	٥٠٠
هجره بن غَنَا	—	—	٥٠٠
حيف زهران	—	—	٤٠٠
السَّبَّهَا	—	—	٥٠٠
العَبْرَا	—	—	٦٠٠
إجمالي قحطان	٦٩٠٠	٦٩٠٠	٨٠٠٠
الدواسر مُشْتَرِفَة	١٥٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠
الوَسْتَيْطَى	٨٠٠	٨٠٠	٨٠٠
إجمالي الدواسر	٢٣٠٠	٢٣٠٠	٢٣٠٠
عَتِيْبَه الدَّاهِنَة	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٨٠٠
الصَّوْح	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠
سَاجِر	٨٠٠	٨٠٠	٧٠٠
عَرَجَة	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠
عُسَيْلَه	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠
نَفَى	١٥٠٠	١٥٠٠	٩٠٠

٤٠٠	—	—	هجرة خالد
			ابن لوئي
٧٠٠	—	—	الخرمه
٢٠٠	—	—	الغاية
١٠٠٠	—	—	العرق
٦٣٠٠	٦٩٠٠	٦٩٠٠	
٧٠٠	٢٠٠٠	٥٠٠٠	عتيبة (برقه) الغطط *
—	١٠٠٠	١٠٠٠	عزوى
—	١٠٠٠	١٠٠٠	سنام
٧٠٠	٧٠٠	٧٠٠	الروضة
٧٧٠٠	١١٦٠٠	١٤٦٠٠	إجمالي عتيبة
١٦٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	العجمان الصرار
٨٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	حنيد
٥٠٠	٨٠٠	٨٠٠	الصحاف
٥٠٠	٧٠٠	٧٠٠	العقير
١٠٠٠	١٣٠٠	١٣٠٠	عريعره
١٢٠٠	—	—	العيينة (ليست هجره)

* التباين في تقديرات الغطط واضح وملحوظ وربما كان ذلك راجعا إلى الخلط بصورة عامة بين حجم الهجرة وقوة المهاجرة . بالقطع أن ٥٠٠٠ مقاتل قوة مبالغ فيها في حين أن الرقم ٢٠٠٠ يجعلها في وضع مساو للارطاويه نظرا لأن الارطاويه أكبر من الغطط ومع أن رقم ديكسون هو ٧٠٠ فإنه يعد أقل من المؤمل ، ولكنه أقرب ما يمكن إلى الحقيقة . وقد سبق أن أوضحنا في هذا البحث أن قوة الغطط لا تزيد على ٤٠٠٠ شخص وأن ٧٠٠ مقاتل من هذا العدد تعادل حوالى ٢٠٪ من السكان وهذا رقم معقول .

٥٦٠٠	٥٨٠٠	٥٨٠٠	إجمالي العجمان
٦٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	حَرْب دُخْنَه
٩٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	الشُّبَيْكِيَّة
٧٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	الدُّلَيْمِيَّة
٤٠٠	٧٠٠	٧٠٠	الْقُرَيْن
٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	السَّاقِيَّة
٩٠٠	٣٠٠	٣٠٠	حَلِيفَة
٥٠٠	٧٠٠	٧٠٠	حَنْيَظَل
١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	الْبُرُود
١٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	قُبَّة
		١٠٠٠	الفَوَّارَة
٦٤٠٠	٩٨٠٠	١٠٨٠٠	إجمالي حَرْب
١٦٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	العوازم ثَّاج
١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	الحسي
١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	الحَنَّاة
٨٠٠	٧٠٠	٧٠٠	عَتِّيق
٤١٠٠	٤٢٠٠	٤٢٠٠	إجمالي العوازم
		١٠٠٠	المرَّة السَّكَّك
٩٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	أَبْيَرَق
٧٠٠			عين دار (بنى هاجر)

(٢٢) يحدد ديكسون بيضاء ناثيل على أنها قبيلة عتيبه من العمار .
(٢٣) يحدد ديكسون ذلك الإجمالى على انه خاص بالعمار من قبيلة عتيبه .

٦٠٠	٨٠٠	٨٠٠	منطقة الخرج الضبيغة
٥٠٠	٨٠٠	٨٠٠	البذع
٥٠٠	٦٠٠	٦٠٠	المنيصف
٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	الأخضر
٤٠٠	٤٠٠	٤٠٠	اسم الطيب
٤٠٠	٤٠٠	٤٠٠	الرويضه
<hr/>			
٢٩٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	إجمالي الخرج
٤٠٠٠	————	————	يام أهل نجران (ليست هجره)



[illegible]

طریف

العراق

تَبُوكْ

الجوف

الشعبية
لنا 3
بقعة 2
الجفير

قبة بريدة
الروضة العيون
المدينة

السبلة 5 ساجر المربعة الفوارة
المخففة مساهم العوام

الدرغية	الكهفة 4	الشبيكة	جده
الرياض	كبشان	مسكة	مكة
الهيثم	القطط	الخرمة	الطائف
			تربة

عروى
الروضة
الرين
يبرين

أبها

نجران

حیدرآں

اليمن

حضرت موت

عدن

عمان

مسقط

رسالة (٣١) من الأمير سعود إلى شيخ الكويت

من سعود ابن عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل إلى سعادة المكرم ، الأخ ،
الشيخ أحمد الجابر الصباح ، حفظه الله وأبقاه ، آمين .

بعد تقديم التحية والدعاء لكم بنعم الله ورحمته لكم دوما ، وشكرا منا لله على
نعمه وإحسانه ، إذا أننا جميعا بخير بفضل كرمه وإحسانه . حفظك الله . أنت تعلم
بأمر كل من ابن بجاد والدويش ومعهم اتباعهم وعصيانهم وتمردهم ومعارضتهم
للشريعة . وطوال أربع سنوات كنا نحاول تسهيل الأمر حتى لا يذاع على الملأ
ويسبب ضررا للجميع ، إذ أن قصدنا وأهدافنا هي إراحة المسلمين ورفاهيتهم ،
فضلا عن أمنهم . ولكن الزمن يحدد الأمور والأشياء . لقد كنا نحسب أن غزوهم
موجه فقط إلى القلاع وسكانها ، ولم نكن نعلم أنهم ينوون غزو ابن رمال
وأتباعه ، فضلا عن غزوهم أيضا لأهل القصيم ، الذين ذبحوهم وسرقوا منهم
ممتلكات ليس لهم فيها حق شرعى . ونحن بدورنا غضبنا من ذلك ، مثلما غضب
آخرون أيضا ، وكذلك أيضا أهل نجد ، ووقفنا ضدهم وقفه رجل واحد . وبعد ذلك ،
عقد اجتماع فى القصيم حضره كل المسلمين ، وبعد أن دمرناهم تحركنا إلى الزلفى
وكان المذكورين أعلاه (٣٢) فى السبلة ، على بعد مسافة ساعتين . وطلبنا إليهم
تحكيم الأمر بالشريعة ، ولكنهم كانوا يرفضون ذلك دوما ، واصرروا على عدم تحكيم
الشريعة ، ولذلك قام المسلمون فى التاسع عشر من الشهر الماضى بالهجوم عليهم
وقتلوهم ، ولقتوهم درسا مخيفا . لقد خسروا عددا كبيرا من الرجال ، أما
المسلمين ، فقد عادوا سالمين ، بفضل الله ، باستثناء استشهاده عشرة منهم . وهذا
هو جزاء أولئك الذين يخالفون شريعة الله ولا يلقون له بالا . أما فيما يتعلق
بالدويش ، فقد جرح ، والله وحده هو الذى يعرف إن كان سيموت من تلك الجراح

(٣١) الرسالة الأصلية موجوده لدى حسين الشيخ خزعل ، المؤرخ ، الذى يسكن فى الكويت ، وقد أطلع

عليها المؤلف فى الرياض يوم ٨ مايو ١٩٦٩ ، وأعطاه الشيخ خزعل نسخه منها .

(٣٢) يشير هنا إلى ابن بجاد ، الدويش واتباعهما .

الخطيرة ؛ لقد أسرنا ابنه وكبار رجالات الأرطاوية ، كما أسرنا أيضا ابن عشوان ومعه بعض البدو المهمين في مطير ، وأسرنا ابن بجاد أيضا وكل الرجال المهمين من قبيله عتيبه .

وعندما فهمنا ما فعله الله لنا وللمسلمين ، أردنا أن نبلغكم ، ونطلب من الله أن ينعم علينا بنعمه ، بأننا سنواصل ما نقوم به من أجل المسلمين . وهذا هو ما أردنا إبلاغكم إياه . إن الابناء هنا والأشقاء ، يا سيدى ، يرسلون تحياتهم ، كما أن جلالة الملك واشقائه يرسلون لكم خالص التحيات وأطيب التمنيات .

١٨ إبريل ١٩٢٩ .

المَلِكُ عَبْدُ الْعَزِيزِ

والوَهَّابِيَّة

الوهابية وَهْمٌ ، أو اسم اخترعته الدعاية المَفرّية في عهدي السلطانين سليم الثالث ومحمود الثاني ، من سلاطين آل عثمان ، أيام كانت البلاد العربية - مصر والشام والعراق والحجاز وأطراف نجد وأكثر اليمن - من الولايات الخاضعة للدولة العثمانية وسلاطينها ، ومن ينتدبونه لحكم هذه البلاد ، من ولاية ومتسلطين وقواد .

ففي عهد السلطان سليم الثالث ، وقبله ، كانت الإمارة في نجد لآل سعود ، استقلالاً وعاصمتهم الدرعية .. وكان الأمير منهم في بدء أيام السلطان محمود الثاني ، سعود بن عبد العزيز ، ثم عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، والبيعة : « على دين الله ورسوله والسمع والطاعة » .

وفي أيام السلطان مصطفى الثالث ، بدأ الناس يتحدثون نبأ فقيه مسلم حنبلي ، من أهل « العُيينة » بنجد ، اسمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان. كان أبوه قاضياً ونشأ هو نشأة علمية صالحة، وساءه أن يرى في قلب الجزيرة أباطيل وأضاليل ألصقها بالإسلام جهال ، لاحظ لهم منه ، غير التسمي به والانتساب إليه؛ فقام يدعو إلى التوحيد الخالص وتطهير الدين مما علق به من أدران الجاهلية الأولى وبدع الجاهلية الثانية . وجهر بالزجر ، فقاومه بعض عشيرته ، فقوي عليهم بمناصرة آل سعود له .

(*) عن كتاب : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للعلامة خير الدين الزركلي .

٨٣٢

وتناقل الناس في بادية نجد والعراق ، ثم في حواضر الحجاز والشام ومصر ، حديث « ابن عبد الوهاب » ونصرة آل سعود لدعوته ، وما كان لهم من فتوح وللدعوة من انتشار . ووصل النبأ إلى الآستانة ، وفيها وفي البلاد التابعة لها يومئذ ، من شيوخ الدجل مئآت وألوف ، قامت حياتهم على الترهات والبدع والخروج بالإسلام عن حقيقته . والدولة العثمانية في إبان نشوتها ، بما بلغت من سيطرة وسلطان ، باسم « الدين » و « الخلافة » .

تحرك ساكن النعمة على آل سعود ، في عاصمة آل عثمان . وانتشرت الخشية من أن يشتد ساعد « قلب الجزيرة » فيسترد أهلها عزتهم ومنعتهم ؛ فعمد الترك ومن والاهم إلى سلاحين في وقت واحد : أحدهما سوق الجنود من قواهم المعسكرة في مصر والعراق والشام والحجاز وغيرها ، والثاني سياسة الافتئات والتنفير . وللدعاية أثرٌ في كل مكان وزمان .

، ، ،

كيف يشوهون حركة « الإصلاح الإسلامي » التي قام بها ابن عبد الوهاب وناصرها آل سعود ، وقبلتها جزيرة العرب ؟ فليقولوا إن عبد الوهاب مبتدع . ليحاربوه بسلاحه . وليزعموا أنه صاحب مذهب خامس .. ويسموا أتباعه « بالوهابية » .

وقالة السوء سريعة الانتقال . وفي أعداء آل سعود من تسره هذه النعمة . وها هو جيش « الباشبوزوق » يقوده والي الدولة بمصر ، وجيش العثمانيين يقوده والي الدولة ببغداد ، وجيش الآستانة يقوده يوسف ضيا باشا . إنهم زاحفون على بلاد العرب . وليس من اليسير عليهم ولا من مصلحة الدولة الاعتراف بأنهم يريدون إخضاع الجزيرة « الثائرة » لثورة معناها ومغزاها ، ودولة آل عثمان في ذلك الزمان ، مجموعة عناصر ، تضم رقعتها العربي والتركي والشركسي والأرنودي والكردي وغيرهم وغيرهم ، فإذا شاع في هذه الخلائق أن « العرب » على غير ما يرضي الدولة ، انتفض غيرهم وثار ، والشعوب

٨٣٣

يُعدي بعضها بعضاً في مثل هذه الأحداث ، خصوصاً من كان منها يشترك مع الآخر في بلواه ، ومن كان يتهاى لسنوح فرصة ينتهزها .
ولم يكن للترك يومئذ مناص من ستر الغرض « السياسي » غرض القضاء على « الدولة الفتية الناشئة » في نجد والأحساء وعسير والحجاز ؛ بستر كثيف من « الدعاية » باسم الدين ، والدين بريء مما يعملون .
انبثت الوعاظ والدجاجلة ، يفترون على « آل سعود » الأكاذيب ؛ بشتى الطرق والأساليب . وانخدعت العامة ، وأطرقت الخاصة ، واستفحلت الدعاية أمام الدعوة . وصدرت المراسيم « الشاهانية » بالزحف لحرب « الوهابية » ووصمها بالخروج عن الإسلام ، وما هناك إلا « الحنبلية » السنية والعقيدة السلفية .

ولم يكن لدولة « آل سعود » اتصال بالعالم الخارجي . وقد انقطع اتصالها بالعالم الداخلي ، من جبرتها وأبناء عروبتها في مصر والشام والعراق والمغرب ، بقيام آل عثمان لمحاربتها . ولم يكن لها من الأنصار ، على بعد الديار ، غير أفراد لم يفعل في نفوسهم سمّ الدعاية العثمانية ما فعله في نفوس الأكثرين . ظلّ هؤلاء الأفراد منقبضين عن الانغماس في الحمأة ، يهابون الجهر بالحق لما يعقبه من التعرض لنقمة السلطان وعقوبته . ولم ينج من تعرض فريق من العامة والسذج أخذوا بالباطل فانطلقوا يصمون كل داع إلى « الإصلاح » بالوهابية ، حتى لقد بلغ بهم الأمر أن نعتوا بها بعض دعاة الإصلاح الاجتماعي ، من غير أهل الإسلام ، في بلاد الشام .

لقي ابن عبد الوهاب ربه ، راضياً مرضياً ، وبلغ « آل عثمان » من « آل سعود » مآربهم . وهدمت الدرعية ، وانقضى عهد السعودية الأولى . وانفردت بقية من آل سعود بالعمل لاستعادة مجد الآباء وسلطان الجدود . إلى أن وثب عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ففضى على من كانت العثمانية التركية تغذيهم وتمدهم وتقوئهم : ظفر بآل رشيد في قلب نجد ، وأجلى الترك عن القصيم والأحساء ، واستعاد بلاد الحجاز فوحد بينها وبين شقيقاتها العربيات

٨٣٤

التقيات ، واتصل بالعالمين الخارجي والداخلي ، فأمنت السبل وظهرت طلائع الإصلاح في التعليم والتنظيم ، على السّتين القويم . وتلفت الناس يتساءلون عن « الوهابية » أين هي ، فلا يجدونها .. وإنما يجدون إسلاماً صحيحاً ، ومذهباً حنبلياً ينتشر بين سائر مذاهب الإسلام .

بقيت كتب « الإفرنج » من افرنسية وإنكليزية وألمانية وغيرها ، وبقيت كتب « الترك » العثمانية وصحفهم ، وأثر الدعاية فيها وفي سائر ما كتب المنفرون في القرن الماضي ، بارز في كل مكان وزال الأصل الذي كان قائماً على « دعاية التنفير » من نهضة آل سعود الإصلاحية ، في الدين والسياسة والاجتماع ، وبقي الاسم الذي هو « الوهابية » لاصقاً بتلك النهضة وعالقاً بأهلها .

الوهابية ، ليست وصمةً ، ولا هي سُبّة . ولكن العامة نفرت منها زمناً ما ، بما غرسته الدعاية العثمانية التركية في النفوس من تشويه لها ولأهدافها ولسيرتها وتاريخها . والنسبة إلى ابن عبد الوهاب ، وهو من علماء الإسلام ، نسبة إلى دعوة الإصلاح الديني والاجتماعي التي قام بها ابن عبد الوهاب في جزيرة العرب .

ويطول نفس القول إذا أردنا الإلمام بما أحاط بالدعوة من أحداث ، وما اكتنفها من مصاعب . ولكن الذي نقف عنده هو أن دعوة آل سعود ، وعلى رأسها ابن عبد الوهاب ، نجحت وحالفها التوفيق ، فقامت الدولة العربية المنشودة ، وامتدت جذورها وثبتت قواعدها . وإذا سميناها أو سماها خصومها بالوهابية ، فلتكن التسمية من باب المجازاة لما اصطليح عليه مؤرخو العصر الماضي وتابّعهم فيه بعض مؤرخي عصرنا الحاضر ، ولا ضير . ولتكن التسمية تاريخية أو اصطلاحية . أما الإسلام ، فلا « وهابية » فيه مما كانوا يزعمون .



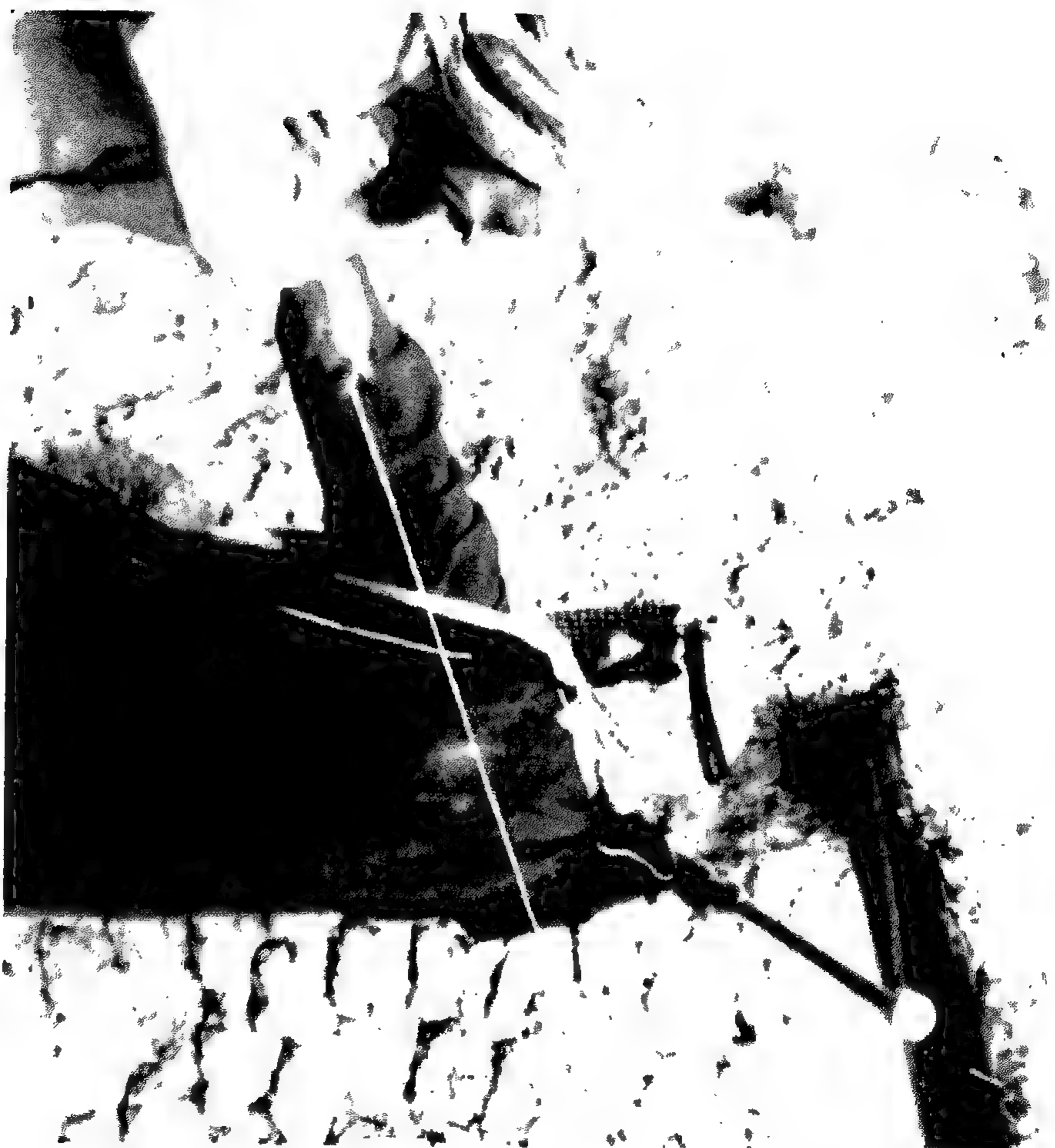
١ - أحد الإخوان وهو يرتدي زي الإخوان الرسمي ، ألتقطها المؤلف في الأرطاوية في شهر مارس من العام ١٩٦٨ .



٢ - سلطان بن عبد الرحمن الدريش ، أمير الأمازيغية وهو
يمسك ببندق من بندق الإخوان الذي مزقه طلقات الرصاص



٣ - منازل هجرها أهلها في الغطف.



٤ - يستعرض العديد من سكان الأوطانية الأسلحة اليدوية
البدائية التي استعملها الإخوان في غزواتهم ومعاركهم
بسبب النقص في البنادق وأنواع السلاح الأخرى .



٥ - - بيريقي قديم من بيارقي الإخوان شهد كثيراً من الغزوات
والمعارك التي نظمتها المؤلف في الارطاوية ، البيريقي مزقته
طلقات الرصاص



٦ - رابيه السبيله الصغيره التي زرع ابن سعود ببارقي حربه
فيها لمواجهة الإخوان المتطرفين .



٧ - ماجد ابن خثيلة ، أمير القطيف ، يجلس في خيمة تبعد
عدة كيلو مترات عن هجرة القطيف

BIBLIOGRAPHY

PUBLIC DOCUMENTS

- Great Britain. Public Record Office. *Telegram for Sir Percy Z. Cox*, 9 July 1913, Vol. 1820, Document No. 31610.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from Viceroy to Foreign Office*, 20 December 1913, Vol. 1848, Document No. 57883.
- Great Britain. Public Record Office. *Cable to Sir R. Wingate from the Government of India*, 7 January 1918. Vol. 3389, Document No. 4423.
- Great Britain. Public Record Office. *Decypher of Telegram from Sir R. Wingate, Cairo*, 8 January 1918. Volume 3389, Document No. 4067.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from King Hussein to the Acting British Agent, Jidda*, 18 September 1918, Vol. 3390, Document No. 161898.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from King Husayn Under Cover of a Letter sent by Wingate to Balfour*, 3 October 1918. Vol. 3390, Document No. E 177596.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter to the Rt. Honorable Arthus James Balfour from Reginald Wingate, British High Commissioner*, 3 October 1918. Vol. 3390, Document No. 177596.
- Great Britain. Public Record Office. *Note on the Cover Sheet of a report*, Vol. 3390, Document No. 161898.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from the Secretary of State for India to the Civil Commissioner, Baghdad*, 1 October 1918. Vol. 3390, Document No. 169854.
- Great Britain. *Report by Lt. Col. R. E. A. Hamilton, Political Agent, Kuwait*, 7 December 1918. VI. 3390. Document No. 20419.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from Sir Reginald Wingate*, 3 October 1918. Vol. 3390. Document No. 177596.
- Great Britain. Public Record Office. *Sir. F. Humpbrey's Report on Ibn Rafida rebellion*. 15 August 1932. Vo. 4101.
- Great Britain. Public Record Office. *Cable from Sir R. Wingate in Cairo to the Foreign Office*. 6 January 1919. Vol. 4144. Document No. 3663.

- Great Britain. Public Record Office. *Despatch from Colonel Wilson and a Letter from King Husayn*, 15 December 1918. Vol. 4144. Document No. 1181.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter and Enclosures from Reginald Wingate to Arthur James Balfour*, Vol. 4144. Document No. 3059.
- Great Britain. Public Record Office. *The Ikhwan and the Wahabis*, 1919. Vol. 4144. Document No. E 7615.
- Great Britain. Public Record Office. *Arabia: The Nejd-Hijaz Feud*. 11 January 1919. Vol. 4144. Document No. 5815.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram of Sir. R. Wingate, Cairo, to Foreign Office*, 15 January 1919. Vol. 4144. Document No. 9710.
- Great Britain. Public Record Office. *Cypher Telegram to Sir R. Wingate, Cairo*. 17 January 1919. Vol. 4144. Document No. 2390.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from Wilson*. 19 February 1919. Vol. 4144. Document No. 27283.
- Great Britain. Public Record Office. *Cable from A. T. Wilson*. 4 March 1919. Vol. 4144. Document No. 34661.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from King Hussein for Emir Feisal*. 18 January 1919. Vol. 4144. Document No. 10448.
- Great Britain. Public Record Office. *Cypher Telegram to Wingate*, 1918. Vol. 4144. Document No. 2390.
- Great Britain. Public Record Office. *Secret Summary of the Najd-Hejaz Feud*, 11 January 1919. Vol. 4144. Document No. 5815.
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch on Conversations with Cavaliere Bernabei*. 8 January 1919. Vol. 4144. Document No. 12831.
- Great Britain. Public Record Office. *Report from the Assistant Political Officer, Basra*. Vol. 4146. Document No. 94390.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from Prince Faysal to Sir General Allenby, Cairo*. No date given. Vol. 4146. Document No. 108194.
- Great Britain. Public Record Office. *Note by Captain Garland of the Arab Bureau*, Vol. 4146. Document No. E 91521.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from 'Ab-al-'Aziz Al-Faysal to Sa'ud ibn 'Abd-al-'Aziz Al-Rashid*. Vol. 4146. Document No. 117487. 2 August 1919.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegraph from Political Agent, Baghdad, to Secretary of State*. 14 June 1919. Vol. 4146. Document No. 90222.

- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from Wilson*, 10 June 1919. Vol. 4146. Document No. 86896.
- Great Britain. Public Record Office. *Translation of a Memorandum on the Wahabite Crisis from H.R.H. The Emir Feisal*. Vol. 4146. Document No. 108194.
- Great Britain. Public Record Office. *From Secretary of State to Civil Commissioner, Baghdad*, 30 May 1919. Vol. 4146. Document No. 83242.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from General Allenby to Foreign Office*. 10 June 1919. Vol. 4146. Document No. 86805.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from India Office, Whitehall*, 13 June 1919. Vol. 4146. Document No. 88374.
- Great Britain. Public Record Office. *Decypher of Allenby Telegram from Cairo*, 9 June 1919. Vol. 4146. Document No. 85980.
- Great Britain. Public Record Office. *Report on the Ikhwan*, 13 May 1919, Vol. 4146, Document No. E 94390.
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch from Colonel C. E. Wilson to Major Young*. Vol. 4147, Document No. 152998.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from the Political Officer, Muntafik Division, Nasariyah, to the Civil Commissioner, Baghdad*, 12 May 1918. Vol. 4147. Document No. E 118698.
- Great Britain. Public Record Office. *From Officiating Civil Commissioner of Baghdad*, 9 May 1918. Vol. 4147. (No Document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from Captain Bray to the India Office*, 28 July 1919. Vol. 4147. Document No. E 129678.
- Great Britain. Public Record Office. *Translation of a letter from Shaykh Sir Abdul Aziz bin Abdur Rahman Al-Faisal As Saud From Colonel Bassett*, 3 June 1919. Vol. 4147. (No Document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *From General Officer Commanding, Egypt to the Secretary of the Government of India*. 1 June 1919. Telegram No. 892. Vol. 4147.
- Great Britain. Public Record Office. *Letter from Ibn Sa'ud*. 1919. Vol. 4147. Document No. 21809.
- Great Britain. Public Record Office. *From Captain Bray to India Office*, 28 July 1919. Vol. 4147. Document No. 129678.
- Great Britain. Public Record Office. *Message From Political Officer Baghdad*, 1919. Vol. 4147, Document No. 8195.
- Great Britain. Public Record Office. *Cable From Foreign Office to Colonel Wilson*, 1 December 1919. Vol. 4147. Document No. 156742.

- Great Britain. Public Record Office. *Arabia Series, Part X, Memo from Officiating Civil Commissioner, Baghdad, 10 May 1919*. Vol. 4147. (No Document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *Report by Major Courtney to the Director of Military Intelligence*. No date given. Vol. 4146. Document No. 108194.
- Great Britain. Public Record Office. *Report on the Operations of the Najd Mission*. 29 November 1918. Vol. 4144. Document No. 4370.
- Great Britain. Public Record Office. *Ahmad Thuneyan Denial*. 1920. Vol. 5060. Document No. 1154.
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch from Major H. R. P. Dickson, Political Agent, Bahrain to the Civil Commissioner, Baghdad, 5 March 1920*. Vol. 5062. (No document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch to the Civil Commissioner, Baghdad*. Vol. 5062. (No Document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *Transmittal of Bin Sa'ud Message*. 17 August 1920. Vol. 5064. Document No. E 11890.
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch from Major H.R.P. Dickson, Political Agent, Bahrein to the Deputy Political Resident in the Persian Gulf, Bushire*. 1920. Vol. 5065. Document No. E 12852.
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch to the Deputy Political Resident in the Persian Gulf*, Vol. 5065. (No Document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *Diary of Faziluddin*. 1920. Vol. 5184. Document No. E 12528.
- Great Britain. Public Record Office. *Extract of a Report by Major W. Batten, Acting British Agent in Jidda*. No date given. Vol. 5243. Document No. 11363.
- Great Britain. Public Record Office. *Confidential Memo from the Political Agent, Bahrain to the Civil Commissioner, Baghdad*. 23/26 April 1920. Vol. 5261. Document No. E 8538.
- Great Britain. Public Record Office. *Neutral View on Alleged French Treaty with Ibn Saud*. 20 September 1922. Vol. 7714. Document No. E 9565.
- Great Britain. Public Record Office. *Telegram from the High Commissioner for Palestine*. 28 July 1922. Vol. 7714 Document No. 8278.
- Great Britain. Public Record Office. *Despatch from Mr. Philby on the Wahabi Movement*. 3 August 1922. Vol. 7714. Document No. 40733.

- Great Britain. Public Record Office. *Despatch from Consul Palmer in Damascus*. 3 July 1922. Vol. 7714. Document No. E 7361.
- Great Britain. Public Record Office. *Transmittal of Documents by Field-Marshal Viscount Allenby to the Marquess Curzon of Kedleston*, 17 October 1922. Vol. 7715. Document No. E 11186.
- Great Britain. Public Record Office. *Appreciation of the Wahabi Movement by the French Army*. 31 August 1922. Vol. 7715. (No Document No. given).
- Great Britain. Public Record Office. *Dickson to Political Agent Kuwait*, 27 October 1930, Vol. 11452. Document No. E 5776.
- Great Britain. Public Record Office. *Glubb Report from Busalyah*, 1929. Vol. 13713. Document No. E 114.
- Great Britain. Public Record Office. *Relations with Najd*, 1931. Vol. 13736. Document No. E 3273.
- Great Britain. Public Record Office. *English Translation of a letter from Feisal bin Sultan Ed Doweisch to Amir Saud*. Vol. 13736. Document No. E 3457.
- Great Britain. Public Record Office. *Dispatch from Lt. Colonel H. R. P. Dickson, Koweit to the Political Resident in the Persian Gulf*, 2 September 1929, Vol. 13740. Document No. 5154.
- Great Britain. Public Record Office. *Bond to Henderson*, 29 August 1920. Vol. 13740. Document No. E 4586.
- Great Britain. Public Record Office. *Cable from Colonel Biscoe*. 9 January 1930. Vol. 14449. Document No. E 164.
- Great Britain. Public Record Office. *Cable from Colonel Biscoe*, 9 January 1930. Vol. 14449. Document No. E 275.
- Great Britain. Public Record Office. *Consul General Biscoe to Lord Passfield*. 26 February 1930. Vol. 14451. Document No. E 1081.
- Great Britain. Public Record Office. *Attachment on Number and Type of Booty Found in Ikhwan Tents*. 16 April 1930. Vol. 14451. Document No. E 1991.
- Great Britain. Public Record Office. *Extracts from Glubb Report*. 20 May 1930. Vol. 14451. Document No. E 2578.
- Great Britain. Public Record Office. *Sir F. Humbery's Report on Ibn Rafida rebellion*. 31 December 1932. Vol. 16017. Document No. 6943.
- Saudi Arabia Ministry of Foreign Affairs *Majmu'a Al-Mu'ahidat min 'Am 1922-1931*. (Collection of Treaties for the Years 1922-1931). Um Al-Qurah, Mecca, 1931.

Saudi Arabia Government. *Al-Kitab Al-Akhdar Al-Najdi (The Najdi Green Book)*. Printed by order of the Sultan of Najd.

BOOKS

- 'Abd-al-Wahab, Muhammad ibn *Al-Usul Al Thalatha wa Adillatuha (The Three Principles and their Proofs)* Cairo: Dar Al-Tiba'a Al-Yusifiyah, no date given.
- Al-'Ajlani, Munir. *Tarikh Al-Bilad Al-'Arabiyah Al-Sa'udiyyah. (History of Sa'udi Arabia)*. Beirut: Dar Al-Kitab Al-'Arabi, no date given, only Part 1 published.
- Armstrong, R. C. *Lord of Arabia*, Beirut: Khayats, 1966.
- Asad, Mohammad, *The Road to Mecca*. New York: Simon and Schuster, 1954.
- 'Attar, Ahmad 'Abd-al-Ghafur. *Saqr Al-Jazirat (Falcon of the Peninsula)*. 2nd edition. Jidda: Al-Mu'assisah Al-'Arabiyah Lil Tiba'a, 1964.
- Benoist-Mechin, Jacques. *Arabian Destiny*. Translated from the French by Denis Weaver, London: Elek Books Limited, 1957.
- Ibn Bishr, 'Uthman: *'Unwan Al-Majd fi Tarikh Najd. (Chapters of Glory in the History of Najd.)* Riyadh: Dar Banna lil Tiba'ah wa Tajlid, 1953.
- Brouche, Jeanne, *L'Empire Arabe D'ibn Seoud*. Brussels: Libraire Folk Fels, 1929.
- Cheesman, R.E. *In Unknown Arabia*. London: Macmillan Company, 1926.
- Al-Dabbagh, Mustapha Murad. *Al-Jazirat Al-'Arabiyah (The Arabian Peninsula.)* Beirut: Dar Al-Tali'a, Part I only published, 1963.
- De Gaury, Gerald. *Arabia Phoenix*. London: George Harris & Co. Ltd., 1946.
- Dickson, H.R.P. *Kuwait and Her Neighbors*. London: George Allen and Unwin, Ltd., 1956.
- Dickson, H.R.P. *The Arab of the Desert*. London: George Allen and Unwin Ltd., 1949.
- Ibn Ghanam, Husayn. *Tarikh Najd. (History of Najd)*. First Edition. Riyadh: Matba'a Al-Ahliyah, 1949.
- Glubb, John Bagot, Sir. *War in the Desert*. London: Hodder and Stoughton, 1960.
- Graves, Phillip P. (ed.) *Memoirs of King 'Abdullah of Transjordan*. London: Jonathan Cape, 1950.

- Hamza, Fu'ad. *Qalb Jazirat Al-'Arab. (Heart of the Arab Peninsula)*. Cairo: Al-Salafiyah Press, 1933.
- Hamza, Fu'ad. *Al-Bilad Al-Arabiyah Al-Sa'udiyah (Sa'udi Arabia)*. Second Edition. Riyadh: Maktaba Al-Nasr Al-Haditha, 1968.
- Hamza, Fu'ad. *Fi Bilad 'Asir. (In the Asir Country)*. Second Edition. Riyadh: Maktaba Al-Nasr Al-Haditha, 1968.
- Al-Haqil, Hamd Ibrahim. *'Abd-al-'Aziz Fi Al-Tarikh. ('Abd al-'Aziz In History)*. Beirut: Mu'assisa Al-Ma'arif, 1969.
- Ibn Hathlul, J.R.R. Sa'ud. *Tarikh Muluk Al Sa'ud. (History of the Sa'ud Kings)*. First Edition. Riyadh: Riyadh Publishing Company, 1961.
- Hitti, Philip K. *History of the Arabs*. New York: The Macmillan Company, 1951.
- Hogarth, David George. *The Penetration of Arabia*, Beirut: Khayyats, 1960.
- 'Issa, Ahmad. *Mu'jiza Fawq Al-Rimal. (Miracle Over the Sands)*. Beirut: Al-Matabi' Al-Ahliyah Al-Lubnaniyah, 1965.
- Al-Jasir, Hamd. *Madina Al-Ryadh 'Abr Atwar Al-Tarikh. (The City of Riyadh in History)*. First Edition, Riyadh: Dar Al-Yammama, 1966.
- Kelly, John B. *Eastern Arabian Frontiers*. London: Faber and Faber, 1964.
- Al-Khatib, 'Abd-al-Hamid. *Al-Imam Al-'Adil. (The Just Imam)*. Cairo: Maktabah wa Mataba'ah Mustapha Al-Bana Al-Halabi, Part I, no date given.
- Kiernan, Reginald Hugh. *The Unveiling of Arabia*. London: George C. Harris & Co. Ltd., 1937.
- Lipsky, George A. *Saudi Arabia*. New Heaven: Harf Press, 1959.
- Lorimer, J. G. *Gazetteer of the Persian Gulf, 'Oman and Central Arabia*. 2 volumes. Calcutta: 1908-1915.
- Al-Madani, Muhammad Mughayrabi Futayih. *Firqat Al-Ikhwan Al-Islamiyah bi Najd*. No publisher given, 1923.
- Al-Mukhtar, Salah Al-Din. *Tarikh Al-Mamlakat Al-'Arabiyah Al-Sa'udiyah Fi Madiha wa Hadirha. (History of the Kingdom of Sa'udi Arabia, Past and Present)*. First Edition. Beirut: Dar Maktabah Al-Hayat, 1958. 2 volumes.
- Musil, Alois. *Northern Negd*. American Geographical Society. Oriental Explorations and Studies, No. 5. New York: 1928.
- Nasr, 'Abd-al-Rahman. *Ahil Al-Jazirah*. Cairo: Matha'ah Misr, no date of Publication given.
- Peacock, William Gifford, *Central and Eastern Arabia*, 2 volumes.

- Philby, H. St. John. *Sa'udi Arabia*. London: Earnest Benn Limited, 1955.
- Philby, *Arabia*, New York: Charles Scribner's Sons, 1930.
- Philby, *Arabian Days*. London: Robert Hale Ltd., 1948.
- Philby, *Arabian Jubilee*. London: Robert Hale Ltd., 1952.
- Philby, *Arabia of the Wahhabis*. London: Constable and Company, 1928.
- Philby, *A Pilgrim In Arabia*. London: Robert Hale Ltd., 1946.
- Al-Rihani, Amin. *Muluk Al-'Arab. (Kings of the Arabs)* Beirut: Dar Al-Rihani Lil wal Nashr, 1960. Two volumes.
- Al-Rihani, *Najd wal Mulhaqatihu. (Najd and its Dependencies)*. Beirut: Dar Al-Rihani Lil Taba'a wal Nashr, 1964.
- Rihani, Ameen. *Ibn Sa'oud of Arabia: His People and His Land*. London: Constable & Co. Ltd., 1928.
- Sa'id, Amin. *Tarikh Al-Daulat Al-Sa'udiyah. (History of the Sa'udi State)*. Three volumes. Beirut: Dar Al-Kitab Al-'Arabi, 1965.
- Sa'id, Amin. *Sirat Al-Imam al-Shaykh Muhammad ibn 'Abd-al-Wahhab. (Bibliography of Muhammad ibn 'Abd-al-Wahhab)* Jidda: Shirkat Al-Sahafa wal Matbu'at Al-Muttahida, 1964.
- Al-Sa'idi, 'Abd-al-Mut'al. *Shabab Al-Quraysh Fi Bad' Al-Islam. (The Quraysh Youth at the Beginning of Islam)*. Third Edition. Cairo: Dar al-Fikr Al-'Arabi, 1960.
- Salama, Bulus, *Malhami 'Id Al-Riyadh*. Beirut: Dar Al-Shamali Publishing Co., 1963.
- Smith, Wilfred Cantwell. *Islam In Modern History*. Princeton: Princeton University Press, 1957.
- Van Der Meulen, D. *The Wells of Ibn Saud*. New York: Fredrick A. Praeger, 1957.
- Wahbah Hafiz, *Jazirat Al-Arab Fi Al-Qam Al-'Ashrin, (The Arab Peninsula in the Twentieth Century)*. Cairo: Matba'ah Al-Nahdat Al-Misriyah, 1961.
- Wahbah Hafiz, *Khamsun 'Ammah Fi Jazirat Al-'Arab. (Fifty Years in the Arab Peninsula)*. First Edition. Cairo: Matba'ah Mustapha Al-Babi Al-Halabi, 1960.
- Wahbah Hafiz, *Arabian Days*. London: Arthur Barker Ltd., 1964.
- Weintraub, Stanley and Rodelle. *Evolution of a Revolt: Early Postwar Writings of T.E. Lawrence*, London and University Park, 1968.
- Winder, R. Bayly. *Saudi Arabia in the Nineteenth Century*, London: Macmillan, 1965.

ARTICLES

- Calverly, E.E. "The Doctorines of the 'Arabian Brethren," *Moslem World*, Vol. XI, 1921, p. 364.
- Harrison, Paul. "Al-Riyadh, the Capital of Nejd," *Moslem World*, Vol. VIII, 1919, pp. 412-419.
- Lewis, C.C. "Ibn Saud and the Future of Arabia," *Royal Institute of International Affairs*, Vol. XII, 1933, pp. 418-534.
- Philby, H. St. John B. "Arabia 1926-1929: Three Years of Wahhabi Rule," *Contemporary Review* (London), Vol. CXXXVII, January-June 1929, pp. 714-719.
- Smalley, W.F. "The Wahhabis and Ibn Saud," *Moslem World*, Vol. XXII, July 1932, no. 3.
- Toynbee, A. J. "A Problem of Arabian Statesmanship," *Journal of the Royal Institute of International Affairs*, Vol. VIII, 1929, pp. 367-375.
- Wahba, Hafizh. "Wahhabism in Arabia: Past and Present," *Journal of the Central Asian Society*, Vol. XVI, Part IV, 1929, pp. 458-467.
- Von Weisl, Dr. Wolfgang. "Islam's Iconoclasts at Mekka's Gates," *The Living Age* (Boston), Vol. CCCXXII, October-December, 1924, pp. 318-321.
- London Times Clippings (Arabia), July 1920 to April 1926, "Pilgrims' Accounts of the Taif Massacre," October 1924.
- London Times Clippings (Arabia), July 1920 to April 1926, "The Wahhabis At Taif," 16 September, 1924.
- Umm al-Qura, No. 111, 8 January 1927. Editorial.
- Umm al-Qura, No. 126, 10 May 1927. The Riyadh Conference.
- Umm al-Qura, No. 208, 18 December 1928. The Riyadh General Assembly.
- Umm al-Qura, No. 211, 11 January 1929. Editorial.
- Umm al-Qura, No. 212, 18 January 1929. Editorial.
- Umm al-Qura, No. 218, 1 March 1929. The *Hujar* in the Arabian Peninsula.
- Umm al-Qura, No. 222, 29 March 1929. Editorial.
- Umm al-Qura, No. 239, 31 July 1929. Meeting at Dawadimi.
- Umm al-Qura, No. 240, 26 July 1929. Editorial.
- Umm al-Qura, No. 242, 9 August 1929. Education Mission Abroad.
- Umm al-Qura, No. 252, 18 October 1929. Sha'ra Conference.
- Umm al-Qura, No. 287, 6 June 1930. War Readiness in Najd.
- Umm al-Qura, No. 291, 4 July 1930. The Bedouin.
- Umm al-Qura, No. 292, 11 July 1930. Subsidies.

Umm al-Qura, No. 293, 18 July 1930. Names of Loyal Ikhwan.

Umm al-Qura, No. 302, 19 September 1930. Types of Battle Among the Arabs.

Umm al-Qura, No. 303, 26 September 1930. War Equipment Among the Arabs.

UNPUBLISHED MATERIAL

Mutlaq ibn Salih, *Shath Al-Nad Fi Tarikh Najd*, Xerox copy in possession of John S. Habib.

'Abd al-Rahman ibn Nasir, *'Unwan Al-Sa'd Wal Majd*, Xerox copy in possession of John S. Habib.

OTHER SOURCES

Al-Ghat Ghat, Saudi Arabia. Personal interview with Sheikh/Majid ibn Khathila. March 1968, and various interview since that time up until October 1969.

Al-Ghat Ghat, Saudi Arabia. Personal interview with Sheikh/Muhammad ibn Majid bin Khathila. March 1968 and various interview since that time up until March 1969.

Al-Artawiyah, Saudi Arabia. Personal interview with Sheikh/'Abd-al-Rahman al-Dawish, March 1968, and in Riyadh in March 1969.

Riyadh, Saudi Arabia. Personal interview with Sheikh Muhammad/al-Sahabi, 20 November 1967, and several others in Riyadh since that date.

Riyadh, Saudi Arabia. Personal interview with Muhammad ibn Jaba' al-Dawish, November 1968, and several since that date.

Riyadh, Saudi Arabia. Personal interview with 'Abd-al-Rahman al-Maghrabi, October 1968.

Riyadh, Saudi Arabia. Personal interview with HRH Prince 'Abd-al-Rahman ibn 'Abdullah ibn 'Abd-al-Rahman Al Sa'ud.

Riyadh, Saudi Arabia. Estimate of Christos. A. Antachopoulos, December 1968.

London, England. Personal interview with Sir John Bagot Glubb, June 1968.

هذه الدراسة تنتهج نهجا " حديثا " فى الدراسات
التاريخية ، فالأحداث التاريخية إطار لمعطيات فكرية
، و جيوسياسية و اجتماعية و اقتصادية و عسكرية
و أدبية ، إنها دراسة الحدث و من خلاله تنفجر تلك
المعطيات . ضمن منظومة أسلوبية راقية ، تصنع
النص و تحلله .